عباس علي الموسوي



مؤسسة الأعلمي للمطبوعات
بيروت - لبنان


مكتبة
مؤمن قريش
لو وضع إيمان أبي طالب في كفة ميزان وإيمان هذا الخلق
في الكفة الأخرى لرجح إيمانه.
الإمام الصادق (ع)
moamenquraish.blogspot.com

عبّاس علي الموسوي

شبهات حول الشّيعة

منشورات
مؤسسة الأعلمي للمطبوعات
بيروت - لبنان
ص ب : ٧١٢٠

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على محمد وآله الميامين وبعد. . لقد قطع الانسان شوطاً كبيراً في التغلب على كثير من الامور التي كانت إلى فترة قصيرة تعدّ من المستحيلات، حيث استطاع ان يطوع لارادته ما امتد من المسافات البعيدة فيقرب بينها حتى كأنها تحت يده، فتارة يضع رحله على القمر، وأخرى يتفنن في إبادة البشر حتى وصل الى مرحلة كدنا ان نقول: عقم الفكر عن انتاج شيء جديد اذ لم يبق عنده حلم يصبو الى تحقيقه او أمل ينشده.

وعلى الرغم من ذلك التقدم المادي، يأخذنا القلق وتستبد بنا الحيرة من جراء ما يتمتع به هذا الانسان من نفس ملتوية تتربص الفرص وتتحين الاوقات للانقضاض على اخيه الانسان ولو كان ذلك الامر يدور بين المسلمين وغيرهم من فرق الكفر والضلال لهان الأمر وسهل ـ ولكن والامر على خلاف ذلك ـ إذا وقعت الفتنة بين الامة الواحدة ـ فالقضية أشد وأخطر وأعمق وأعقد .

إن الامة التي جمع شتاتها النبي الأعظم ووحد متفرقاتها على رسالة الإسلام فاستطاعت بوحدتها وتعاونها وتكاتفها وتساندها ان تمتد وتتسع وتحمل الخير والنور الى البشر.

هذه الامة الواحدة التي حققت آمال الأنبياء وحملت رسالتهم إلى الناس قد عادت اليوم تتناحر فيما بينها واخذت الأمراض السارية تهز ذلك الجسد القوي العامر وتفتك بوحدة المسلمين وتفرقهم احزاباً وشيعاً ومذاهب وزمراً حتى ذهبت ريحهم وخمدت قوتهم وتسلط عليهم من لا يرى فيهم الاّ ولا ذمة.

وان أخطر تلك العوامل التي ساعدت على تفريق ذلك الجسد القوي أمران ينطوي تحتهما غيرهما من الامور.

الأول: التعصب المذهبي الذي تفشى بين اتباع المذاهب الاسلامية حيث اقتنع كل فريق بما عنده دون ان تمتد أنظاره إلى ما عند غيره، فان الفرد عندما تلقى احكام مذهبه عن ابويه أو عن شيخه ـ كما هو الشائع اليوم ـ لم يكلف نفسه مشقة البحث فيما بقي من المذاهب الأخرى ولو ان الامر اقتصر على ذلك لسهل الأمر ولكن قد تجاوز ذلك الى التعصب الذميم الذي دفع بالفرد الى الاعتقاد انه وحده على الهدى وكل من عداه في ضلال مبين ومن هذا المنطلق اندفع يقاتل كل من خالفه في نظرته وراح يتعاون مع اعداء دينه من الكافرين في سبيل اخضاع المسلمين الذين ينتمون لغير مذهبه.

الثاني: الاستعمار الذي أخذ يغذي بعض النفوس الضعيفة بالحقد ويغريها على اخوانها، حيث رأى ان مصالحه لا يمكن تحقيقها مع وحدة المسلمين وتكاتفهم فعمد الى بعض الفوارق المذهبية ـ التي تعد طبيعية ـ وراح يكبرها في اعين المخالفين لها. والمسلمون عن غفلة منهم أو عن جهل قبلوا تلك الفوارق المكبرة وبنوا عليها نظرات معينة سقطت معها كل العناصر المشتركة التي يتوحد المسلمون على اساسها.

نعم ان تلك الفوارق القشرية الجزئية اسقطت ـ في نظر هؤلاء القوم ـ كل القواسم المشتركة التي تجمع المسلمين وتوحد صفوفهم وتعيد لهم عزتهم وكرامتهم وتشعرهم انهم امة انحدرت من أرقى الامم وأعظمها ألا وهي امة الانبياء والمرسلين سفراء الله وحملة رسالته.

إن الاستعمار بمكره وخبثه استطاع ان يزرع في نفوس المسلمين بعض هذه النظرات وقد أفلح في مسعاه ونجح في مبتغاه حتى أضحى المسلم ينظر إلى اخيه المسلم شذراً وحقداً يتحين الفرص للقضاء عليه، وما قيام الفوارق المصطنعة من جغرافية وحدود دولية بين ابناء الامة الواحدة الا نتائج للتقسيم النفسي والمذهبي والقومي الذي روّج له الاستعمار وسعى إليه بكل ما اوتي من قوة وتملّك من وسائل.

وهذه بعض تلك الشبهات التي حملها متعصبة المذاهب الذين انقادوا لحقدهم وجهلهم وتعصبهم او قبلوا قول الاستعمار الخبيث الماكر في حق اخوان لهم ـ تجمعهم معهم كلمة لا إله إلا الله محمد رسول الله وتلفهم جميعاً رسالة الاسلام وتشريعاته التي جاءت على لسان رسول السماء محمد بن عبد الله. وان كان ثمة فوارق قليلة

فانها لا تشكل عائقاً عن التفاهم والالتقاء، فانها فوارق طبيعية تولدت نتيجة اختلاف في الاجتهاد وتعدد في المذاهب او اختلاف في طرق صححها بعضهم ولم تثبت صحتها عند آخرين.

انها شبهات واهية أثارها الجهل تارة والتعصب أخرى وأغلب الاحيان كان الدافع هو الجهل المطبق والنظرة المنغلقة على نفسها التي لا يبصر أصحابها الا مواضع اقدامهم وما يتخيلون من تفسيرات وتأويلات لمفاهيم الغير دون الرجوع الى الطرف الآخر صاحب القضية لتستنطقه وتستمع الجواب.

هذه بعض الشبهات ـ وليست كلها ـ كتبتها بإيجاز وفقاً لرغبة شبابنا وتمشياً مع عصرنا ـ وان كانت كل شبهة تستحق كتاباً مستقلاً كما وقع لبعض أصحابنا، واني اسأله تعالى ان يجعلها خالصة لوجهه الكريم انه نعم المولى ونعم النصير.

عباس علي الموسوي

في ٢٥ ذي القعدة سنة ١٤٠٠ هـ.

التقيّة والشيعة

التقية حكم اسلامي جاء بها الكتاب والسنة وتبناها العقلاء سلوكاً وعملاً لم يشذ عن الايمان بها فرد ولم ترفضها امة ومع ذلك كله حاول المضللون ان يفهموا هذا الحكم على غير حقيقته بل منّتهم أباطيلهم وقادهم ضلالهم الى التنصل منه شكلياً لأن هناك من يقول به ويتباه فلذا حاولوا تشويهه والباسه اقنعة مختلفة تبعد به عن روح الإسلام وجوهر الرسالة.

لقد شاء المغرضون ومن في نفوسهم مرض ان يجعلوا من التقية قميص عثمان فيرمون من يقول بشرعيتها بالكفر تارة والنفاق أخرى حتى سرى ذلك بين عوام القوم ورعاعهم فكان الذي تولى كبره العلماء المتعصبون وتابعهم السفهاء المضلّلون.

ونحن اذ نعرض بحث التقية الآن انما نعرضه بما تقتضيه الامانة في البحث والدقة في الوصول الى الحقيقة التي هي انشودة الفكر وضالة الاحرار في دنيانا التي قلّ فيها الاحرار، نعرضه بوجهه الحقيقي واصالته الرسالية أمام الانسان المثقف الواعي الذي لا تشده رواسبه القديمة ولا هوى بني قومه الى مخالفة الحق مهما كان شأنهم وسلطانهم وعزمهم وقوتهم لأن الوصول الى الحق واكتشاف احكام الله احق من جميع ذلك واقوى، نعرض هذا البحث بدقة وامانة كي يقف الانسان الواعي على الحقيقة من جهة ويكون لمن يدين بالتقية عذر شرعي من جهة أخرى.

التقية لغة: معناها الحذر، قال ابن منظور في لسان العرب توقيتُ واتقيتُ بقيته أتّقيه واتْقيه، تُقىً وتقيةً وتِقاء: حذرته

التقية شرعاً: قد عرفها الشيخ الانصاري في مكاسبه بقوله (التحفظ عن ضرر الغير بموافقته في قول أو فعل مخالف للحق.

مبررات التقية شرعاً

ان مصادر التشريع لدى الشيعة أربعة هي الاسس والمنطلقات لكل امر شرعي، وكل حكم يعتمد على غير ذلك او يُستنتج من سواها لا يعتدّ به ولا يوزن جناح بعوضة بل يكون رأياً شخصياً لصاحبه يصدر منه ويرد عليه لا يجوز ان يدان الله به او يتعبد بمضمونه، بل يكون افتراءاً على الله وكذباً ومما لم يأذن به او يأمر باتباعه.

وهذه الاسس الأربعة هي: الكتاب العزيز، والسنة المطهرة، والاجماع، والعقل. فكل حكم شرعي لا بد وان يستند الى واحد من هذه الاسس فإذا خلى الحكم من الاعتماد على أحدها تعرى عن صفته الشرعية وفقد رصيده الموجب للتعبد به ومن هذا المنطلق يجدر بنا ان نطرح تساؤلاً له قيمته في بحث التقية ألا وهو: هل للتقية من رصيد شرعي يبيح للمسلم التعبد بها والإيمان بشرعيتها على حد سائر التشريعات الإسلامية الاخرى او انها بدعة محرمة يرفضها الدين وتأباها الشريعة.

مبررات القول بالتقية من الكتاب العزيز:

إن من يقول بشرعية التقية يعتمد على كتاب الله ويستند اليه واول ما يحتج به من الآيات هو قوله تعالى: **﴿لا يتخذ المؤمنون الكافرين أولياء من دون المؤمنين ومن يفعل ذلك فليس من الله في شيء الا ان تتقوا منهم تقاة﴾**[1].

فإن قوله: **﴿الا ان تتقوا منهم تقاة﴾** تدل على تشريع ظاهر للتقية وان المؤمن اذا خاف من الكفار يجوز له مداراتهم تقية منه ودفعاً عن نفسه من غير ان يعتقد ذلك، وقد تعرض المفسرون لبحث التقية عند مرورهم بهذه الآية ولعل احسن من بحثها والم بها من العامة المفسر الكبير الفخر الرازي وانا انقل كلامه بحذافيره كي يقف عليه من يحب اتهام الشيعة بالبدع ليرى كيف توصل هذا المحقق الكبير الى ما ترتئيه الشيعة بعينه وما ذهبوا اليه بحقيقته وكي يقف الحكم المنصف بيننا وبين غيرنا ويلمس بيده اننا لسنا وحدنا القائلين بالتقية بل هناك من يقول بشرعيتها بحسب البحث الحر الشريف والدليل العلمي النزيه بل نترقى لنقول ان هناك من يذهب الى ممارستها بافعاله وان انكرها بلسانه.

---

١ ـ آل عمران / ٢٨.

قال الرازي في تفسيره:

اعلم ان للتقية احكاماً كثيرة ونحن نذكر بعضها.

الحكم الأول: إن التقية انما تكون اذا كان الرجل في قوم كفار ويخاف منهم على نفسه وماله فيداريهم باللسان وذلك بأن لا يظهر العداوة باللسان بل يجوز ايضاً أن يظهر الكلام الموهم للمحبة والموالاة ولكن بشرط ان يضمر خلافه وان يعرض في كل ما يقوله فإن التقية تأثيرها في الظاهر لا في احوال القلوب.

(الحكم الثاني) للتقية :

هو أنه لو افصح بالايمان والحق حيث يجوز له التقية كان ذلك أفضل ودليله ما ذكرناه في قصة[1] مسيلمة،

(الحكم الثالث) للتقية انها انما تجوز فيما يتعلق باظهار الموالاة والمعاداة وقد تجوز أيضاً فيما يتعلق باظهار الدين فأما ما يرجع ضرره الى الغير كالقتل والزنا وغصب الاموال والشهادة بالزور وقذف المحصنات واطلاع الكفار على عورات المسلمين فذلك غير جائز البتة.

(الحكم الرابع) ظاهر الآية يدل على ان التقية انما تحل مع الكفار الغالبين الا ان مذهب الشافعي رضي الله عنه ان الحالة بين المسلمين اذا شاكلت الحالة بين المسلمين والمشركين حلت التقية محاماة على النفس.

(الحكم الخامس) التقية جائزة لصون النفس وهل هي جائزة لصون المال يحتمل ان يحكم فيها بالجواز لقوله (ص) «حرمة مال المسلم كحرمة دمه» ولقوله (ص) «من قتل دون ماله فهو شهيد» ولأن الحاجة الى المال شديدة والماء اذا بيع بالغبن سقط فرض الوضوء وجاز الاقتصار على التيمم دفعاً لذلك القدر من نقصان المال فكيف لا يجوز ههنا.

(الحكم السادس) قال مجاهد: هذا الحكم كان ثابتاً في اول الاسلام لأجل ضعف المؤمنين فأما بعد قوة دولة الاسلام فلا، وروى عوف عن الحسن: أنه قال: التقية جائزة للمؤمنين الى يوم القيامة وهذا القول اولى لأن دفع الضرر عن النفس واجب بقدر الامكان.

---

١ ـ سيأتي ذلك عند ذكر مستند التقية من السنة.

وبعد استعراض هذه الاحكام للتقية التي ذكرها المحقق الكبير الرازي نجد ان التقية من احكام الاسلام التي شرّعها الله في كتابه فقد تكون من المسلمين اذا غلب الكافرون عليهم بمقتضى الحكم الأول للرازي وهذا بعينه من الاحكام التي تتبناها الشيعة فيجوز للمسلم ان يتفوه بكلمة الكفر دون ان يعقد عليها قلبه لأن عقد القلب معناه الارتداد وهو محرم وله احكام مسطورة في كتب الفقه فقد يستتاب اذا كان عن فطرة وتقبل توبته وقد لا تقبل كما لو كان الارتداد عن ملة بل لا بد من قتله وتقسم امواله وتعتد امرأته عدة الوفاة. فانظر كيف وافق الرازي مذهب الشيعة.

وأما جوازها بين المسلم والمسلم فهذا ما افصح عنه في حكمها الرابع حيث قال: . . . الا ان مذهب الشافعي رضي الله عنه ان الحالة بين المسلمين اذا شاكلت الحالة بين المسلمين والمشركين حلت التقية محاماة على النفس.

فالمجوز للتقية على مذهب الشافعي هو مشاكلة الحالة التي ذكرها وقد مرّت الشيعة بأعظم الحالات سوءاً وأشدها وقعاً عليهم وإذا اردت ان ترى مدى الظلم والجور الذي حاق بشيعة آل محمد فارم بطرفك الى الفترة التي تعقبت استشهاد علي وانظر الكوارث والمآسي وما الّم بهم حيث لم ترحم السلطة شيخاً كبيراً ولا طفلاً صغيراً ولا امرأة بل اتت على الحرث والنسل.

مظلومية الشيعة

وهذه صورة مصغرة وكلمة موجزة عن تلك الجرائم التي ارتكبت بحق الشيعة الذين لم يكن لهم من ذنب الا موالاتهم لعلي واهل بيته الذين فرض الله طاعتهم وأوجب محبتهم. .

تولى معاوية الخلافة بالقهر والغلبة دون مشورة من المسلمين أو اتفاق عليه وما ان تربع على عرش السلطة حتى تعقب شيعة علي بكل سوء وأذى وكتب نسخة واحدة الى عماله بعد عام الجماعة: ان برئت الذمة ممن روى شيئاً من فضل أبي تراب[1] وأهل بيته فقامت الخطباء في كل كورة وعلى كل منبر يلعنون علياً ويبرءون منه ويقعون فيه وفي اهل بيته وكان اشد الناس بلاء حينئذٍ اهل الكوفة لكثرة من بها من شيعة علي عليه السلام فاستعمل عليهم زياد بن سمية وضم اليه البصرة فكان يتتبع

١ - ابن ابي الحديد ج ١١ ص ٤٥.

الشيعة وهو بهم عارف لأنه كان منهم ايام علي عليه السلام فقتلهم تحت كل حجر ومدر واخافهم وقطع الايدي والارجل وسمل العيون وصلبهم على جذوع النخل وطردهم وشردهم عن العراق فلم يبق بها معروف منهم.

ثم كتب كتاباً آخر الى عماله في جميع الآفاق: ألاّ يجيزوا لأحد من شيعة علي واهل بيته شهادة.

ثم ترقى ضلاله وزاد في غيه حتى كتب الى عماله بعد ذلك: انظروا من قامت عليه البينة انه يحب علياً واهل بيته فامحوه من الديوان واسقطوا عطاءه ورزقه وشفع ذلك بنسخة أُخرى: من اتهمتموه بموالاة هؤلاء القوم فنكّلوا به واهدموا داره فلم يكن البلاء اشد ولا اكثر منه بالعراق ولا سيما بالكوفة حتى ان الرجل من شيعة علي عليه السلام ليأتيه من يثق به فيدخل بيته فيلقي اليه سره ويخاف من خادمه ومملوكه ولا يحدثه حتى يأخذ عليه الإيمان الغليظة ليكتمن عليه.

ولم يزل الامر كذلك حتى مات الحسن عليه السلام فازداد البلاء والفتنة فلم يبق احدٌ من هذا القبيل الا وهو خائف على دمه او طريد في الأرض ثم تفاقم الامر بعد قتل الحسين عليه السلام وولي عبد الملك بن مروان فاشتد على الشيعة وولّى عليهم الحجاج بن يوسف فتقرب اليه اهل النُسك والصلاح والدين ببغض علي وموالاة اعدائه وموالاة من يدعي من الناس انهم أيضاً اعداؤه فأكثروا في الرواية في فضلهم وسوابقهم ومناقبهم واكثروا من الغضّ من علي عليه السلام وعيبه والطعن فيه والشنآن له حتى ان انساناً وقف للحجاج ـ ويقال انه جد الأصمعي[1] عبد الملك ابن قريب فصاح به:

ايها الأمير إن اهلي عقوني فبسموني علياً وإني فقير بائس وأنا الى صلة الامير محتاج فتضاحك له الحجاج وقال: للطف ما توسلت به قد وليتك موضع كذا.

وقد صوّر الامام الباقر سوء الحالة وترديها وما وصل اليه الظلم الاموي من البشاعة والامتهان لأهل البيت وشيعتهم بقوله: وكان عُظمُ ذلك وكُبره زمن معاوية بعد موت الحسن عليه السلام فقُتِلت شيعتنا بكل بلدة وقطعت الأيدي والأرجل على الظنة وكان من يذكر بحبنا والانقطاع الينا سُجن او نهب ماله او هدمت داره ثم لم

---

١ ـ ابن ابي الحديد ج ١١ ص ٤٦

يزل البلاء يشتد ويزداد الى زمان عبيد الله بن زياد قاتل الحسين عليه السلام ثم جاء الحجاج فقتلهم كل قتلة واخذهم بكل ظنة وتهمة حتى ان الرجل ليقال له: زنديق أو كافر[1] احب اليه من ان يقال: شيعة علي.

ويذكر المسعودي في مروجه ان زياد بن ابيه[2] جمع الناس بالكوفة بباب قصره يحرضهم على لعن علي فمن أبى ذلك عرضه على السيف.

هذه فقرات لم نقصد بها الاستيعاب بل هي عناوين كلية تعرب عن مدى الظلم الاموي التي وصلت اليه تلك العصابة الجاهلية بحق شيعة علي واسأل عن رؤ ساء الشيعة ونقبائهم وعن عظمائهم والمتقدمين فيهم فستلوح لك قائمة كبيرة كتبت بالدماء الطاهرة انها دماء شيعة اهل البيت الذين لا ذنب لهم الا حب علي واهل بيت محمد هذا كله في عهد الامويين واما عهد بني العباس فلم يكن احسن مما تقدمه بل ازداد الامر سوءاً حتى تمنى الشاعر بلسان كل العلويين دوام عهد بني امية حيث قال:

فيـا ليت جـور بني مـروان دام لنـا
وكـان عـدل بني العبـاس في النـار

ويذكر القاضي ابن ابي جرادة الحلبي في شرح قصيدة ابي فراس الميمية: لما عزم المنصور على الحج في العام الذي توفي فيه وهو عام ١٥٨ دعا ريطة ابنة اخيه السفاح وهي زوجة ابنه محمد واعطاها مفاتيح واحلفها بأوكد الايمان ان لا تفتح بها خزائن عرفها إياها ولا تطلع عليها احداً ولا ابنه المهدي حتى يصح عندهما موته فيجتمعان وليس معهما ثالث على فتحها فلما بلغ ابنه موته وولي الخلافة فتح تلك الأبواب ومعه ريطة فاذا ازج عظيم فيه قتلى الطالبيين وفي آذانهم رقاع فيها انسابهم منهم المشايخ والشباب والأطفال فلما رأى ذلك المهدي ارتاع وامر فحفرت لهم حفيرة ودفنوا فيها.

وإذا اردت زيادة على ذلك فارجع الى مقاتل الطالبيين لأبي الفرج الأصفهاني فانك ستقف على عدد ضخم من العلويين الذين اهتم بذكرهم هذا المؤرخ وستستغربُ هذا الرقم الكبير للقتلى في دولة بني العباس واما الشيعة ـ غير العلويين ـ

---

١ ـ ابن ابي الحديد ج ١١ ص ٤٤ .

٢ ـ مروج الذهب ج ٣ ص ٢٦ .

فانهم لا يعدون ولا يحصون.

ونحن هنا ازاء هذه المجازر التي شنتها السلطات الحاكمة على الشيعة ألا يجب ان يتخذوا التقية ستاراً لهم وهل هناك ظلم حاق بطائفة كما حاق بهم، . . فلأن كان قول الشافعي ـ وهو حق ـ من ان الحالة بين المسلمين اذا شاكلت الحالة بين المسلمين والمشركين حلت التقية محاماة على النفس ـ فان الشيعة من اظهر مصاديق ما يذكره هذا الفقيه الكبير.

واما تعميم التقية لما يخاف عليه من المال كما ذكره في حكمها الخامس فهو الصحيح الذي تذهب اليه الشيعة وتعتد به فإن الشارع حافظ على الأنفس والاموال والأعراض وان التقية لا تختص بأوائل الاسلام حيث كان ضعيفاً بل يعم الازمان المتأخرة اذا تعرض المسلم لمثل تلك الحالات والعلة عامة لا تحد بزمان فكلما وجدت وجد الحكم فإن الانسان اذا خاف على نفسه او ماله او عرضه جاز له ان يتقي . . .

وحاصل ما توصلنا اليه الى الآن ان التقية تشريع اسلامي والبحث العلمي النزيه يقود الانسان بخزامة الحق الى الاعتراف بهذا الحكم والعمل به كما توصل الى ذلك المحقق الكبير الرازي . .

وكذلك استند الشيعة في تشريع التقية الى قوله تعالى : **﴿من كفرَ بالله من بعد إيمانه الا من اكره وقلبه مطمئن بالإيمان ولكن من شرح بالكفر صدراً فعليهم غضب من الله ولهم عذاب عظيم﴾**[1].

فإن هذه الآية تضع الانسان في جو التقية بوضوح ولو اردنا ان نرجع الى اسباب النزول لكانت دلالتها اجلى واظهر فقد ذكروا انها نزلت في جماعة اكرهوا وهم عمار وياسر ابوه وامه سمية وصهيب وبلال وخباب عذبوا وقتل ابو عمار وامه واعطاهم عمار بلسانه ما ارادوا منه ثم اخبر سبحانه بذلك رسول الله (ص) فقال قوم كفر عمار فقال (ص) : كلا ان عماراً ملئى ايماناً من قرنه الى قدمه واختلط الايمان بلحمه ودمه وجاء عمار الى رسول الله (ص) وهو يبكي فقال (ص) ما وراءك فقال شرٌّ يا رسول الله ما تُركتُ حتى نلتُ منك وذكرت آلهتهم بخير فجعل رسول الله (ص) يمسح عينيه ويقول: ان عادوا لك فعد لهم بما قلت فنزلت الآية. . .

---

١ ـ النحل/١٠٦ .

وهناك آيات أخرى تدل على التقية نرى عدم التعرض لها اولى من الخوض فيها خوف الملل والضجر حيث ان الناس لم يعد لديها جلد وطول نفس لاستقصاء كل الأدلة على مطلب معين بل يكتفون بدليل واحد يدل على المطلوب والأكثر من ذلك يعدونه فضولاً وتضييعاً للأوقات.

مبررات القول بالتقية من السنة الشريفة

اما من طريق اخواننا السنة فقد رووا ان مسيلمة الكذاب اخذ رجلين من اصحاب رسول الله (ص) فقال لأحدهما: اتشهد ان محمداً رسول الله؟ قال: نعم نعم نعم فقال: اتشهد اني رسول الله قال: نعم. وكان مسيلمة يزعم أنه[1] رسول بني حنيفة ومحمد رسول قريش فتركه ودعا الآخر فقال: اتشهد ان محمداً رسول الله؟ قال: نعم. قال: افتشهد أني رسول الله؟ قال: اني اصم ثلاثاً فقدمه وقتله فبلغ ذلك رسول الله (ص) فقال: اما هذا المقتول فمضى على يقينه وصدقه فهنيئاً له واما الآخر فقبل رخصة الله فلا تبعة عليه.

وهذا القول من النبي في هذه الحادثة مع ما تقدم من قوله لعمار - ان عادوا لك فعد لهم بما قلت يدل بصراحة على تشريع التقية وانها حكم عام يشمل كل انسان..

واورد البخاري في صحيحه في كتاب الأدب باب المداراة مع الناس عن النبي (ص) : انا لنكشّر في وجوه قوم وقلوبنا تلعنهم.

وهناك حديث الرفع الذي يقول فيه النبي (ص) : رفع عن امتي الخطأ والنسيان وما استكرهوا عليه.

واما من طرقنا الخاصة فقد تكثرت الروايات حتى تواترت بل بلغ الامر درجة رمينا بأنها من مختصاتنا، - وان لم يكن الامر كذلك -

١ - عن أبي عبد الله عليه السلام: قال: اتقوا على دينكم فاصحبوه بالتقية فإنه لا ايمان لمن لا تقية له انما انتم في الناس[2] كالنحل في الطير لو ان الطير تعلم ما في اجواف النحل ما بقي منها شيء الا اكلته ولو ان الناس علموا ما في اجوافكم

---

١ - الفخر الرازي ج ٨ ص ١٢ .

٢ - الكافي ج ٢ الحديث ٥ - ١٣ - ١٤ .

انكم تحبونا اهل البيت لأكلوكم بالسنتهم ولنحلوكم في السر والعلانية رحم الله عبداً منكم كان على ولايتنا.

٢ - عن أبي جعفر قال: التقية في كل ضرورة وصاحبها اعلم بها حين تنزل به.

٣ - عن ابي عبد الله (ع) قال كان ابي يقول: واي شيء اقر لعيني من التقية ان التقية جُنةَ المؤمن.

٤ - عن أبي جعفر (ع) قال: انما[1] جعلت التقية ليحقن بها الدم فاذا بلغ الدم فليس تقية.

هذا قليل من كثير مما ورد في التقية عن طريق اهل البيت وهذا كله يدلنا على ان التقية شرعت على لسان رسول الله وقد امرنا الله بالأخذ بقوله **﴿ما اتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا﴾**.

مبررات التقية عقلاً

إن بداهة العقل لو قطعنا النظر عن الشرع يحكم في مورد يخاف فيه على النفس او المال بوجوب حفظها ولذا ترى الانسان بجبلته الأصلية لو تعرض لمثل ذلك يحاول عدم الوقوع في الهلكة بل يختلق المعاذير ويتنكر لكل ما يسبب لنفسه ضرراً ولما له تلفاً فترى الرجل الذي يُتَهم بأمر قد يودي بحياته او بماله يتنكر لتلك التهمة ويرفض ان يكون ممن تلبسوا بها او اقتربوا منها ومضافاً الى ذلك فإن الآيات التي تدل على عدم ايقاع الانسان لنفسه في التهلكة وعدم جعل العسر والحرج على المسلم كلها ترخصّ للانسان باستعمال التقية دفعاً للضرر.

والى هنا نكون قد قدمنا المستندات الشرعية للقول بالتقية وانها حكم اسلامي يقول بشرعيتها جميع المسلمين على اختلاف في تفصيلاتها وقيودها .

ثم انها بعد ذلك كله هي من الاحكام الشرعية الفرعية وليست من اصول الدين والاختلافات في الفروع كثيرة بين المذاهب السنية الاربعة والا لماذا كانت اربعة، فالشافعي يذهب الى رأي في مسألة يخالفه فيه الحنفي وهكذا المالكي والحنبلي

---

١ - الكافي ج ٢ حديث ١٦ .

فقد ترى في مسألة واحدة أربعة أقوال بعدد المذاهب.

فانظر الى مسح الرأس في الوضوء والخلاف فيه:

أ ـ قال الحنابلة: يجب مسح جميع الرأس والاذنين والغسل عندهم[1] يجزي عن المسح بشرط امرار اليد على الرأس.

ـ وقال المالكية: يجب مسح جميع الرأس دون الاذنين.

ـ وقال الحنفية: يجب مسح ربع الرأس ويكفي ادخال الرأس في الماء او صبه عليه.

ـ وقال الشافعية: يجب مسح بعض الرأس ولو قل ويكفي الغسل او الرش عن المسح.

ب ـ وهذه مسألة مس المصحف قد تعددت فيها الأقوال.

اتفق الجميع على عدم جواز مس كتابة القرآن الا بطهور واختلفوا في ان المحدث بالحدث الأصغر هل يجوز له كتابة القرآن وقراءته عن حاضر او عن ظهر غيب وفي مسه بحائل وحمله حرزاً؟

فقال المالكية[2]: لا يجوز كتابته ولا مس جلده ولو بحائل وتجوز قراءته حاضراً وظهر غيب ثم اختلفوا ـ اي المالكية ـ في حمله حرزاً.

ـ وقال الحنابلة: تجوز كتابته وحمله حرزاً بحائل.

ـ وقال الشافعية: لا يجوز مس جلده ولو انفصل عنه ولامس علاقته ما دام معلقاً بها ويجوز كتابته وحمله حرزاً كما يجوز مس ما طرزت به الثياب من الآيات القرآنية.

وقال الحنفية: لا تجوز كتابته ولا مسه ولو كان مكتوباً باللغة الأجنبية وتجوز تلاوته عن ظهر غيب.

ج ـ وانظر الى سن الحيض عند المرأة فقد اختلفت المذاهب الأربعة وتعددت الأقوال بتعددها.

فقد اتفق الجميع على ان ما تراه الانثى قبل بلوغها تسع سنين لا يمكن ان

---

١ ـ ٢ ـ الفقه على المذاهب الخمسة للعلامة مغنية ص ٢٩ ـ ٣٦.

يكون حيضاً[1] بل هو دم علة وفساد وكذا ما تراه الآيس المتقدمة في السن واختلفوا في تحديد سن اليأس

فقال الحنابلة: خمسون

وقال الحنفية : خمس وخمسون

وقال المالكية : سبعون

وقال الشافعية: ما دامت الحياة فالحيض ممكن وان كان الغالب انقطاعه بعد سن ٦٢.

فهذه نماذج اقدمها كي يقف الانسان على الاختلافات في الفروع وانها شيء مفروض بحسب تعددها ـ لم اقصد بذكرها التشهير ـ والتشكيك فانا من أعرف الناس بوجوب مثل هذا التعدد في الأقوال بحسب تعدد المجتهدين وان لكل واحد منهم الحق والعذر فيما توصل اليه وله اجر يثاب عليه، وانما انقلها لاقدم بين يدي الناس العذر فيما لو خالفت الشيعة غيرها من المذاهب الأخرى وانفردت برأي يخالف الجميع واذا ثبت ان التقية من الفروع وتنزلنا الى انها من مختصات الشيعة فان هذا لا يوجب تكفيراً ولا تفسيقاً طالما انهم يقدمون المستندات ويخالفون سائر المذاهب الأخرى تبعاً للدليل ولو فرضنا اشتباههم في ذلك وخطأهم فإن ذلك يغتفر لهم بناء على ان من اجتهد فأخطأ فله اجر واحد ومن أصاب فله اجران، . والاختلاف في الفروع مع فتح باب الاجتهاد امر طبيعي لا غرابة فيه.

لماذا اشتهرت الشيعة بالتقية:

بيّنا ان التقية من الاحكام الاسلامية التي يقول بها اكثر من واحد من المذاهب الأربعة وقد تقدم دليل ذلك ومع هذا فقد عدوها من مختصات الشيعة ومتفرداتهم بل اصبحت مثار اتهام لهم في كثيرٍ من الاحيان بل اوجبت سوء الظن بهم بشكل مرعب وعجيب وهنا يجب ان نبحث عن سر اختصاص الشيعة بالتقية مع انها من الاحكام الاسلامية التي سنتها الشريعة وتبناها الدين، يجب ان نبحث ونفتش عن الدواعي التي اوجبت اتصاف الشيعة بالتقية دون غيرهم من المسلمين.

إن السر يكمن في الاسس الفكرية للخط الشيعي الذي ينتهجه مذهب اهل

---

١ ـ الفقه على المذاهب الخمسة للعلامة مغنية ص ٥٢.

البيت من حكام الجور والظلم والذي يشكل طرفاً مضاداً للسلطة الطاغوتية الحاكمة التي نزت على الأمة بالقهر والغلبة وتسلطت على رقاب الناس بالحديد والنار وهذا الموقف بنفسه يشكل نظرة عدائية لدى الحكام فيفرغون جام غضبهم وحقدهم على الشيعة لأنهم وحدهم الذين يكمن فيهم الخطر على ملكهم ودولتهم ولذا كانت المجازر والمقاتل الجماعية من الشيعة تربو عن الاحصاء وتنبو عن العد وهذا يكفي لتبني التقية والعمل بها وممارستها سلوكاً وخطة وشتان بين من يؤمن بالوقوف في وجه الحاكم الجائر ويصرخ في وجهه متحدياً الظلم والجبروت ومحاولاً رفع الاضطهاد عن كاهل المحرومين والمستضعفين معلناً الثورة على حكمه وعرشه عاقداً قلبه ولسانه على مجاهدته، مؤمناً بما صدر عن مثله الكامل ومصدر تشريعه، الأدلاء على احكام الله وامناء وحيه حيث يقولون: من رأى سلطاناً جائراً مستحلاً لحرام الله ناكثاً عهده مخالفاً لسنة رسول الله يعمل في عباد الله بالاثم والعدوان فلم يغير عليه بفعل ولا قول كان حقاً على الله ان يدخله مدخله..

نعم شتان بين من يعتقد ذلك ومن يروي : من رأى من امير شيئاً يكرهه فليصبر عليه فإن من خرج من السلطان شبراً مات ميتة جاهلية او يروى كما في صحيح مسلم عن الأشجعي حيث يحدث قائلاً عن رسول الله : خيار أئمتكم الذين تحبونهم ويحبونكم وتصلون عليهم ويصلون عليكم وشرار أئمتكم الذين تبغضونهم ويبغضونكم وتلعنونهم ويلعنونكم قال: قلنا يا رسول الله افلا ننابذهم عند ذلك: قال: لا...

شتان بين من يرى اعلان الجهاد على كل طاغوت يحكم بغير ما انزل الله وبين من يتخذ السكون والركود شعاراً له حفظاً لنفسه واحتياطاً لدمه، انه فارق كبير وخطير، والشيعة دائماً وباستمرار منذ ان انحرفت القيادة عن اهلها كان ذلك موقفهم وتلك طريقتهم، انها نظرة العداء لكل الحكام المنحرفين الذين يستغلون كراسيهم من اجل مصالحهم الذاتية دون التفات الى احكام الاسلام وتعاليمه ودون عطف على الجماهير التي تئن من الجوع وتحلم بالعدل والامن.

والشيعة وان تبنت التقية نظرياً فانها اثبتت بسلوكها وعملها عندما تدعو الضرورة ايقاظ روح الامة. اثبتت انها تقدم نفسها ودمها وكل عزيز لديها من اجل ان يبقى الاسلام سيد الموقف يعيش في صفوف الامة وفي ضميرها ومن هنا كانت

ثورات الشيعة في التاريخ من اروع الثورات واطهرها، من اشرفها وانزهها ولم تكن تلك الثورات من اجل مطمع من مطامع الارض او شهوة من شهوات الملك وانما كانت فداء للاسلام وقرباناً مقدساً من اجل الدين، انها ثورات مثلت روح الامة التضحوية وعزتها التي تأبى ان تدين لطاغوت بكلمة مجاملة فضلاً عن نفحه البركات ورشه بالعطر والياسمين».

. وهذه نماذج من تلك الثورات التي باركها أئمة اهل البيت وتمنوا ان تستمر متلاحقة لانها المؤشر الوحيد الذي يرمز الى بقاء الحياة في جسد الامة الاسلامية وضميرها.

١ ـ ثورة زيد بن علي.
٢ ـ ثورة محمد بن عبد الله ـ (النفس الزكية) في الحجاز.
٣ ـ ثورة ابراهيم بن عبد الله بالبصرة.
٤ ـ ثورة محمد بن ابراهيم وابي السرايا.
٥ ـ ثورة محمد الديباج بن الامام جعفر الصادق.
ثورة علي بن محمد بن جعفر الصادق.

وهناك العشرات غيرها من الثورات التي حركت جسد الامة وهزت ضميرها في كل وقت شعرت انها فقدت حساسيتها وهمدت الحياة فيها،

ان هذه الثورات هي التعبير الصادق عن رفض جميع المساومات من قبل حكام الجور والضلال، انها ثورات جسدتها ارادة الشيعي وطموحاته في تحقيق ارادة الله الرافضة لكل جور وظلم وقد كان أئمة اهل البيت عليهم السلام يباركونها ويشجعون عليها فهذا الامام الباقر عليه السلام لما سمع بقتل زيد بن علي قال:

إنّا لله وإنّا إليه راجعون عند الله احتسب عمي انه كان نُعم العم، ان عمي كان رجلاً لدنيانا وآخرتنا، مضى والله عمي كشهداء استشهدوا مع رسول الله (ص) وعلي والحسين مضى والله شهيداً.[1]

وهذا الصادق عليه السلام يُذكر بين يديه من خرج من آل محمد عليه السلام

---

١ ـ عيون اخبار الرضا

فيقول: لا ازال انا وشيعتي بخير ما خرج الخارجي من آل محمد. ولوددت ان الخارجي[1] من آل محمد خرج وعليَّ نفقة عياله.

وهذا موسى بن جعفر يقول للحسين بن علي بن الحسن صاحب فخ عندما استشاره في الثورة: انك مقتول فاحد[2] الضراب فان القوم فساق يظهرون ايماناً ويضمرون نفاقاً وشركاً فانّا لله وانّا اليه راجعون وعند الله احتسبكم من عصبة.

ان هذه الكلمات التي صدرت من الأئمة تعبر عن الخط الفكري للشيعي الذي يرفض الحكام الظالمين فلهذا كان الحاكم ينظر الى الشيعي وانه الوحيد الذي يشكل عليه اكبر الأخطار بينما غير الشيعة كانوا في مأمن من غضب الحاكم وظلمه وسيفه وسوطه لأنهم في ركابه مهما كان ظالماً وجائراً وهذا نفسه ينفي موضوع التقية ولو كان الشيعة في مأمن من الاضطهاد والظلم ولم يكن خطهم الفكري منابذة الحاكم الظالم لما استعملوا التقية ولم تكن لتحل لهم، لأن سرّ تشريعها يكمن في الحفاظ على النفس والنفيس فاذا كان ذلك في أمن وصيانة فلا تشرع عندها التقية ولا تحل.

أ ـ شبهات وردود

١ ـ شبهة كون التقية من اصول الدين.

لم يكن يخطر ببالي ان يصل الانحطاط الفكري لدى بعض المسلمين الى هذا الحد من الاسفاف والانحدار. لقد راعني وادهشني التضليل الذي سلكه بعض الناس اتجاه اخصامهم في بعض الأمور، ليس عيباً ان تذكر عيوب خصمكم ولكنّ العيب ان تصفه بما هو بريء منه، نعم العيب ان تخلط بين الأصل والفرع لأن ذلك يدل على جهلك بما عند غيرك والجهل يمنع من الخوض، فالنقد فرع الفهم والحقيقة بنت البحث، .

نعم ان هناك شرذمة لا تعرف عن الشيعة شيئاً، لا تعرف مقولتهم في اصول الدين فضلاً عن فروعه ثم تأتي لتتصدر في واجهة الكتّاب والنقاد وتُصدِر احكامها المغلوطة التي تُظهر جهلها وانحرافها بما عند غيرها، . ولو كان خصمها يبخل عليها

---

١ ـ وسائل الشيعة، كتاب الجهاد باب ١٣ حديث ١٢

٢ ـ مقاتل الطالبيين ص ٤٤٧.

بالاطلاع بما عنده او كان من المذاهب الباطنية التي لا تكشف ما عندها لكان له بعض العذر في اجتهاده ان اخطأ، اما وان الشيعة لم تخلُ منهم بقعة من الأرض فهم مبثوثون في جميع اقطارها وكتبهم تملأ الخافقين منتشرة هنا وهناك تنادي برفيع صوتها: الا من مطّلع؟ الا من متعلم؟ الا من عارف؟ فهل يبقى بعد هذا عذر لأحد ان خلط او جهل، .

وهنا احب ان ابين إن التقية من الاحكام الشرعية الفرعية وليست من اصول الدين ولا اصول المذهب وقد اخطأ ابن تيمية وجانب الصواب حيث رمى الشيعة بأنهم يعدونها من اصول الدين فقد ذكر في كتابه مناهج السنة ـ بل البدعة ـ : والرافضة تجعل هذا من اصول دينها وتسميه التقية وتحكي هذا عن أئمة اهل البيت. ونحن اذا اردنا ان نحمل ابن تيمية على الصحة فلا نجد احسن من الجهل محملاً له اذ يجهل ابسط الامور وايسرها لمذهب غيره ويخلط بين الأصول والفروع وكيف يسوغ لمن يكتب عن غيره من فرق المسلمين ان يجهل ذلك وكتب الشيعة الكلامية منها والفقهية بين ايديه في المكتبات ودور العلم وعلى رأسها كتب الطوسي والمرتضى والحلي ومئات غيرهم ممن كتب في اصول المذهب الشيعي وفروعه وميز بين الأصل والفرع بأحسن بيان واجمله واضبطه وادقه وليس للتقية ذكر على انها من اصول الدين، فهلّا كان ابن تيمية يذكر مصدره الذي اعتمد عليه ولو كان النساء والأطفال او الهواء والغربان، نعم لقد سولت له نفسه وراق له ان يرمي الشيعة بهذه التهمة وان كانت باطلة لأنها توافق هواه وتخدم مبتاغاه من تفريق كلمة المسلمين وتشتيت وحدتهم التي بها عزتهم وقوتهم، . .

نعم نقول إن اصول الدين عند الشيعة خمسة لا سادس لها. وهي:

التوحيد، العدل، النبوة، الامامة، المعاد.

التوحيد: نعتقد ان الله تعالى واحد احد فرد صمد ليس كمثله شيء لا ندّ له ولا شبيه، ولا صاحبة ولا ولد، ولا شريك ولم يكن له كفواً احد فهو واحد في ذاته واحد في صفاته (لا إله إلا الله)؛

العدل: نعتقد ان الله عادل غير ظالم فلا يجور في قضائه ولا يحيف في حكمه يثيب المطيعين وله ان يجازي العاصين. **﴿إن الله لا يظلم الناس شيئاً ولكنّ الناس**

انفسهم يظلمون﴾[1]

النبوة: نعتقد ان النبوة وظيفة إلّهية وسفارة ربانية يجعلها الله لمن ينتجبه ويختاره من عباده الصالحين وهؤلاء الأنبياء معصومون قاطبة منزهون عن المعاصي والاخطاء وقد كان آخرهم وخاتمهم سيد الأنبياء وصفوة المرسلين حبيب إله العالمين سيدنا ونبينا محمد بن عبد الله افضل الخلق واعزهم على الله. فلا نبيّ بعد محمّد ولا وحي من السماء ينزل على احد بعده.

الإمامة: نعتقد ان الإمامة كالنبوة لا تكون الا بالنص من الله تعالى على لسان رسوله أو لسان الامام المنصوب بالنص ونعتقد ان النبي (ص) نص على خليفته والإمام من بعده وهو ابن عمه علي بن ابي طالب في عدة مواطن اشهرها واقعة الغدير المتواترة وان لدى الشيعة من الأدلة على الإمامة وانها بالنص وان المنصوص عليهم هم أئمة اهل البيت اولهم علي بن ابي طالب وأحد عشر من ذريته آخرهم محمد بن الحسن صاحب الزمان. ان لديهم من الادلة ما يثبت هذا المعنى، فهم قد تعرضوا له في علم الكلام وفي التفسيروالتاريخ،وعندهم من الشّواهد والبينات ما يزيد على الحصر والعد وقد أُلفت كتب مستقلة في هذا المعنى كالشافي للمرتضى وغيره.

المعاد: نعتقد ان الله تعالى يبعث العباد بعد الموت في يوم القيامة يثيب المطيع ويعذب العاصي يبعثهم بأجسامهم التي كانت في دار الدنيا قال صاحب (الباب الحادي عشر) المعاد زمان العود او مكانه والمراد به هنا الوجود الثاني للاجسام واعادتها بعد موتها وتفرقها وهو حق واقع، واستدل على ذلك بوجوه ومن جملتها اجماع المسلمين واتفاقهم عليه..

هذه هي اصول الدين لدى الشيعة انها خمسة لم يقع فيها خلاف بين الشيعة وان وقع في الامور الفقهية الفرعية بعض الخلافات تبعاً لطبيعة الاجتهاد وانفتاحه عندهم.

نعم هذه هي اصول الدين ويقابلها فروعه المدونة في الموسوعات الفقهية كالجواهر والمستمسك والشرايع وغيرها من مدونات الامامية التي عمَّت الدنيا

---

١ ـ يونس / ٤٤.

وملأت الخافقين وهي في متناول الجميع وهي تبدأ بكتاب الطهارة والصلاة والزكاة والخمس والصيام حتى تنتهي بالحدود والديات وقد بحثها فقهاؤ نا رضوان الله عليهم بحثاً وافياً لم يتركوا ثغرة الا وسدوها ولا امراً الا واستوعبوه حتى جاءت موسوعاتهم مرجعاً لمن اراد الاطلاع عليها،

إن اصول الدين عند الشيعة خمسة وجميع الامور الأخرى ما عداها تعدّ من الفروع وان عوام الشيعة ومخدراتهم تعرف اصول دينها وفروعها وتميز بينهما بل صبيانهم وصغارهم اذا طلبت منهم تعدادها اجابوك عن ظهر قلب اجابوك بالمنثور والمنظوم واستدلوا على كل اصل بحسب وعيهم وقدرتهم العقلية والثقافية فهل بعد هذا يكون لابن تيمية واضرابه عذر في تخليطه وجهله باصول الدين لدى الشيعة، وهل تقبل دعوى انه يجهل ما عند غيره؟ وهل يعذره احد في تخليطه اذا كان يجهل؟ الم يكن سكوته عما يجهله افضل من كلامه فيه وكيف يسوّغ المرء لنفسه الحديث فيما يجهله، . .

نعم انها نغمة طابت لها نفسه لأن فيها حطّاً من منزلة الشيعة ومقامهم وفيها تشهير واستهزاء وتنفير وازدراء. ، . .

نعم تلك كتب الشيعة القديمة منها والحديثة تعدد اصول الدين ولم يذكر في شيء منها عدهم التقية من اصول الدين ونتحدى ان يؤ تى بذكر لها في الأصول ولو كان في كتاب عابر او متعلم صغير نعم لم يذكرها احد الا هذا (الابن) ابن تيمية الذي لم يأت بحق او صواب

٢ ـ شبهة النفاق

ادعى ابن تيمية ان التقية عبارة أخرى عن النفاق لأن المتقي يظهر خلاف ما يبطن فيظهر الايمان ويبطن الكفر.

ونقول لابن (تيمية الصنف والشخص) ان قلب المسلم الشيعي لم يعرف النفاق ولا الرياء في يوم من الايام انه على المحجة الواضحة ليلها كنهارها لم يلتبس عليه الحق ولم يلفه الضباب الذي احاط بغيره فأضلّه السبيل. ان المسلم الشيعي هو الذي اتخذ خط اهل بيت النبي دون سواهم، لقد اقتدى بعلي وذريته ثقل النبي (ص) وعدل القرآن لم يعدل عنهم ولم يتخذ سواهم قدوة، انه اتخذهم أئمة له في دينه

لما ورد في حقهم من رسول الله الذي لا ينطق عن الهوى، ان رسول الله قد بين طريق الرشد والهدى ان تعددت الطرق وتشعبت السبل وقد كان على معرفة كاملة بما يحدث بعده وقد اخبره الله عن ذلك ولذا قال صلوات الله عليه: (ستفترق امتي على اثنين وسبعين فرقة فرقة ناجية والباقي في النار). نعم لقد عرف الرسول ما سيحل بامته التي جمعها ووحد صفوفها بعد جهاد وعناء وعرق ودماء انه عرف ان الأيدي الخبيثة ستفتت ذلك الجسد المقدس الى فرق وشيع وسيدعي كل منها انه على الحق والهدى وهذا هو الذي دعى رسول الله الى ان يبين الطريق السليم والسبيل المستقيم الذي يكون من اتبعه على هدى الاسلام وسيرة النبي المصطفى ولذا طفق من اول يوم من ايام دعوته يشيد بالشخص الذي رباه وغذاه وقدمه على من سواه لقد رسم للناس طريق الخلاص من الفتن من بعده بلزوم علي فأنه المهيع الذي يرتاده الانسان فيحصل له اليقين بسلامة مسيرته وعقبى نتيجته، .

لقد خط النبي لأمته مَعْلَمَ الهداية بلزوم علي واشاد في كثير من المواطن ان الحق مع علي وعلي مع الحق وانهما لن يفترقا حتى يردا عليه الحوض، كما في رواية انس بن مالك بعثني رسول الله الى ابي برزة الأسلمي فقال له وانا اسمعه: يا ابا برزة ان رب العالمين تعالى عهد اليَّ في علي بن ابي طالب عهداً[1] فقال: علي راية هدى ومنارة الايمان وامام اوليائي ونور جميع من اطاعني. انها الصورة الكاملة للاسلام الكامل الذي جاء به محمد بن عبد الله تظهر معالمها باتباع علي لأن علياً اعرف الناس بما جاء به محمد لأنه ربيبه وغذيه لم يفارقه في ليله او نهاره ولم يتخلف عنه في جهاده وكفاحه بل كان ظله الثابت يدور معه كيفما دار، ومن اقتدى بعلي في دينه فقد افلح ونجح، .

إن علي بن ابي طالب قد تلقى الإسلام الصحيح وتشبّع بتعاليمه واحكامه فجاء تجسيداً حياً للشريعة انه تلقى الاسلام من مصدره ومنبعه دون ان تشوبه الشوائب او تعكر صفوه الاهواء لقد كان علي يشكل بنفسه طريق الاسلام الصحيح وهذا الاسلام العلوي بما تضمن من عقائد ومعارف وشرائع واحكام قد اقتفى الشيعة اثره، انهم اتخذوا خط علي نهجاً يسيرون عليه ومناراً يتبعون خطاه، نعم اخذوا اسلامهم عن علي بن ابي طالب لم يأخذوه عن كعب الاحبار اليهودي ولا عن

---

١ ـ تاريخ بغداد للخطيب ج ١٤ ص ٩٨

ابي هريرة الدوسي ولا غيرهم من المسلمين الفاسقين، انهم اخذوه عن اوثق المصادر واعلمها عن اتقاها وأورعها، .

نعم لقد آمنت الشيعة بالاسلام ديناً مهيمناً على الحياة ولا يجوز الانحراف عنه او التعبد بغيره وقد قدمت من اجله كل غالي ونفيس لقد أهرقت في سبيله اغلى الأنفس واعزها في الوجود، وما كانت ثورة الحسين بن علي الا في سبيل هذا الدين وحفظاً له من العبث والاندراس بعد ان لعبت به الايدي الاموية وكادت ان تأتي عليه وتدك المعالم الشامخة منه، ثم توالت بعد الثورة الحسينية ثورات اسلامية كلها تنشد المحافظة على هذا الدين وصيانته، وان الشيعة قد سارت في ضمن ذلك الموكب الجهادي العظيم تبذل كل ما لديها وما تملك في سبيل الاسلام، ولو كان للنفاق ان يتسرب الى قلوب الشيعة لم تكن تلك المجازر والمقاتل، لو كان الشيعي يداهن في دينه او ينافق لم تكن سياط الحكام وسيوفهم تنال منه شعرة واحدة ولكن لصراحتهم فيما يعتقدون واجهارهم فيما يؤمنون كان طعم السيف اشهى لديهم من المراوغة او الرياء التي استعملها غيرهم موافقة لحكام الجور وأئمة الضلال.

إن الشيعة تؤمن بما يؤمن به علي بن ابي طالب وخطها هو نفس الخط الذي رسمه النبي محمد، فهم مؤمنون عقائديون، مؤمنون لا يتزلزلون ولا ينحرفون فيشهدون بقلوبهم والسنتهم لا إله الا الله محمد رسول الله ويعقدون قلوبهم على الايمان والتصديق بما جاء به رسول الله محمد بن عبد الله يعملون بأوامره وينتهون عما نهى عنه لا تأخذهم في الله لومة لائم وهم ابعد الناس عن النفاق والرياء وحينما يعملون بالتقية انما يخفون الحق ويظهرون خلافه، انهم يؤمنون ان خطهم هو المستقيم وخط غيرهم هو الأعوج فهم يخفون خطهم ويظهرون انهم على خط غيرهم حفظاً لأنفسهم والنفيس مما عندهم انهم يبطنون الايمان ويظهرون الموافقة لمن يعلمون بخطئهم وانحرافهم حفظاً لنفوسهم واين هذا من النفاق، فإن النفاق اظهار للايمان وستر للكفر وهذا خلاف ما عليه الشيعة بل ضده تماماً، ولو لم يبيح الدين العمل بالتقية لم يعمل بها احد من الشيعة.

٣ - شبهة محق الدين:

قد يقال: ان التقية توجب محق الدين وذهاب احكامه واندثارها فكيف ترضون ذلك وتجوزون العمل بها؟

ونقول: ان التقية تنقسم الى الاحكام التكليفية الخمسة فقد تكون واجبة تارة وقد تكون محرمة أخرى وربما تكون مستحبة او مكروهة وقد تكون مباحة.

والمحرم منها ما اوجب فساداً في الدين او تزلزلاً في اركان الاسلام، وبعبارة أخرى ان كل ما يكون حفظه اهم في نظر الشارع من النفوس والاعراض والنفائس لا تجوز التقية فيه بل تكون التقية حراماً يجب رفضها وهذا من الامور العقلية التي وافق عليها الشارع فإن مراعاة الاهم من القضايا العقلية المتسالم عليها ولذا نقول انه اذا اوجبت التقية فساداً في الدين وتزلزلاً في اركانه حرمت.

قال الشيخ المظفر في عقائده: وللتقية احكام من حيث وجوبها وعدم وجوبها بحسب اختلاف مواقع خوف الضرر مذكورة في ابوابها في كتب العلماء الفقهية وليست هي بواجبة على كل حال بل قد يجوز او يجب خلافها في بعض الأحوال كما اذا كان في اظهار الحق والتظاهر به نصرة للدين وخدمة للاسلام وجهاد في سبيله فانه عند ذلك يستهان بالاموال ولا تعز النفوس وقد تحرم التقية في الاعمال التي تستوجب قتل النفوس المحرمة او رواجاً للباطل او فساداً في الدين او ضرراً بالغاً على المسلمين باضلالهم او افشاء الظلم والجور فيهم.

وقد وردت النصوص عن اهل البيت عليهم السلام تبيّن مضمون ذلك وتفصح ان التقية قد تحرم في بعض الأحيان.

ـ روى مسعدة بن صدقة عن ابي عبد الله عليه السلام: في حديث: ان المؤمن اذا اظهر الايمان ثم ظهر منه ما يدل على نقضه خرج مما وصف واظهر وكان له ناقضاً الا ان يدعي انه انما عمل ذلك تقية ومع ذلك ينظر فيه[1] فان كان ليس مما يمكن ان تكون التقية في مثله لم يقبل منه ذلك لأن للتقية مواضع من ازالها عن مواضعها لم تستقم له وتفسير ما يتقى مثل ان يكون قوم سوء ظاهر حكمهم وفعلهم على غير حكم الحق وفعله فكل شيء يعمل المؤمن بينهم لمكان التقية مما لا يؤدي الى الفساد في الدين فإنه جائز.

ففي هذا الحديث نجد النص الصريح على ان التقية غير جائزة اذا ادت الى الفساد في الدين،

---

١ ـ الوسائل ـ الامر بالمعروف والنهي عن المنكر باب ٢٥ حديث ٦

وهناك موارد أخرى تحرم التقية فيها كما لو ادت الى اهدار الدماء فانها تصبح غير جائزة كما لو امر الكافر او الفاسق بقتل مؤمن فإنه لا يجوز امتثال امره تقية وحفظاً لنفس المأمور لأن المؤمنين تتكافؤ دماؤهم وعلة تشريع التقية انما كان لأجل حفظ الدماء والأنفس فإذا بلغت ذلك فلا معنى لتشريعها وهذا ما ورد في كثير من النصوص واستفاده الفقهاء فافتوا بحرمة التقية في الدماء وانه لا تقية فيها

١ ـ روى الكليني في الكافي عن محمد بن مسلم[١] عن ابي جعفر الباقر عليه السلام قال: انما جعلت التقية ليحقن بها الدم فإذا بلغ الدم فليس تقية.

ـ وفي حديث ابي حمزة الثمالي[٢]: انما جعلت التقية ليحقن بها الدم فاذا بلغت التقية الدم فلا تقية.

اذن فلا فساد في الدين من استعمال التقية واذا بلغ الأمر ذلك حرمت التقية وارتفع جوازها..

ثم ان هناك بعض المستشرقين واذيالهم من المسلمين الذين لم يفهموا التقية على وجهها الحقيقي بل لم يكلفوا انفسهم عناء ذلك ارادوا ان يفسروا التقية بغير صورتها الاصيلة التي بيّنتها الشريعة فاخذوا لأجل ذلك يقولون ان التقية عند الشيعة تجعل منهم جمعية سرية لغاية الهدم والتخريب في الدين وتارة يقولون ان التقية تجعل من الدين واحكامه سراً من الاسرار لا يجوز ان يذاع الا لمن يدين بالتقية ونقول لهؤلاء وغيرهم ممن على شاكلتهم الذين يحملون الإحنَ على الاسلام بشكل عام وعلى الشيعة بشكل خاص نقول لهؤلاء ان لم يكن لكم دين فكونوا منصفين ثقاة،..

كيف تكون السرية عند الشيعة وهذه كتبهم ليس دونها حاجز او حجاب، اضرب بطرفك في سائر بلاد الشيعة اسبر مكاتبها العامة والخاصة واسأل اربابها بل انت فتش بنفسك عما تريد وتحب، وهذه مدينة النجف امامك فهيا اقصدها وتلك قم فارحل اليها وانزل على مكاتبها فستجد ليس دونك ستر او ممانعة، اي الكتب احببت فهي تحت يدك وفي متناولها وفيها امهات الكتب ومصادر الاحكام لم تبقى مسألة الا وفصلت ولم تطرح قضية الا وحلت فقد بذل العلماء في احياء المذهب كل اعمارهم واوقاتهم حتى ملأوا الطوامير وكتبوا في المعقول والمنقول والفقه والاصول

---

١ ـ ٢ ـ الوسائل باب الامر بالمعروف والنهي عن المنكر باب ٣١ حديث ١ ـ ٢.

والصرف والنحو والمنطق والبيان واللغة وسائر فنون الحياة ومتطلباتها، فهيّا اقصدها لتعرف حقيقة هذه الدعاوى الباطلة والتهم السخيفة والله حسيبهم يوم الدين على ما يفترون.

١ ـ حسنات التقية:

١ ـ ان اولى حسنات التقية انها حفظت دماء الشيعة من الهدر فقد كان الحكام من الامويين والعباسيين بل العثمانيين يتربصون بالشيعي لاهدار دمه فقد كان الكفر والزندقة اخف بنظرهم من شيعة آل محمد وهذا ما عبر عنه أئمة اهل البيت فهذا الصادق عليه السلام يقول... إنما انتم في الناس كالنحل في الطير لو ان الطير تعلم ما في اجواف النحل ما بقي منها شيء الا اكلته ولو ان الناس علموا ما في اجوافكم انكم تحبونا[1] اهل البيت لأكلوكم بالسنتهم ولنحلوكم في السرِّ والعلانية، رحم الله عبداً منكم كان على ولايتنا.

٢ـ ان أئمة اهل البيت حفظاً للاسلام وحيطة عليه كانوا مهما امكن يسعون للوحدة بين المسلمين وتوحيد صفوف الامة كي تظهر الامة الاسلامية موحدة قوية الشكيمة يهابها الاعداء ولا يجرأ عليها الكافرون فمن هنا كان الأئمة يأمرون اتباعهم بالسير في صفوف الناس يقول الصادق عليه السلام لشيعته: إياكم ان تعملوا عملاً يعيرونا به فإن ولد السوء يعيّر والده بعمله كونوا لمن انقطعتم اليه زيناً ولا تكونوا عليه شيناً[2]، صلوا في عشائرهم (عشائر المخالفين)وعودوا مرضاهم واشهدوا جنائزهم ولا يسبقونكم الى شيء من الخير فانتم اولى به منهم والله ما عبد الله بشيء احب اليه من الخبء، قلت: وما الخبء قال: التقية.

---

١ ـ الكافي ج ٢ ص ٢١٨ باب التقية.
٢ ـ الكافي ج ٢ ص ٢١٩ الحديث ١١.

القرآن بين النقصان والتمام

الشيعة والقرآن.

لم نعرف طائفة قد تعرضت للتهم كما تعرضت لها الشيعة ـ وكذلك سيرة الحق ـ فإن كل قوى الشر تتكاتف ضده وتقف في وجهه لأنها تشعر بالخطر يهددها والسيل يجرفها واعصار الحق يحرقها فتحاول صده باتهامه بما هو بريء منه وطاهر الذيل من أدرانه.

إن الشيعة بما تحمل من حق وتعقد قلبها عليه أراد اخصامها الحط من شأنها ولو بتلفيق التهم ونسج الأباطيل وليس أدل على ذلك وأقوى برهاناً من أقوال الزور التي اطلقها المفترون والمعاندون للحق وقد كانت مسألة (تحريف القران) بنقصان شيء منه هي احدى التهم التي نسبت إلى الشيعة حيث أن الخصم عثر على بعض الأخبار الضعيفة فتشبث بها ورفعها في وجوه الناس وأمام الملأ معلناً صارخاً متهماً الشيعة أنهم يقولون بتحريف القران ونقصانه إن هؤلاء الأخصام نسوا أو تناسوا ما عندهم من الأخبار والآثار سادلين دونه ستراً مشهرين بالشيعة بدل أن يشهر الشيعة بهم.

وإذا كان لهذه التهم من رواج فيما مضى ولها فيما سلف سوق فانها اليوم لا تُنفق ولا تقبل بعد أن ارتفعت الاغشية عن العيون واصبح الحق وحده هو الحاكم والمنطق هو المسيطر لقد كان للتهم فيما مضى رواج ونفاذ ولكن اليوم وأمام انطلاقة الفكر من عقاله لم يعد لها أي وزن أو مقدار بل تتبخر كلها وتذوب مع من افتراها وصدق الله تعالى حيث يقول: «فاما الزبد فيذهب جفاء وأما ما ينفع الناس فيمكث في الأرض».

ونحن سنبينّ الرأي الصحيح المعتمد لدى الشيعة وسنتعرض لبعض ما ورد

من طرق المخالفين من الأخبار القائلة بتحريف القران عندهم ونصل بعدها الى القول الفصل في المسألة.

رأي الشيعة:

القران الكريم هو كلام الله المنزل على رسوله محمد بن عبد الله (ص) خاتم الأنبياء وسيد المرسلين وقد نزل عليه بألفاظه وحروفه فبلّغه النبي الى امته كما نزل دون زيادة أو نقيصة، فأدى الأمانة واجتنب الخيانة واطاع الله فكان رسولاً نبياً. .

وإن القران الكريم قد تكفل الله بحفظه وصانه من التحريف والتبديل «انا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون».

انه تعهُد من الله بحفظ كتابه، حفظه من الزيادة والنقصان، وقد تناقله المسلمون من الجيل الأول حتى وصل إلينا بالتواتر جيلاً بعد جيل ولم يُهتم بشيء كما أُهتم به ولم يُعتنى بأمر كما اعتني به فقد أولاه المسلمون من الاهتمام ما جعلهم يعرفون كل اية أين موضعها بل كل كلمة أين محلها، انه نقل الينا بالتواتر المفيد للعلم الذي حصل لنا من خلاله ان لا زيادة فيه ولا نقصان منه ـ ولو حرفاً واحداً ـ، وهذا هو رأي الشيعة والذي عليه المعتمد عندهم ومعه لا يلتفت إلى قول الشاذ منهم فإن الشاذ ليس حجة ولا يكشف عن رأي المجموع خصوصاً بعد أن سبقه الاجماع ولحقه، كما لا يلتفت إلى بعض الأخبار الغريبة القائلة بنقصانه فإنه لا يجوز التعويل عليها ولا الاستشهاد بها فان عند المخالفين مِثلها وسوف نستعرضها كردٍ عليهم واسكاتاً لهم دون قصد الايمان بها أو الاعتقاد بمضمونها.

ممن يؤخذ رأي الشيعة:

إن رأي أي فرقة من فرق المسلمين لا يمكن أخذه من عوامهم والرعاع منهم كما لا يمكن اخذه من انصاف المتعلمين أو المتطفلين على العلم أو الشاذ منهم بل استكشاف رأي الطائفة ونسبته إليها لا يكون إلا بالاطلاع على آراء المتضلعين منهم والممثلين لوجهة نظرهم، ألا وهم العلماء القادة الذين تبحروا في أعماق مذهبهم واستكنهوا دخائله بما توصلوا إليه من بحث ونظر فكما لا يمكن استكشاف رأي المخالف من بعض الأفراد الذين ينتمون إلى مذهبه صورياً كذلك لا يمكن استكشاف

ذلك من المستشرقين الذين لا يدركون عمق وأسرار التشريع ومنطلقاته التي منها يحكم بهذا الحكم أو يرفضه.

وان اخواننا من ابناء السنة قد اعتمدوا في الحكم على الشيعة في كثير من الأحيان على أمورٍ لا تصح أن تكون مستنداً لهم أو مبرراً لقضائهم فلذا جاءت احكامهم بعيدة كل البعد عن الحق مجانبة للصواب لقد اعتمدوا في كثير من الأحيان على أمور أهمها.

١ـ اعتمدوا على من كتب في الفرق وهم في الغالب أصحاب أهواء وميول ان احبوا اشادوا وإن ابغضوا أسقطوا ونفروا، ان كتبوا عن فرقهم رفعوها ومدحوها وذكروا محاسنها وإن كتبوا في عقائد غيرهم أهانوا وحقروا وجاؤا بأشياء غريبة عنها.

٢ ـ اعتمدوا على قول شاذ لأحد ابناء هذه الفرقة وان كان واحداً واهملوا اقوال سائر الافراد سيراً مع اهوائهم التي تخدم مصلحتهم وتروي حقدهم.

٣ـ اعتمدوا على المستشرقين وابحاثهم وهذه نغمة مستحدثة قد استشهد فيها الكثير من أبناء المسلمين وقلما نجد كاتباً من اخواننا السنة إلا ويستعرض أقوال بعض المستشرقين لتأييد حكم أو نفيه وكأن عقول المسلمين والمفكرين من ابناء الاسلام بحاجة إلى متطفل دخيل يُعتمد عليه او يُركن إلى حكمه ونحن نبصر باعيننا كيف أن هؤلاء المستشرقين يزيفون الحقيقة ويبغون من وراء كتاباتهم الحط من شأن الاسلام والمسلمين والطعن في أحكام هذا الدين وصلاحيته إن هؤلاء المستشرقين بما يحملون من حقد على الاسلام تارة وبما يحملون من نفس مادية غربية أخرى وبما يعتمل في نفوسهم من اثارة الحساسيات بين المسلمين نراهم يعمدون إلى بعض الفوارق المذهبية ليدرسوها بالعقلية الحاسدة اللئيمة التي تبغي الشر للاسلام والمسلمين ويأخذون بزرع بذور الفتنة بين ابناء الأمة الواحدة تحقيقاً لآمال اسيادهم المستعمرين الذين عزّ عليهم ان يروا أمة الاسلام تجتمع على كلمة واحدة ورأي واحد. ولن ننسى الأب لامنس الحاقد على كل ما يسمى اسلام وعلى كل رجالات الاسلام الذين صنعهم هذا الدين، ولن ننسى صاحب قصة الحضارة التي وصف بها النبي محمد والاسلام بما ينبو منه الذوق ويتجافى عنه قلم الغيور. إن هؤلاء المستشرقين لا يعكسون الحقيقة ولا يعلمون رأي الفرقة التي يكتبون عنها الا من خلال انانياتهم وتوجيهات اسيادهم المستعمرين.

فكما أن المسلم الشيعي عندما يريد أن يحتج على أخيه المسلم السني يجب أن يعتمد على كتبه المعتمدة عنده وعلى اراء علمائه الذين يمثلون رأي مذهبه كذلك يجب على الأخ السني إذا كان مريداً للخير طالباً للحق أن يعتمد على كتب الشيعة المعتمدة واراء علمائها المراجع.

إن رأي الشيعة لا يؤخذ من فقيه واحد ينفرد برأيه أو يخطىء في اجتهاده بل الرأي الشيعي الذي يصح ان ينسب إلى الشيعة هو ما يؤخذ من وجوه الطائفة والمعتمدين فيها، من أهل التحقيق والتدقيق من كبار مراجعها وأهل الفتيا عندها.

وان رأي الشيعة التي تعلنه وتدين الله به وتعتمد عليه في مسألة القران هو «انه ما بين الدفتين الموجود بين الناس حالياً المتداول بينهم دون ر[illegible] او نقصان منه وهذه آراء اعاظم الشيعة ورجالاتها تقول بذلك وتتبناه وهذه بعض شهاداتهم.

رأي الشيخ الطوسي شيخ الطائفة فقيهها الكبير مؤسس الجامعة الدينية في النجف وصاحب كتابي الاستبصار [illegible] التهذيب في الأخبار، المولود سنة [illegible] والمتوفي ٤٦٠ هـ يقول: أما الكلام في زيادته ونقصانه ـ القران ـ فمما لا يليق به أيضاً لأن الزيادة فيه مجمع على بطلانها والنقصان منه فالظاهر أيضاً أنه من[1] مذهب المسلمين خلافه وهو الاليق بالصحيح من مذهبنا وهو الذي نصره المرتضى وهو الظاهر من الروايات.

رأي السيد المرتضى علم الهدى

يقول: ان العلم بصحة نقل القران كالعلم بالبلدان والحوادث العظام والكتب المشهورة واشعار العرب فإن العناية اشتدت والدواعي توفرت على نقله وحراسته وبلغت إلى حد لم تبلغه فيما ذكرناه، لأن القران معجزة النبوة ومأخذ العلوم الشرعية وعلماء المسلمين قد بلغوا في حفظه وحمايته الغاية حتى عرفوا كل شيء اختلف فيه من إعرابه وقراءته وحروفه واياته فكيف يجوز ان يكون مغيراً أو منقوصاً مع العناية الصادقة والضبط الشديد.

رأي الشيخ الصدوق رئيس العلماء المحققين وأمام الشيعة المدققين وشيخ

---

١ ـ التبيان ج ١ ص ٣ .

مشايخ الحديث ودرايته حامل الفقه وصاحب التصانيف من جاد به الزمن فجمع روايات أهل البيت في كتاب من لا يحضره الفقيه، لقد قال هذا العظيم في رسالته «اعتقادات الشيعة» «اعتقادنا في القران أنه ما بين الدفتين وهو ما في ايدي الناس وليس بأكثر من ذلك ومن نسب إلينا أنا نقول أنه أكثر من ذلك فهو كاذب».

إن هذا المحدث العظيم والفقيه الكبير من اوائل الشيعة وعظمائهم ينقل في رسالته ما تعتقده الشيعة وتؤمن به ما تدين لله به وتعترف أنه حق وهذا تصريحه وهذه أقواله.

رأي الطبرسي في مجمع البيان:

مجمع البيان أشهر من أن يعرف اذ ملأ الخافقين وعم القطبين ومصنفه لا يحتاج إلى البيان، فهو التفسير الذي استوعب اراء الشيعة والسنة وسرد الأقوال والمحتملات وهذا المفسر العظيم يقول: أما الزيادة في القران فمجمع على بطلانها وأما النقصان فروى جماعة من أصحابنا وقوم من حشوية العامة (السنة) ان في القران نقصاناً والصحيح من مذهب اصحابنا خلافه...

رأي سيدنا المجاهد الإمام عبد الحسين شرف الدين الموسوي

قال قدس سره: والقران الحكيم الذي[1] لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه إنما هو ما بين الدفتين وهو ما في ايدي الناس لا يزيد حرفاً ولا ينقص حرفاً ولا تبديل فيه لكلمة بكلمة ولا لحرف بحرف وكل حرف من حروفه متواتر في كل جيل تواتراً قطعياً إلى عهد الوحي والنبوة وكان مجموعاً على ذلك العهد الأقدس مؤلفاً على ما هو عليه الآن وكان جبرئيل عليه السلام يعارض رسول الله (ص) بالقران في كل عام مرة وقد عارض به عام وفاته مرتين...

رأي الشيخ المظفر:

ذكر الشيخ المظفر في كتابه (عقائد الأمامية) في فصل عقيدتنا في القران قال: نعتقد أن القران هو الوحي الالهي المنزل من الله تعالى على لسان نبيه الأكرم فيه تبيان كل شيء وهو معجزته الخالدة التي اعجزت البشر عن مجاراتها في البلاغة والفصاحة

---

١ - الفصول المهمة.

وفيها احتوى من حقائق ومعارف عالية لا يعتريه التبديل والتغير والتحريف وهذا الذي بين ايدينا هو نفس القران المنزل على النبي ومن ادعى فيه غير ذلك فهو مخترق او مغالط او مشتبه وكلهم على غير هدى فإنه كلام الله الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه.

هذه بعض اراء علماء الشيعة في القران وهم اقطاب المذهب وأدرى الناس بما فيه لم أسرد بعضها الا تدليلاً على ما يذهبون إليه ولم أرد الاستيعاب في ذلك فإن عدم الزيادة والنقصان هو رأي الشيعة كلهم وبما نقلت من اراء لهؤلاء العظام كفاية لمن كان له قلب أو القى السمع وهو شهيد، ان فيه الكفاية لمن أراد الحق والصدق وأما من استحوذ عليه الشيطان واستولى على قلبه الشك والريب فان الف حجة وبرهان وألف قسم وايمان لا يحوله عن غيه ولا يرده عن باطله «ارأيت من اتخذ إلهه هــواه واضله الله على علم..).

إن مثل هذا الانسان جرثومة فساد قد استولى عليه التعصب الذميم فراح يسعى في بذر التفرقة والشقاق بين الاخوة المسلمين اخذ يشكك بكل معتقدات غيره واقوال سواه وبات لا يصدق الا نفسه، فإذا كان لا يصدق غيره في أقواله وكلامه فمن ذا الذي يصدقه هو..

إن مثل هذا الانسان الذي لا يقبل أقوال غيره ولا يرتضى بكشفها عن نواياهم وطوايا قلوبهم فهو انسان احمق ضال محسوب في جملة المجانين خارج عن دائرة العقلاء فإن الله قد اكتفى من الانسان باقراره ورسوله الكريم ارتضى اسلام الانسان ودخوله في حظيرة المسلمين بمجرد ان يقول ﴿لا اله الا الله محمد رسول الله﴾..

وان حرية الرأي مفتوحة لكل انسان خصوصاً في هذا الزمن فإننا نرى دعاوى الالحاد تنتشر والفساد والانحراف تستشري وكل انسان يعبر عن رأيه دون حياء أو خجل، ولو كانت الشيعة تذهب الى خلاف ما قلناه لاعلنه علماؤهم واذاعوه في الملأ دون رهبة من سلطان أو سيف حاكم أو جلاد.

إننا في عصر الانطلاق وحرية الرأي والتعبير ولو كان رأينا على خلاف ذلك لما

توانينا عن اذاعته ونشره ولكن ما قلناه ونقلناه عن علمائنا القدامى منهم والمحدثين هو رأي الشيعة قلباً وقالباً حقيقة وظاهراً به نعتقد وعليه نحيى ونموت. .

القرآن وأهل البيت:

إن الشيعة تقتفي اثر أئمتها في تقدير القران وتعظيمه في حفظه والعمل به، وقد كان أئمة أهل البيت وعلى رأسهم سيدهم علي بن ابي طالب أعلم الناس بالقران واحوطهم عليه وأشدهم التصاقاً به وتلك كلماته في نهج البلاغة وفي السنة تعرب عن مدى تفاعل هذا الانسان العظيم مع القران الكريم والتحامه به حتى غدا قراناً يمشي على الأرض بل جاء قراناً ناطقاً عن كتاب الله الصامت يعرب عما فيه من معاني ويكشف عما فيه من رموز ويحلل ما يشير إليه من كنايات ومجازات، وقد اقتفى أثره ذريته الطاهرة من بنيه وأهل بيته، ولم يتخلف الشيعة عن مسيرة أئمتهم بل اقتصوا اثارهم واقتدوا بهداهم فلذا عاش الشيعي طيلة أيام حياته منذ ابتدأ الاسلام وإلى الآن وسيبقى إلى اخر الدهر يتخذ القران دستوراً له يحييه في عمله ويجسّده في سلوكه وقد وردت الأحاديث الكثيرة في ذلك وقد عقد لها الكليني شيخ الاسلام في كتاب الكافي فصلاً برأسه استغرق اكثر من ثلاثين صفحة يذكر خلالها، فضل القران، وفضل حامله ومتعلمه وحافظه ومقرئه وفضل ترتيله والخشوع عند قراءته والتفكير فيه حتى بلغ عدد الأحاديث في ذلك ما يقرب من مائة واربعة وعشرون حديثاً والشيعة تتلو تلك الأحاديث وتعمل بها لأنها تؤمن بعصمة من وردت عنهم وصدقهم وتؤمن ان هذا القران به حياتها وحياة الأمة المسلمة بل الانسانية جمعاء فلذا تحث الناس المتخلفين عن هذه النعمة ان يدركوها ويعيشوا لحظات الانس والسعادة مع كلام الله الذي هو خير الكلام وأعظمه بركة وهذه جملة من ذلك الفيض الكثير.

١ـ عن الامام الصادق عليه السلام قال:

القران عهد الله إلى خلقه فقد ينبغي للمرء المسلم ان ينظر في عهده وأن يقرأ منه في كل يوم خمسين اية. . . وقال: ما يمنع التاجر منكم المشغول في سوقه إذا رجع إلى منزله أن لا ينام حتى يقرأ سورة من القران فيكتب له مكان كل اية يقرأها عشر حسنات ويمحي عنه عشر سيئات؟. وقال: عليكم بتلاوة القران فان درجات الجنة على عدد ايات القران فإذا كان يوم القيامة يقال لقارىء القران اقرأ وارقَ فكلما قرأ اية رقى درجة».

فانظر الى هذا الحث الشديد والترغيب الأكيد للناس ان يتعاهدوا كتاب الله . والامام إنما ذكر التجار لأجل كثرة اشغالهم وعدم الوقت المتسع لديهم فدفعهم إلى الاتصال بالقران ولو بهذه النسبة القليلة.

قال عليّ عليه السلام

ثم انزل عليه ـ على النبي ـ الكتاب[1] نوراً لا تطفأ مصابيحه وسراجاً لا يخبو توقده وبحراً لا يدرك قعره ومنهاجاً لا يضل نهجه وشعاعاً لا يظلم ضوؤه وفرقاناً لا يخمد برهانه وتبياناً لا تهدم أركانه وشفاء لا تخشى اسقامه وعزاً لا تهزم أنصاره وحقاً لا تخذل اعوانه فهو معدن الايمان وبحبوحته وينابيع العلم وبحوره ورياض العدل وغدرانه واثافي الاسلام وبنيانه واودية الحق وغيطانه، وبحر لا ينزفه المستنزفون وعيون لا ينضبها الماتحون ومناهل لا يغيضها الواردون ومنازل لا يضل نهجها المسافرون. . جعله الله رياً لعطش العلماء وربيعاً لقلوب الفقهاء ومحاج لطرق العلماء ودواء ليس بعده داء ونوراً ليس معه ظلمة وحبلاً وثيقاً عروته ومعقلاً منيعاً ذروته وعزاً لمن تولاه وسلماً لمن دخله وهدى لمن أئتم به وعذراً لمن انتحله، وبرهاناً لمن تكلم به وشاهداً لمن خاصم به. وملجأ لمن حاج به، وحاملاً لمن حمله، ومطية لمن اعمله وآية لمن توسم وجُنة لمن استلأم وعلماً لمن دعى وحديثاً لمن روى وحكماً لمن قضى.

وقال عليّ عليه السلام: إعلموا أن هذا القرآن هو الناصح الذي[2] لا يغش والهادي الذي لا يضل والمحدث الذي لا يكذب وما جالس هذا القرآن أحد الا قام عنه بزيادة أو نقصان، زيادة في هدى أو نقصان من عمى واعلموا أنه ليس على أحد بعد القرآن من فاقة ولا لأحد قبل القرآن من غنى فاستشفوه من ادوائكم واستعينوا به على اعدائكم فإن فيه شفاء من اكبر الداء وهو الكفر والنفاق والغي والضلال.

قال الامام الحسن عليه السلام:

ما بقي في الدنيا بقيةُ غير هذا[3] القرآن فاتخذوه اماماً يدُلكم على هداكم وان

---

١ ـ نهج البلاغة ص ٣١٥.

٢ ـ نهج البلاغة ص ٢٥٤.

٣ ـ (الارشاد) للمفيد.

احق الناس من عمل به وان لم يحفظه وأبعدهم من لم يعمل به وان كان يقرأه.

وقال عليه السلام: ان هذا القرآن يجيء يوم القيامة قائداً[1] وسائقاً يقود قوماً إلى الجنة احلّوا حلاله وحرّموا حرامه وآمنوا بمتشابهه، ويسوق قوماً إلى النار ضيعوا حدوده وأحكامه واستحلوا محارمه.

قال الامام زين العابدين عليه السلام: لو مات من بين المشرق والمغرب لما استوحشت بعد ان يكون القرآن معي.

وعن الزهري قال: سمعت علي بن الحسين[2] عليهما السلام يقول: آيات القرآن خزائن فكلما فتحت خزانة ينبغي لك ان تنظر ما فيها

هذا نذر قليل مما ورد في فضل القرآن وتعظيمه ولم يهمل الشيعة كتاب الله بل أعطوه من العناية والتقدير الشيء الكثير وقد وردت فتاوى الفقهاء بصراحة تقول أن من أهان القرآن أو استهان به فرماه في قازورة فهو مرتد كافر.

قال الشيخ المظفر في كتابه «عقائد الأمامية» فلو تعمّد شخص توهينه- توهين القرآن- وتحقيره بفعل واحد من هذه الأمور- عدّد جملة أمور مثل احراقه ورميه وسحقه بالرجل- وشبهها فهو معدود من المنكرين للاسلام وقدسيته المحكوم عليهم بالمروق عن الدين والكفر برب العالمين» بل ان الشيعة من شدة احترامها لكتاب الله تحرّم مسّ ولو كلمة واحدة منه إذا لم يكن اللامس على طهارة من الحدثين الأكبر[3] والأصغر، فيجب ان يكون متوضئاً حتى يجوز له مس كلماته، ولا أعتقد ان فرقة من فرق المسلمين تضاهي الشيعة في احترام القرآن وتقديسه وتعظيمه وتقديره وتلك كتبهم تعرب عن ذلك ورسائل فقهائهم تصدقه.

الشيعة واحاديث التحريف:

وردت بعض الأحاديث ذكرها الكليني في الكافي تشير بظاهرها إلى أن القرآن تعرض للنقصان، ولكن بعض هذه الاحاديث غير صحيح وبعضها الآخر صالح

---

١ ـ الكافي ج ٢ ص ٦٠٢.

٢ ـ الكافي ج ٢ ص ٦٠٩

٣ ـ قسّم الفقهاء الحدث الى قسمين، ما اوجب غسلاً سموه الحدث الأكبر كالجنابة وغيرها وما اوجب وضوءاً سموه اصغراً كالنوم والبول وغيرهما وافتوا بان المحدث بكليهما لا يجوز له مس كتابة القرآن.

للتأويل بشكل مقبول لا يراد به ظاهره والباقي منها لا يمكنه الوقوف في وجه الصحاح المعتضدة بالكتاب الدالة على حفظ القرآن عن الزيادة والنقصان، وعلى كل حال هي أخبار آحاد لا يمكن أن تقف في وجه القطعيات والاجماع الذي ثبت به ان ما بين الدفتين هو نفسه القرآن الذي نزل على قلب رسول الله لم يزد فيه حرف ولم ينقص منه حرف وأن الأصحاب وفقهاء المذهب لم يعتمدوا عليها بل اعرضوا عنها وهذا بنفسه دليل على سقوطها عن الاعتبار- وقد سمعت آراء محققيهم واصحاب التحقيق منهم فلا يعتد بهذه المرويات. وليس كل اخبار الكافي صحيحة بل إن فيه الصحيح السليم والعليل السقيم وان أهل الخبرة بدراية الحديث وفقهه يعرفون ذلك. فاذا لم تكن هذه الاخبار الواردة هنا صحيحة فلا داعي للتشكيك في جميع مرويات الكافي ولا يسري الوهن الى كل ما ورد فيه بل ان كل الروايات الواردة عن المعصومين خاضعة لقانون الدراية وعلم الحديث من دراسة السند بفحص رجال الحديث من تعديل وتجريح وتفسيف وتوثيق ولا بد من رؤ ية المتن من الغرابة والشذوذ وغيرها من عناصر قبول الحديث أو رده.

وإذا كان الأمر كذلك فلا داعي لهجوم الشيخ محمد ابو زهرة على شيخ الكافي ورميه بالمروق من الدين والدعوة للتشكيك في جميع مروياته فإنها دعوى تشبه من يرشق غيره بحجر وبيته من زجاج... إن ابا زهرة واضرابه يسهل عليهم جداً ادخال من شاؤ ا في الدين واخراجه منه فكأن الدين بأيديهم وأحكامه طوع ارادتهم من شاؤ ا جعلوه مسلماً ومن شاءوا اخرجوه عن الاسلام دون أن يكون لديهم ضوابط او بيدهم موازين..

متى نزل الوحي على ابي زهرة وامثاله وقد انقطع بوفاة رسول الله (ص) حتى يحكم بمروق رجل يقول ربي الله يشهد لله بالوحدانية وللنبي بالرسالة.

وما هي موازينه في اسلام الخلق وكفرهم؟ انها والله مهزلة واي مهزلة اعظم واكبر ممن هو في صف أبي زهرة وتصدر منه مثل هذه الهفوة..

لا.. لا داعي للهجوم على الشيخ الكليني اذ هي رواية وصلته فدونها ولم يُعلم انه يحكم بصحتها ولكن أمانة النقل فرضت عليه ادائها فعلى من يأتي بعده ان يرفضها.

يضاف الى ذلك أيضاً أن الشيخ ابا زهرة لماذا لم يُخرج البخاري عن الدين ويرميه بالمروق منه؟ والبخاري نفسه قد روى احاديث النقصان كما سنستعرض بعضها، ولماذا لم يدعُ ابو زهرة الى التشكيك في مرويات البخاري- وهو عندهم الصحيح الثقة الثبت الحجة الذي لا يروي الا الصحاح؟.

لماذا روى البخاري روايات النقصان ولم يهاجمه ابو زهرة؟ نعم ان لذلك من الاسرار ما لا يمكن البوح به او الجهر بذكره؟!.. ان هناك سراً عميقاً لا يعرفه الا المحبون، لا يعرفه الا العشاق الذين يرون القشة في عين غيرهم وينسون الجذع في عيونهم انهم العشاق الذين ينسون وجودهم وكل سيئات احبابهم.

البخاري واحاديث نقصان القرآن:

صحيح البخاري هو العنوان الذي ضم بين حروفه أروع الأحاديث وأقدسها اذا ذكر خضعت له الرقاب وذلت له الأعناق احتل في نفوس اخواننا السنة مرتبة تضاهي كتاب الله فجعلوه ثاني القرآن عفواً بل عدلاً له يقول في قواعد التحديث عنه.

«هو عدل القرآن وانه إذا قرأ في بيت ايام الطاعون حفظ اهله منه وان من ختمه على اية نية حصل ما نواه وانه ما قرأ في[1] شدة الا فرجت ولا ركب به في مركب فغرفت»

ويكفي في علو مرتبته عند العامة قول المقدسي: «كل من روى عنه البخاري فقد جاز القنطرة» يعني لا يسأل عن عدالته فإن رواية البخاري عنه يكفي للحكم بعدالته وصدقه في النقل.

---

١ - لطيفة:

ينقل الشيخ اسد حيدر في كتابه «الامام الصادق والمذاهب الأربعة» عن مجلة الرسالة «ان مجلس المبعوثان في عهد الاتراك بالعراق قد قرر مبلغاً جسيماً لوزارة الحربية جعلوه لقراءة البخاري في الاسطول، فقال الزهاوي: وكان عضواً في المجلس - انا افهم ان هذا المبلغ في ميزانية الاوقاف اما الحربية فالمفهوم ان الاسطول يمشي بالبخار لا بالبخاري فثار عليه المجلس وشغب عليه العامة.

هذا الكتاب الذي بهذه المنزلة والمعترف بصحة مروياته عند القوم والمتفق بينهم انه لا يجوز التشكيك في احاديثه وان جميع ما سرده في كتابه فهو صحيح.

هذا الكتاب الصحيح عندهم انظر الى ما سرده في حق القرآن وكيف نسب إليه النقص وأنظر الى الشيخ أبي زهرة كيف تناسى تلك المرويات عند بني قومه وتذكرها عند الشيعة وتهجم على شيخ مشايخنا الكليني، فليته انصف قبل ما وصف وليته عدل قبل ان عذل.

يذكر البخاري في كتابه ـ الصحيح ـ على مبنى القوم ـ وغيره من الصحاح عندهم والمسانيد لديهم.

١ ـ روى ابن عباس ان عمر قال فيما قال وهو على المنبر: ان الله بعث محمداً (ص) بالحق وأنزل عليه الكتاب فكان مما أنزل الله آية الرجم فقرأناها وعقلناها ووعيناها فلذا رجم رسول الله (ص) ورجمنا بعده فاخشى ان طال بالناس زمان ان يقول قائل: والله ما نجد آية الرجم في كتاب الله فيضلوا بترك فريضة أنزلها الله، والرجم في كتاب الله حق على من زنى اذا احصن من الرجال... ثم إنا كنا نقرأ فيما نقرأ من كتاب الله: ان لا ترغبوا عن آبائكم فإنه كفر بكم أن ترغبوا عن آبائكم أو أن كفراً بكم ان ترغبوا عن آبائكم. وقد قال سيدنا الامام الخوئي في مقدمة تفسيره (البيان ـ، وآية الرجم الذي ادعى عمر انها من القرآن ولم تقبل منه رويت بوجوه منها: اذا زنى الشيخ والشيخة فارجموهما البتة نكالاً من الله والله عزيز حكيم، ومنها: ان الشيخ والشيخة اذا زنيا فارجموهما البتة.

وهذا المعنى بالذات رواه الامام احمد في مسنده عن عمر انه قال: ان الله عز وجل بعث محمداً بالحق وأنزل معه الكتاب فكان مما أنزل آية الرجم، فرجم رسول الله (ص) ورجمنا بعده ثم قال: كنا نقرأ: ولا ترغبوا عن آبائكم فإنه كفر بكم أو أن كفراً بكم ان ترغبوا عن آبائكم.

٢ ـ وفي صحيح مسلم روى ابو حرب ابن ابي الاسود عن أبيه قال:

بعث ابو موسى الاشعري الى قراء أهل البصرة فدخل عليه ثلاثمائة رجل قد قرأوا القرآن فقال: انتم خيار أهل البصرة وقراؤهم فاتلوه ولا يطولن عليكم الأمد

فتقسوا قلوبكم كما قست قلوب من كان قبلكم وإنّا كنا نقرأ سورة كنا نشبهها في الطوال والشدة ببراءة فانسيتُها غير إني حفظت منها: لو كان لأبن آدم واديان من مال لابتغى وادياً ثالثاً ولا يملأ جوف ابن آدم الا التراب..

٣ـ وفي صحيح مسلم عن عائشة انها قالت:

كان فيما انزل من القرآن: عشر رضعات معلومات يحرّ من ثم نسخن ب: خمس معلومات فتوفي رسول الله (ص) وهن فيما يقرأ من القرآن.

هذه بعض الروايات التي وردت عن طريق القوم وهناك غيرها مبثوث في طيات كتبهم رأينا الأعراض عنها أولى من ذكرها لأننا نقطع بعدم صحتها بل نقطع ببطلانها ونؤمن بأن هذا الكتاب العزيز نزل من لدن حكيم عليم قد تكفل الله بحفظه كما جعله معجزة نبيه بل معجزة الاسلام ودليل احقيته، يخشع القلب لتلاوته والعقل بالتدبر فيه، وإنما ذكرنا هذه الروايات رداً على من اتهم الشيعة بأنهم يقولون بتحريف القرآن ونقصانه ونسوا ما عندهم من المرويات الباطلة التي لا يعتد بها ولا يعتمد عليها وان وردت في البخاري ومسلم وسائر الصحاح عندهم..

تفاسير القرآن عند العترة وشيعتهم:

إن لأئمة أهل البيت حظاً وافراً في العناية بكتاب الله والحفاظ عليه ولا غرابة في ذلك اذ هم عدله وترجمان مراده فان كان القرآن كتاب الله الصامت فهم كتابه الناطق لا ينحرفون عنه ولا يسلكون غير طريقه كيف وهم عترة النبي (ص) واهل بيته خلاصة المسلمين وزبدة العالمين، هم الصيغة الرفيعة التي مثّلت القرآن في سلوكها وعملها وجسدت تعاليمه في كل أحكامه ومراداته فجاؤوا قرآناً متجسداً في دنيانا التي سعدت البشرية بطالعهم مرة وقدمت فيهم أعلى رموز الامكان البشري ومنتهى كمالها التي كانوا ابتداؤها وختامها.

ونحن سنستعرض بعض تلك الاهتمامات الكبيرة التي قام بها أئمة أهل البيت عليهم السلام ومدى متابعة شيعتهم لهم في الحفاظ على كتاب الله وتفهم آياته وأحكامه كي يعلم المنصف مقدار ما قدموه للمكتبة الاسلامية من التفاسير وما خدموا به كتاب الله حيث كانوا كأحسن طائفة اطاعت الله وحافظت على كتابه وما فيه من تعاليم..

وهذه جملة من تلك الباقة العطرة والجهود العظيمة.

ذكر ابن النديم في فهرسته: ان علياً[1] أول من جمع القرآن بل هو أول من رتبه فقد ذكر ان علياً رأى من الناس طيرة عند وفاة النبي (ص) فاقسم أنه لا يضع عن ظهره رداءه[2] حتى يجمع القرآن فجلس في بيته ثلاثة أيام حتى جمع القرآن فهو أول مصحف جمع فيه القرآن من قلبه وكان المصحف عند أهل جعفر.

ومنها تفسير الباقر عليه السلام قال ابن النديم عند ذكر الكتب المصنفة في التفسير: كتاب الباقر محمد بن علي بن[3] الحسين عليهم السلام رواه عنه ابو الجارود زياد بن المنذر رئيس الجارودية الزيدية..

ومنها كتاب ابن عباس رواه مجاهد ورواه عن مجاهد حميد بن قيس وورقاء عن أبي نجيح عن مجاهد وعيسى[4] بن ميمون عن أبي نجيح عن مجاهد ومنها كتاب سعيد بن جبير وهو من التابعين له كتاب في تفسير القرآن وذكر تفسيره السيوطي في الاتقان وحكى عن قتادة انه كان اعلم التابعين في التفسير وذكر تفسيره ابن النديم في فهرسته عند ذكر الكتب المصنفة في التفسير ولم يذكر تفسيراً لاحد قبله، كان من الشيعة كما ذكر ذلك العلامة في الخلاصة والكشي في رجاله وقال ما كان سبب قتل الحجاج اياه الا ذلك..

ومنها تفسير أبي حمزة الثمالي واسمه[5] ثابت بن دينار وكنيته دينار ابو صفية وكان ابو حمزة من أصحاب علي عليه السلام من النجباء الثقات وصحب ابا جعفر.

ومنها تفسير السائب بن بشر الكلبي الكوفي تابعي من علماء الكوفة قال ابن النديم كتاب تفسير الكلبي محمد بن السائب وذكر تفسيره ابن قتيبة في المعارف وقال كان عالماً بالتفسير.

ومنها تفسير علي بن ابراهيم القمي المطبوع اخيراً في ايران وهو تفسير يعتمد على المأثور من المعصومين.

---

١ ـ ٢ الفهرست ص ٤١ .

٣ ـ ٤ الفهرست ص ٥٠ .

٥ ـ الفهرست ص ٥٠ .

ومنها تفسير التبيان للشيخ الطوسي محمد بن الحسن يقع في عشرة مجلدات كبار طبع اكثر من مرة.

ومنها تفسير مجمع البيان للطبرسي يقع في خمس مجلدات كبار طبع في صيدا وتداول طبعه اكثر من مرة.

هذه نماذج يسيرة لعالم التفسير لدى الشيعة لم نرد استيعاب جميع ما الف في هذا الفن اذ هو فوق العد فمن اراد ذلك فليرجع الى موسوعة الذريعة في تصانيف الشيعة ليرى الارقام الهائلة والتفاسير العظيمة التي دونها علماء الشيعة.

ثم ان الشيعة لم تهتم فقط في تفسير القرآن فحسب بل الفّت في جميع فنون هذا العلم وتعرضت لجميع جوانب ما يبحث عنه في كتاب الله فقد الفّت في آيات الاحكام خاصة وتعرضت لكل آية تضمنت حكماً شرعياً فكان منهم محمد بن السائب الكلبي كما ذكره ابن النديم في الفهرست وعباد بن عباس والد الصاحب بن عباد وقطب الدين سعيد بن هبة الله الراوندي وغيرهم.

والفت في متشابه القرآن فكان منهم الكسائي كما ذكره السيوطي في الاتقان والشريف الرضي و الشريف المرتضى وسواهم.

والفت في غريب القرآن: فكان ابان بن تغلب اول من الف في ذلك وهناك غيره كثير.

والفت في اسباب النزول والناسخ والمنسوخ ومجازات القرآن وأجزاء القرآن، وعدد آي القرآن، ومعاني القرآن واعراب القرآن، النقط والشكل للقرآن، فضائل القرآن، قراءة القرآن، تجويد القران.

نعم لم يبق منزع لسهم الا ورمت الشيعة عنه فقد رأيت بام عينك كيف اهتمت هذه الطائفة بكتاب الله من قديم الزمان إلى اليوم وسوف تبقى الطائفة الوفية الأمينة على كتاب الله وأسراره لن تبخل بما عندها ولن تشح بما لديها من خير تقدمه للأمة الاسلامية ولكتاب الله الكريم، وانها اذ تفعل ذلك إنما تفعله بدافع عقيدتها وايمانها بهذا الكتاب الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه وهي تعتقد أن سعادة الأمة الاسلامية لن تكون الا بالعودة الى كلام الله. وامتثال تعاليمه والسير على هديه ففيه الحياة والسعادة وبدونه الهوان والشقاء.

المعجزة الخالدة:

إن الشيعة تذهب إلى أن القرآن هو معجزة النبي الخالدة. المعجزة التي ستبقى ما بقي الدهر وامتدت الحياة وسيبقى صوت القرآن يتحدى كل العرب بل كل الناس ان يأتوا بمثله أو بعشر سور مثله بل بسورة واحدة واستدلالهم على اعجازه فرع إيمانهم بكماله وتمامه وعدم طرو نقصان عليه أو زيادة فيه إن الشيعة في الوقت الذي تؤمن فيه بأن معاجز النبي كانت كثيرة من حنين الجزع اليابس له وتسبيح الحصى في كفه وانشقاق القمر له وغيرها من معاجزه تؤمن في نفس الوقت ان اهم معاجزه واعظمها هو هذا الكتاب الكريم لأنه المعجزة المستمرة التي لا يأتي عليها الزمن الا بالخلود والبقاء، وكلما تقدم الوقت ظهرت اثار اعجازه بشكل أعظم وأكبر وكلما تقدم العلم كشف لنا عن أمور اعجازية تضمنها كتاب الله وكلامه المبين، انه المعجزة الخالدة للرسالة الخالدة. وان اعجازه لم يكن ببلاغته وفصاحته فحسب الذي قال فيه أحد فصحاء العرب عندما طلب منه قومه ان يقول في القرآن فما كان منه إلا أن قال «فما اقول فيه؟ فوالله ما منكم رجل اعلم في الاشعار مني ولا أعلم برجزه مني، ولا بقصيده ولا باشعار الجن. والله ما يشبه الذي يقول شيئاً من هذا ووالله إن لقوله لحلاوة وانه ليحطم ما تحته وانه ليعول ولا يعلى.

فقال أبو جهل: والله[1] لا يرضى قومك حتى تقول فيه.

قال الوليد ـ والد خالد بن الوليد ـ فدعني افكر فيه فلما فكر. قال:

هذا سحر يأثره عن غيره.

نعم لم يكن اعجازه لبلاغته وفصاحته فحسب بل لجوانب كثيرة وامور عديدة منها ما جاء به من المعارف والفنون التي اخترقت حواجز الزمن الذي يعيش فيه لتسبق المستقبل مئات السنين بل آلافه.

حيث جاء بأعلى الحقائق وأوضح المعارف.

ومنها: اخباره بأمور غيبية لا يمكن أن يرصدها الفكر البشري أو يطالها الانسان بمنظاره الاعتيادي كاخباره بموت أبي لهب على الكفر واخباره بغلبت الروم

---

١ ـ نقلاً عن البيان للسيد الخوئي.

على الفرس في بضع سنين وغيرها من الأمور المسطورة في محالها.

وهناك امور اخرى كثيرة تذكرها الشيعة في دلائل اعجاز القرآن لسنا بصدد الاتيان على ذكرها ولكن المهم الذي يجب أن يعرف ان الشيعة تتعهد كتاب الله بالحفظ والتقديس وتدفع عن حرماته كل ما يغض من شأنه وتدفع بنفسها ونفيسها في سبيل تحكيمه وهيمنته وسيطرته على مرافق الحياة كي ينعم المجتمع الانساني بالسعادة والرفعة والرقي..

حجية ظواهر القرآن:

الظواهر بشكل عام حجة فإن اهل المحاورة والعرف يحتج بعضهم على بعض بظاهر كلامهم وهذه طريقة عقلائية سلكها الناس كلهم ولم يشذ منهم أحد وعندما نزل الوحي على النبي لم يسلك طريقاً آخر غيره في تفهيم الناس لمراداته بل تمشى على سيرتهم التي هي المتعارفة عندهم، ان رسول الله لم يخط طريقاً غير متعارف عند العقلاء فلذا خاطبهم بما خاطب بعضهم بعضاً وبما أفهم بعضهم بعضاً، وقد نزل القرآن بلغة العرب واسلوبهم وامرهم بالتدبر فيه والتفكر في آياته.

قال تعالى: ﴿افلا يتدبرون القرآن أم على قلوب[1] اقفالها﴾.

وقال تعالى: ﴿ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل[2] من مدّكر﴾.

وقال تعالى: ﴿هذا بيان للناس وهدى وموعظة للمتقين﴾[3].

ولكن هذه الآيات ليست حجة في جميع القرآن لأن القرآن ليس كله ظاهراً بل فيه المتشابه كما فيه المحكم ﴿منه آياته محكمات هن ام الكتاب وأُخر متشابهات﴾[4] والظاهر يجوز العمل به والاعتماد عليه ولا يلتفت الى دعوى من منع ذلك بدعوى ان القرآن لا يفهمه الا من خوطب به او لا يفهمه الا اهله فإن اهل البيت كانوا يدربون اتباعهم على كيفية استنتاج بعض الأحكام ويعلمونهم كيف يمكن ان يتوصلوا الى فهم معاني القرآن ودقائق تشريعاته، فهذا الإمام الصادق عليه السلام يقول لزرارة لما

---

١ ـ محمد/ ٢٤.
٢ ـ القمر/ ١٧.
٣ ـ آل عمران/ ١٣٨.
٤ ـ آل عمران/ ٧.

قال له: «من أين علمت ان المسح ببعض الرأس؟» قال عليه السلام (لمكان الباء) ويقصدالباء من قوله تعالى ﴿**وامسحوا برؤسكم**﴾[1] فهنا عرّف الامام لزرارة كيف يستفيد الحكم من ظاهر الكتاب.

وكما في قول الامام فيمن عثر فوقع ظفره فجعل على اصبعه مرارة: ان هذا وشبهه يعرف من كتاب الله تعالى: ﴿**وما جعل عليكم في الدين من حرج**﴾[2].

ثم قال امسح عليه.

ثم ان اهل البيت امروا ـبالأخبار المتواترة ـ ان تعرض الأخبار الواردة عنهم على كتاب الله وان ما خالف الكتاب منها يضرب به عرض الجدار او انه باطل او زخرف وهذه الروايات صريحة في حجية ظواهر الكتاب.

وايضاً ان هناك الروايات الآمرة بالتمسك بالثقلين الكتاب والعترة ولا معنى للتمسك بالكتاب الا بالعمل به وهو متفرع على حجيته وفهمه.

نعم لا يجوز التسرع بالعمل بالظواهر دون فحص كامل عن كل ما يصلح ان يصرف هذا الظهور عن ظهوره ـ في الكتاب والسنة ـ من نحو الفحص عن الناسخ والمخصص والمقيد وغيرها من الامور وكذلك لا يجوز للانسان ان يأخذ بظواهر الكتاب اذا لم يكن من اهل المعرفة والاطلاع على كل ما يتعلق بمضمون آياته وما اكثر الابتلاء بالعوام الذين يعمهم الجهل فيحفظون بعض الآيات التي لا يدركون معناها وان ادركوا ذلك جمدوا عليه دون ان تمتد ابصارهم الى غيرها وقد كثر ذلك في عصرنا حتى عند شبابنا الذين لم يفقهوا من دين الله حرفاً واحداً ولم يرزقهم الله فهم كلمة واحدة حيث انصرفوا الى دراسة معلومات الغرب واخذوا يفكرون بعقلية الامريكي المادي والفرنسي الوجودي فضاعوا ما بين الدولار والدينار دون ان يلموا بشيء من اسلامهم وقرآنهم وقد اعجبني موقفاً لأحدهم ممّن تربّى على موائد الغرب وتغذى بدولاره وديناره عندما كنت اخوض معه في نقاش وكان كبيراً في حزب منحرف عن الاسلام، وكان اول ما قام به هجومه على الاسلام وتعاليمه فاجبته بكل بساطة ويسر هل تعرف الاسلام؟ واين درسته؟ ومتى درسته؟ ومن اين اخذته؟ هل تعرف

---

١ ـ المائدة / ٦

٢ـ ٧٨ / الحج

القرآن؟ هل درسته ووقفت على احكامه؟

فأجاب بلكنة غريبة وحيرة شديدة واعتذر انه لم يطلع على القرآن ولم يقرأه ولو مرة واحدة في حياته وانما تلقى هذه التهم عن غيره وتقبلها دون فحص فوعدني عندها بالوقوف بنفسه على الحقيقة ولم أدر بعد ما فعل.

إن الإنسان قبل ان يحتج بالقرآن يجب ان يكون على شيء من المعرفة بكل ما يتعلق بفهم القرآن حتى يصيب في رأيه ويقف على المراد من آيات قرآنه.

واننا نهيب بشبابنا الاسلامين الشباب المثقف الواعي ان يخلو مع نفسه بتجرد واخلاص وينفرد مع ضميره ووجدانه ويتذكر انه يحمل الهوية الاسلامية، الهوية التي تطلب منه ان يعرف اسلامه على حقيقته ان يقف بنفسه على دستور الاسلام ألا وهو القرآن العزيز، القرآن الذي تمسكت به امة محمد في صدرها الأول فحققت معجزة الخلود وسمت على امجاد كسرى وقيصر وبنت اروع الحضارات منذ ابتدأت الدنيا ففي كل آية حياة وفي كل كلمة دماء وفي كل سورة قوة دفع، انه القرآن الذي ما درسه انسان الا وخرج بالقناعة التامة انه الوحي الالهي المنقذ للانسانية من العذاب والضلال،

اننا نهيب بشبابنا الذين اتخذوا غير الاسلام خطاً لهم في الحياة ان يعودوا الى دراسة الاسلام دراسة واعية معمقة دراسة جادة ويتفهموا احكامه وتشريعاته من مصادره الاصلية دون ان يرجعوا في اخذه الى المجتمع المعاش حالياً الذي يدعي الاسلام والاسلام منه بريء ولا الى المتدينين المعقدين الذين لم يفهموا من الاسلام الا انه طقوس فرضها الله لا غير،.

وانا على يقين من ان كل مثقف يريد الحقيقة ويبحث عنها لا بد وان يجد في الاسلام حلول العالم ومشكلاته المعقدة،. ان في الاسلام واحكامه حلاً لجميع المشاكل الفردية والاجتماعية، ولو طبقت احكام هذا الدين بحذافيرها لأخرجت الأرض بركاتها وانزلت السماء خيراتها وعاش الانسان بسعادة دائمة ورفاهية وخير. . . .

شبهة
السجود على التربة الحسينية

الشيعة والتربة الحسينية

لقد أصبحت (التربة الحسينية) من مختصات الشيعة ومن الفوارق التي يعرف بها الشيعي عن غيره، فاذا وضع احدهم تربة أمامه في الصلاة وسجد عليها عُرف أنه من شيعة علي وانصار أهل بيت النبوة وإلا فإنه منحرف عنهم ويتدين بغير مذهبهم.. وقد اخذت العامة على الشيعة هذه النقطة وصاروا يشهّرون بهم ويحملون بشدة وعنف على كل من يسجد على هذه التربة او يحملها ويتبرك بها. ونحن لا نريد في حديثنا إلا أن نكون مؤدبين بأدب القرآن القائل ﴿ولا تستوى الحسنة ولا السيئة[1] ادفع بالتي هي احسن فإذا الذي بينك وبينه عداوة كأنه ولي حميم﴾ والقائل: ﴿. . . وإنا أو إياكم لعلى هدى أو في[2] ضلال مبين ﴾ والدفع بالتي هي أحسن أو بيان الهدى الى اي جانب يكون لا يتحقق الا بطرح المسألة بصورة واضحة فنذكر دليل الشيعة على مدعاهم ـ من جواز السجود على هذه التربة ـ فان قدموا ما هو مقنع ومفيد ـ ولا بد وان يكون مقنعاً ومفيداً ـ وكان دليلاً وبرهاناً على مدعاهم فيجب على المهاجم ان يكف عن هجومه ويتقي الله ويتوب إليه، والا فيجوز له ان يناقش حتى يتبين له وجه الحق مبتعداً في ذلك كله عن السباب والقذف والتهم والشتائم، بل يسلك مسلك المسلمين الذين أمرهم الله بكتابه العزيز بقوله: ﴿وجادلهم[3] بالتي هي احسن﴾ أو قوله ﴿وقل لعبادي[4] يقولوا التي هي أحسن﴾.

---

١ ـ فصلت / ٣٤ .

٢ ـ سبأ / ٢٤ .

٣ ـ النحل / ١٢٥ .

٤ ـ الإسراء / ٥٣ . .

وإلا فإن الشتائم والسباب لم تدعما حقاً ولم تدفع باطلاً وان التهم والاقاويل الباطلة لم نسمع في يوم ما ان أصحابها انتصروا أو فازوا باستعمالها وما اجدرنا ان نقتفي اثر القرآن في قوله: ألم تر كيف ضرب الله مثلاً كلمة طيبة كشجرة طيبة اصلها ثابت[1] وفرعها في السماء. . .

ومثل كلمة خبيثة كشجرة خبيثة[2] اجتثت من فوق الأرض مالها من قرار. . . ما اجدرنا اليوم ان نعمل بقوله تعالى ﴿ان هذه[3] أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاعبدون﴾.

اننا جميعاً نعبد الله وحده لا شريك له، ونؤمن بأن محمداً عبده ورسوله وبهذا الشعار ﴿لا اله الا الله محمد رسول الله﴾ استطعنا ان نقف في وجه الطغاة والظالمين من ابناء الكفر والصليبيين وحققنا للاسلام عزته وللمسلمين كرامتهم، بهذا الشعار ووحدته والتفاف المسلمين حوله خلقنا المعجزات وارهبنا الاعداء وبسط الاسلام جناحيه على شرق الأرض وغربها وحقق اعظم الحضارات واروعها. .

ولكن الاستعمار قد سعى بكل ما أوتي من قوة ودهاء ومكر وخداع إلى نشر بذور الفرقة بين المسلمين وسلك جميع السبل الملتوية واتبع اسلوب فرّق تسد طمعاً في السيطرة على بلادنا وامتصاص خيراتنا واستعبادنا واستذلالنا .

إنه عرف ان وحدة المسلمين ستقف سداً منيعاً في وجه مطامعه وطالما أن المسلمين يشكلون جسداً واحداً فلن يستطيع تحقيق مآربه الخبيثة ونواياه السيئة، فلذا عمد الى نقاط الضعف عند المسلمين وتصور ان منها يستطيع الدخول لتمزيق الوحدة الاسلامية والكيان الاسلامي الكبير فحاول جهده ان يجعل كما يقال (من الحبة قبة) ويحول الفرع اصلاً والقشة جذعاً، لقد عمد الى موارد الافتراق التي يتميز بها مذهب عن آخر في بعض الفروع الفقهية التي يكون الخلاف فيها شيئاً طبيعياً فحاول تكبير حجمها وتوسيع دائرتها وتعميق الفتيل الذي يشعل النار فيها فأخذ يذكي نار الفتنة من حين لآخر بين الأخوة المسلمين، والمسلمون غافلون عن ذلك

---

١ - ٢ - ابراهيم / ٢٥ -

٣ - الانبياء / ٩٣ .

فاخذ كل منهم يتعصب الى مذهبه ويطعن بمذهب غيره حتى ان تلك الخيالات والأوهام وتلك الأماني التي رجاها المستعمر ونثرها رجاء الفتنة قد اثمرت حيث تمسك بها متعصبة المذاهب وجهالها وتلقفوها كما صدرت من المستشرقين الحاقدين والمستعمرين الطامعين دون ان يلتفتوا الى الاخطار التي تخلقها تلك الاقاويل والبذور السيئة، انهم تقبلوها دون الرجوع الى البحث والتدقيق والوقوف على الحقيقة التي يصل اليها الانسان متى بحث وفحص..

وقد كان من تلك الشبهات التي سرت الى اخواننا في الدين مسألة السجود على التربة الحسينية فقد اخذ هذا الوضع من غير الشيعة مأخذاً كبيراً ورموا من يدين بالسجود عليها بالكفر تارة وبالشرك اخرى والخروج عن الدين ثالثة حتى تطور بعضهم في دعواه فتصور اننا نعبدها، جهلاً منهم بالحقيقة او افتراء وبهتاناً. وقد كنا بغنى عن البحث في ذلك ولكن لتتضح الرؤية جيداً وتزول الغشاوة التي حجبت رؤية الحق وسماع صوت العدل وجب علينا ان نطرح المسألة للمناقشة العلمية كي نصل الى الحقيقة فيقف عليها اخواننا الذين لا اطلاع لهم، او كان لهم اطلاع ولكنه غير كافٍ، او اطلاع مقرون بالشبهات فتزول الشبهة ويتم الاطلاع ويقودهم البحث الى معذرية من يتخذ التربة الحسنية مسجداً له بل يقودهم الى السجود عليها بكل اطمئنان وثقة وراحة ضمير وبال لوجود الحجة الشرعية على جواز ذلك.

وقبل البدء بالبحث أحب ان اقدم عدة امور يجب معرفتها لأن الحديث بها يستكمل جميع جوانبه.

الأول:

يجب أن يعلم ان هذه التربة الحسينية مصنوعة من التراب ولا يوجد فيها اي خليط آخر، بل تراب صب عليه الماء وقولب بالشكل الذي يراد فتارة يأخذ الشكل المربع واخرى المستدير وثالثة المستطيل ورابعة المسدس وهكذا، وهذه حقيقة بديهية لا تحتاج الى بحث طويل وتعب ومشقات بل الى تجربة بسيطة بتحليل هذه التربة بشيء من الماء فيتضح ما أقول وتظهر صحته.

الثاني:

ان الشيعة تسجد على هذه التربة ولا تسجد لها فان من اصول مذهب اهل

البيت الذي يتدين به الشيعة عبادة الله وحده لا شريك له ولا تجوز عبادة احد من الناس نبياً كان أو اماماً ام ولياً ومن عبد مع الله احداً فهو مشرك يلحق بالكافرين ويخرج عن دائرة المسلمين، والشيعة تسجد على هذه التربة ولا تسجد لها وفرق كبير بين المعنيين فإن في المعنى الأول- السجود على التربة- يمتثل المسلم امر الله بالسجود له المتمثل بوضع جبهته على التربة الحسينية أو الأرض بينما في المعنى الثاني- السجود للتربة- كفر وخروج عن الاسلام ولا يجوز ذلك بحال وان من مبادىء الشيعة واوليات تعاليمهم الحكم بكفر من اتخذ مع الله الهاً آخر شريكاً له او جحد ربوبية الله. وتلك كتبهم الكلامية بأسرها قد تعرضت لذلك واسهبت في البحث والتدقيق ابتداء بشرح الباب الحادي عشر وانتهاء بالاسفار والفلسفة العليا، فانظر اليها وسرح بصرك فيها فإنك تجد التنزيه لله تعالى عن كل النقائص وتجد التوحيد له بارفع ما يكون واصفى ما يكون كما نزل على رسوله محمد (ص) وتلقاه منه أئمة الهدى قال الشيخ المظفر في عقائد الامامية- وهو من ابسط كتب العقائد واوضحها لدى الشيعة وهو يشرح عقيدتنا في الله وتوحيده قال:

نعتقد ان الله تعالى واحد احد ليس كمثله شيء قديم لم يزل ولا يزال هو الأول والآخر عليم حكيم عادل حي قادر غني سميع بصير ولا يوصف بما توصف به المخلوقات فليس هو بجسم ولا صورة وليس جوهراً ولا عرضاً ليس له ثقل او خفة ولا حركة أو سكون ولا مكان ولا زمان ولا يشار اليه كما لا ند له ولا ضد ولا صاحبة له ولا ولد ولا شريك ولم يكن له كفواً احد[1] لا تدركه الأبصار وهو يدرك الابصار وتعتقد بانه يجب توحيد الله تعالى من جميع الجهات فكما يجب توحيده في الذات ووجوب وجوده كذلك يجب ثانياً توحيده في الصفات وذلك بالاعتقاد بان صفاته عين ذاته ... وكذلك يجب توحيده في العبادة فلا تجوز عبادة غيره بوجه من الوجوه وكذا اشراكه في العبادة في اي نوع من أنواع العبادة واجبة أو غير واجبة في الصلاة وغيرها من العبادات ومن اشرك في العبادة غيره فهو مشرك كمن يرائي في عبادته ويتقرب الى غير الله تعالى وحكمه حكم من يعبد الاصنام والاوثان لا فرق بينهما.

فانظر ايها الاخ المسلم هل تجد اروع من هذا التوحيد واصفى منه؟ هل هناك

---

١ - عقائد الامامية ص ٣٦ .

فرقة مسلمة تبلغ في توحيدها اكثر من هذا او تتجاوزه؟ وهل هناك من غبار على هذا الكلام او ضباب حوله؟ انه صدر من أحد مجتهدي الشيعة الكبار وهو ليس ناقلاً لرأيه الشخصي واجتهادي الفردي، انه ينقل اعتقاد الشيعة ورأيهم، ينقل ما يعقدون عليهم قلوبهم وتوصلت اليه عقولهم وجاء به رسول الله وخاتم النبيين .

وإذا اردت المزيد من ذلك وسعة الاطلاع على هذا الحديث فهلم الى كتب الشيعة الفقهية فانك تجد كيف بحثوا الموضوع بجد وتدقيق واشبعوا الكلام في تعين المشرك وتحقيق الاشراك ومتى يكون الفرد مشركاً وانهم بحثوا في الارتداد ومتفرقاته وما يلحق به من احكام ومتى يتحقق الارتداد وبماذا يحصل.

انظر اليها لتقف بنفسك على ان الشيعة أئمة التوحيد الخالص، الخالص من كل شائبة شرك او الحاد،فالله واحد أحد لا شريك له ولا ند،يتصف بكل صفات الكمال وينزه عن جميع صفات النقص والاحتياج .

وان الشيعة تحكم بكفر من يتخذ غير الله رباً كما تحكم بكفر من اتخذ معه شريكاً وذلك نداؤها يملأ الخافقين ويعم المشرقين ويرتفع عند كل تشـهد قائلة: اشهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك له وإشهد ان محمداً عبده ورسوله، وان كتبها الفقهية وفتاوى علمائها صريحة واضحة بكفر الغالي- الذي يجعل علياً أو أحد الأئمة رباً- كما تحكم بكفر القالي: المبغض لعلي- طبقاً لما صرح به النبي نفسه حيث قال: يا علي يهلك فيك اثنان محب غال ومبغض قال، فمن نصب الحرب والبغض لعلي بمستوى من جعله رباً، كلا الرجلين كافر نجس ليس له في الاسلام نصيب ولا قدم صدق. .

هذا هو اعتقاد الشيعة ورأيهم بصراحة ووضوح ومن اعجب الأمور واغربها وما يحز في نفوسنا ويقلقنا ان يتفوه بعض المنحرفين ومن في قلوبهم مرض وغل فيرمون الشيعة بما هم براء منه ولا يرونه من معتقداتهم.

إن وقاحة هؤلاء القوم وشراستهم، ان عدم تقواهم وورعهم يدفعهم في كثير من الأحيان إذا وجدوا من يصلي ساجداً على هذه التربة الحسينية ان يرموه بالشرك والخروج عن الدين وقد سمعنا ذلك اكثر من مرة وقرعت آذاننا هذه الكلمات الخارجة عن الدين سمعناها في بلاد تدعي انها تحكم باسم الاسلام- والاسلام من حكمها بريء- سمعناها كثيراً وقمنا بشرح الحديث وتفصيله ولكن كما يقال: «على

من تقرأ زبورك يا داود» وان اكبر اعتقادي ان علماء السوء وانصاف المتفقهة ارادوا التشنيع على الشيعة والحط من مذهبهم فعمدوا الى اتهامهم بالشرك وعبادة هذه التربة التي يسجدون عليها، وإلا فإن من له ادنى مسكة من دين او ذرة من عقل أو ضمير او كان له ادنى اطلاع على مذهب الشيعة يرى سخافة تلك التهمة وقلة بضاعة المروجين لها.

ان بعض الناس يسهل عليه رمي المسلمين بالكفر، انه يتصور انها كلمة سهلة يسيرة دون ان يعرف اثرها وما تتركه من عواقب في نفوس من رماهم، انه يغفل عن قوله تعالى: ما يلفظ من قول الا لديه رقيب عتيد، انه يغفل عن حساب الله وسؤاله عن صحة هذه التهمة وعدم صحتها، ولو كان يؤمن بالله ورسوله حق الايمان لمنعه ايمانه من رمي احد من الناس بالكفر الا بعد ان ينجلي له الأمر كالشمس وانى هذا من قوم تشهد السنتهم بالتوحيد وتُعقد ضمائرهم وقلوبهم على الايمان بالله ورسوله وحبهما والجهاد في سبيل اعلاء كلمة الاسلام.

نعم أن بعض من لا يرى اكثر من ارنبة انفه يسهل عليه رمي المسلمين بالكفر وقد رأينا ذلك كثيراً في بعض البلاد، فإن قبّل المسلم ضريح النبي الأعظم (ص) قالوا له: لا تشرك، وان زار قبور الصالحين وتبرك بها ودعا الله عندها سمعتهم يقولون باعلى اصواتهم: لا تشرك، وان رأوك سجدت على التربة الحسينية قالوا لك لا تشرك وهكذا..

إن هؤلاء القوم لا يفقهون من الاسلام شيئاً إلا هذه الألفاظ التي لا يدركون معناها ويظنون انهم يخدمون الاسلام بها، بينما هي اشد ضرراً من الوباء واقوى فتكاً من القنابل في تفكيك عرى المسلمين وتفتيت وحدتهم وتفريق جمعهم...

اننا نقول لهؤلاء واضرابهم ومن على شاكلتهم، ايها القوم تفقهوا في دين الله ولا تكونوا أعراباً اجلافاً، تفقهوا اولاً وافهموا اسلامكم على حقيقته واطلعوا على عقائد غيركم ومعتقداتهم وعندها افتوا بكفر هذا واسلام ذاك، وان كان عندكم ذرة من ورع ودين فارجعوا الى صحيح البخاري اصح الكتب واوثقها عندكم وانظروا ماذا يقول وما يوجد في طياته وانا انقل اليكم بل الى المسلمين عامة كي لا تغروهم باقوالكم انقل اليهم بعض ما يهمنا وما يتحقق به اسلام المرء.

١ـ روى البخاري بسنده: قال رسول الله (ص) من شهد ان لا اله الا الله

واستقبل قبلتنا وصلى صلاتنا واكل ذبيحتنا فذلك المسلم له ما للمسلم وعليه ما على المسلم.

٢ـ وفي صحيح البخاري أيضاً بالاسناد الى نافع ان رجلاً اتى ابن عمر فقال يا ابا عبد الله ما حملك على ان تحج عاماً وتعتمر عاماً وتترك الجهاد في سبيل الله وقد علمت ما رغب الله فيه؟قال: يا ابن اخي بني الاسلام على خمس: ايمان بالله ورسوله، والصلاة والخمس، وصيام رمضان، واداء الزكاة وحج البيت.

٣ـ روى البخاري في صحيحه بالاسناد الى ابن عباس ان النبي (ص) قال لوفد عبد القيس (لما امرهم بالايمان بالله وحده) اتدرون ما الايمان بالله وحده؟ قالوا: الله ورسوله اعلم. قال: شهادة ان لا اله الا الله وان محمداً رسول الله واقام الصلاة وايتاء الزكاة وصيام رمضان وان تعطوا من المغنم الخمس.

هذه بعض الاحاديث فيها الكفاية ولا نحتاج الى الاتيان على جميع ما ورد بهذا المضمون وهذه صريحة واضحة لكل انسان يعرفها كل من قرأها ويفقهها كل من مرت عليه.

وهنا هلم الى الشيعة لترى هل يقصرون في ذلك او يتهاونون بشيء منه انظر لايمانهم بالله ورسوله فانك تجدهم كأروع المؤمنين واصدقهم ايماناً، فقد خالط الايمان بالله ورسوله قلوبهم ودماءهم وعاش في نفوسهم وافئدتهم ورضعوه مع لبنهم، فهم فطريون على ذلك غذتهم به امهاتهم وهم أجنّة وعليه تربوا وعاشوا وعليه يموتون، واما الصلاة فانظر الى كتبهم وما دونوه فيها والقي نظرة بسيطة على كتاب الوسائل للحر العاملي فتجد ان ما ورد في الصلاة بخصوصها استغرق ثلاثة مجلدات كل مجلد تربو صفحاته على خمساية صفحة يذكر فيها كل ما يتعلق بالصلاة من احكامها وشرائطها وواجباتها وموانعها وغير ذلك.

وان الصلاة بالنسبة الى الشيعة من اهم الواجبات واعظمها.

١ـ فقد روى صاحب الوسائل عن علي(٤) قال: قال رسول الله (ص) ان عمود الدين الصلاة: وهي اول ما ينظر فيه من عمل ابن آدم فإن صحت نظر في عمله وان لم تصح لم ينظر في بقية عمله.

٢ ـ وروي عن ابي عبد الله عليه السلام قال: جاء رجل الى النبي (ص) فقال: يا

رسول الله(ص) او صني : فقال : لا تدع الصلاة متعمداً فإن من تركها متعمداً برئت منه ملة الاسلام .

٣ـ عن ابي عبد الله عليه السلام عن أبيه عن جابر قال : قال رسول الله (ص) ﴿ما بين الكفر والايمان الا ترك الصلاة﴾

وهيا ثني بلفته نحو الحج وانظر الى ما ورد في حق المنكر له او المسوّف لادائه فهذا الامام الصادق عليه السلام يقول :

من مات ولم يحج حجة[١] الاسلام ، لم يمنعه من ذلك حاجة تجحف به او مرض لا يطيق فيه الحج او سلطان يمنعه فليمت يهودياً او نصرانياً .

وهذا حديث رسول الله القائل : من مات ولم يحج فلا عليه أن يموت يهودياً أو نصرانياً[٢] .

وهنالك المجلدات الكبار التي سبرت كل حركات الحاج وتصرفاته ما وجب عليه وما استحب له ، كل الشروط التي يجب ان تتوفر في ذلك المهاجر إلى الله وهناك مئات الآلاف من الشيعة التي تقصد البلد الحرام من جميع انحاء الدنيا من ايران والافغان والباكستان ولبنان وسورية وغيرها من اقطار العالم كلها تخرج وفي قلوبها لوعة للقاء تلك الاماكن المقدسة والمشاعر المباركة وان بعض الشيعة لا يكتفي بحجته الواجبة التي هي في العمر مرة بل يكررها اكثر من ذلك وعند بعضهم من الاغنياء المؤمنين يجعلون رحلتهم الى الحج رحلة سنوية يتقربون الى الله بتلك الأماكن المقدسة التي شع منها أول نور للاسلام وبزغ فيها فجر الرسالة التي انقذت العالم . .

وهكذا يا اخي لو اتيت الى سائر ابواب الفقه الشيعي لرأيت ما يسرك ويريح ضميرك ، لو رجعت بنفسك الى تلك المدونات الثمينة لرأيت الفقه الاسلامي بصيغته الرائعة الكاملة التي تعرض التشريع فيها الى سائر ابواب الفقه من الطهارة والصلاة والزكاة والحج والخمس والجهاد والتجارة والزراعة والمضاربة ، الى آخر الحدود والديات . . إن هذا الفقه الشيعي لم يكن وليداً دخيلاً على الاسلام او لقيطاً

---

١ ـ ٢ ـ الوسائل ابواب وجوب الحج باب ٧ حديث ١ ـ ٥ .

من قوانين متفرقة وضعها الضعف البشري والامكان الانساني، بل هي نتيجة وحي السماء الذي نزل على قلب محمد وتشريع الله ودستوره الذي وضعه لسعادة الناس ورفاهيتهم.

أدعوك أيها الأخ ان تتكرم بنظرة ـ ولو سريعة ـ على ما عند الشيعة من تراث فقهي ضخم ولا اظن انه يوجد له مثيل عند غيرهم، انظر الى ذلك التراث وتلك الآراء وقارن بينها وبين غيرها فستعجب وستُكبر تلك الجهود الاسلامية التي بُذلت في سبيل تحقيق الحق والوصول الى الصواب فاماطة اللثام عن الغبار والشبهات التي اثارها الحاقدون على الاسلام او الجاهلون به.

اني وجلال الحق وعزته يهزني من الاعماق ان يجهل المسلم السني ما عند اخيه المسلم الشيعي من فقه وتشريع وما يعتمد عليه من اسس ومرتكزات لأن هذ الجهل هو وحده الذي اوجب الكثير من التهم وسوء الظن والاقاويل الباطلة، وان كتب الشيعة ميسرة مبذولة في المكتبات وقد طبعت على احدث الآلات وبأحسن الاخراج فما على الأخ السني إلّا ان يبذل بعض وقته ليحصل على نتيجة ترضيه في حياته وفي آخرته..

الثالث: يجب ان يُعرف ان الشيعة لا تقصُر السجود على هذه التربة الحسينية ولا تحصره فيها بل تقول بجواز السجود على الأرض، . فكل ما اطلق عليه اسم الارض صح السجود عليه فيجوز السجود على الحجر والمدر والرمل والحصى وغيرها مما يعد ارضاً كما يجوز السجود على ما تنبت الأرض شرط ان لا يكون مأكولاً او ملبوساً. وقد تعرضت لذاك مجاميعهم الفقهية وموسوعاتهم التشريعية كالشرائع واللمعة والجواهر والحدائق والمستمسك وغيرها من امهات الكتب وموسوعات المذهب . فمن أراد التثبت يمكنه مراجعة ذلك والتحقق منه.

نعم قد منع مذهب اهل البيت من السجود على الملبوس والمأكول فالثياب والفرش والسجاد والبسط والخس والخبز واللفت وغيرها يمنع السجود عليها.

وان هذه النقطة هي قطب الرحى التي دار الاختلاف فيها بين الشيعة وغيرهم، حيث ذهب الشيعة الى المنع من السجود على ذلك بينما اباح غيرهم السجود عليه، ونحن هنا نستعرض الأدلة لنرى وجه الحق كي نتمسك به ونتبع خطاه، وليس بين الحق وبين احد من الناس عداء، بل الحق احق ان يتبع.

إن من المتفق عليه بين المذاهب بأسرها والمجمع عليه من قبل الامة الاسلامية على اختلاف مشاربها وتعدد جهاتها جواز السجود على الأرض وان من سجد على ما يسمى أرضاً كان ممتثلاً لأمر الله تعالى وقد جاءت السنة الشريفة بتشريع ذلك وبيانه حيث ورد عن النبي (ص) قوله: «جعلت لي الأرض مسجداً وطهوراً»

وقد تعددت الأحاديث التي صدرت عن صاحب الشريعة بهذا المضمون كقوله (ص) «جعلت لي الأرض كلها مسجداً وطهوراً» الوارد في صحيح الترمذي او ما ورد في صحيح البخاري ومسلم وباقي الصحاح من قوله (ص): «جعلت لي الأرض طيبة ومسجداً وايما ادركته الصلاة صلى حيث كان»، وفي لفظ مسلم «جعلت لنا الأرض كلها مسجداً وطهوراً» .

فهذه الروايات تصرخ وتنادي للملأ من المسلمين بجواز السجود على الأرض ومن أظهر مصاديق ذلك: «التراب» الذي يعيش عليه الانسان اكثر ايامه ويمارس فوقه الكثير من اشغاله ومقتضى ما اسلفناه في المقدمة الثانية من كون التربة الحسينية مصنوعة من التراب فيكون السجود عليها احد افراد الطاعة التي بها يمتثل المسلم امر الله تعالى والساجد عليها بدون شك من الذين اطاعوا الله يقيناً في هذا الفرد من التكليف، وإذا اردنا ان نكوّن قياساً منطقياً ونتكلم بلغة الصغرى والكبرى نقول: لا اشكال في جواز السجود على الأرض والتربة الحسينية من الأرض لأنها تراب.

فالنتيجة جواز السجود على التربة الحسينية.

ثم انّ هناك عمل النبي الذي يكشف بوضوح عن سيرته التشريعية التي تبيح للمسلمين السجود على الأرض فقد ورد.

ـ عن عائشة قالت: ما رأيت رسول الله (ص) متقياً وجهه بشيء تعني في السجود. .

فإن هذا الحديث يدل على ان سيرة رسول الله (ص) كانت مستمرة على ذلك وهو يدل على الواجب ولو كان الأمر للندب لجاز له صلوات الله عليه ان يتخلف ولو في بعض المرات عن هذه العادة.

ـ وعن أبي سعيد الخدري كما في صحيح البخاري: رأيت رسول الله (ص) يسجد في الماء والطين حتى اثر الطين في جبهته.

ـ وفي مسند أحمد عن وائل قال: رأيت رسول الله (ص) يسجد على الأرض واضعاً جبهته وانفه في سجوده.

ثم ان المسلمين تسلّموا هذه السيرة عن صاحب الرسالة وقد كان عملهم عليها فلم يكونوا يسجدون الا على الأرض فقد ورد:

ـ عن أبي عبيدة ان ابن مسعود لا يسجد ـ أو قال لا يصلي الا على الأرض.

ـ وعن ابي امية ان [1] ابا بكر كان يسجد او يصلي على الأرض مفضياً اليها.

هذه بعض تلك الآثار الدالة على ذلك مما ورد من متابعة المسلمين لرسول الله (ص) في عمله فالنتيجة انه لا اشكال في جواز السجود على التربة الحسينية عملاً وسلوكاً فضلاً عنه تشريعاً وتقنيناً. ثم ان الشيعة كما قلنا تعمّم السجود على كل ما يسمى ارضاً فتجوّز السجود على الحجر والمدر والحصى وقد اورد البيهقي عن جابر بن عبد الله الانصاري ما يصرح بذلك حيث قال:

كنت اصلي مع رسول الله (ص) صلاة الظهر فآخذ قبضة من الحصى في كفي حتى تبرد واضعها بجبهتي اذ سجدت من شدة الحر وهذا المضمون ورد عن انس بن مالك حيث ذكر صاحب السنن الكبرى عنه قوله: كنا نصلي مع رسول الله (ص) في شدة الحر فيأخذ احدنا الحصباء في يده فإذا برد وضعه وسجد عليه.

بل الشيعة تقول ايضاً بجواز السجود على كل ما انبتت الأرض شرط ان لا يكون مأكولاً او ملبوساً وقد ورد عن النبي (ص) جملة من الأحاديث التي تدل على ذلك.

ففي صحيح البخاري عن انس بن مالك ان جدته مليكة دعت رسول الله (ص) لطعام صنعته له فأكل منه ثم قال: قوموا فلأصلي لكم، قال انس: فقمت الى حصير لنا قد اسود من طول ما لبس فنضحته بماء فقام رسول الله (ص) وصففتُ واليتيم وراءه والعجوز من ورائنا.

وعن ابن عمر كان رسول الله (ص) يصلي على الخمرة[2] ويسجد عليها وعن

---

١ ـ السنن الكبرى للبيهقي.

٢ ـ الخمرة: حصير صغير من سعف النخل يتخذ للصلاة.

ابي سعيد الخدري انه دخل على النبي (ص) فرأيته يصلي على حصير يسجد عليها.

فهذه الأحاديث تكشف ان السجود كان على شيء غير مأكول ولا ملبوس، فإن الخمرة والفحل[1] كلاهما مما لا يصلح لذلك ولم يذكر فيما ورد عن رسول الله ما يجوّز السجود على الملبوس الا في حال الضرورة. من برد او حر شديدين كما ورد في صحيح مسلم عن انس بن مالك حيث قال: كنا نصلي مع النبي (ص) في شدة الحر فإذا لم يستطع احدنا ان يمكّن جبهته من الأرض بسط ثوبه فسجد عليه.

فإن هذا الحديث يكشف ان الاصل الاولي في السجود يجب ان يكون على الأرض، وانما كان العدول عنها لأمر اضطرهم الى ذلك وهو شدة الحر.

وهذا المعنى هو ما استفاده الشوكاني - من السنة - حيث قال: الحديث يدل على جواز السجود على الثياب لاتقاء حر الأرض وفيه اشارة الى ان مباشرة الأرض عند السجود هي الأصل لتعليق بسط الثوب بعدم الاستطاعة.

وعلى هذا المعنى ايضاً يدل حديث انس الوارد في صحيح ابن ماجه حيث قال: كنا اذا صلينا خلف رسول الله (ص) بالظهائر[2] سجدنا على ثيابنا اتقاء الحر.

ولم يذكر فيما نعلم ما يدل على جواز السجود على الثياب والفرش والبسط - الا ضعيفاً في الحال الاعتيادية وانما كان كل ما ورد ينحصر في حال الضرورة بل يمكن ان نقول ان بعض الاحاديث منعت من السجود على غير الأرض حتى في حال الضرورة.

ففي مسند الامام أحمد عن انس بن مالك قال: كنا نصلي مع رسول الله (ص) صلاة الظهر وآخذ بيدي قبضة من حصى فأجعلها في يدي الأخرى حتى تبرد ثم اسجد عليها من شدة الحر وقد فهم البيهقي من هذا الحديث وعلق عليه بقوله: قال الشيخ ولو جاز السجود على ثوب متصل به لكان ذلك اسهل من تبريد الحصى في الكف ووضعها للسجود عليها. بل ورد المنع حتى في كتب اللغة، قال ابن منظور في لسان العرب عند ذكره لمادة شكا قال: وفي الحديث: شكونا إلى رسول الله (ص) حر

١ - الفحل: حصير كبير مصنوع من سعف النخل.

٢ - الظهائر: جمع ظهيرة وهي شدة الحر نصف النهار.

الرمضاء فلم يُشكِنا، ونقل صاحب اللسان في نفس المادة عن ابن الأثير قوله: وقال ابن الأثير. . . والفقهاء يذكرونه في السجود فانهم كانوا يضعون اطراف ثيابهم تحت جباههم في السجود من شدة الحر فنهوا عن ذلك، وانهم لما شكوا اليه ما يجدونه من ذلك لم يفسح لهم ان يسجدوا على طرف ثيابهم.

فهذه الأحاديث الواردة عن طريق اخواننا السنة تصرح انه لا يجوز السجود على الملبوس من الثياب ويعاضدها ما ورد في لسان العرب من تفسير لكلمة شكا ويساند ذلك ثالثاً انه لم يذكر من الاحاديث ما يعم السجود على كل شيء الا بعض الأحاديث التي لم يصح منها الا النادر الذي لا يمكنه معارضة الاحاديث الصحيحة المانعة من السجود على غير الأرض او ما انبتت شرط ان لا يكون مأكولاً او ملبوساً. ويضاف الى ذلك كله ما قامت عليه سيرة النبي من كون المساجد لم تكن تفرش في عصره صلوات الله عليه بما تفرش به اليوم من بُسط وسجاد حتى نستفيد الجواز والرخصة في السجود عليها. فان كل ذلك يؤكد ان السجود على ما يلبس كما يفعله العامة بدعة محرمة لم يكن لها في السنة النبوية سند ولم يكن له عين ولا أثر، ويكون الحق الى جانب من منع من السجود عليها واقتصر في سجوده على الأرض او ما انبتتّ شرط ان لا يؤكل ولا يُلبس فانه القدر المتيقن الذي به يحصل فراغ الذمة دون غيره فان ذمة المرء لا يعلم بفراغها بالسجود عليه، وهذا هو الصحيح المعتمد عليه بالنسبة لمذهب اهل البيت، واهل البيت ادرى بالذي فيه، وقد صحّت الروايات بل تواترت بتحديد ما يسجد عليه في الصلاة واقتصر التحديد على ما ذكرنا ولا يجوز التعدي عنه الى غيره لأن العبادة من الأمور التوقيفية التي لا يجوز الزيادة فيها او النقيصة منها بل يجمد فيها على الكيفية الخاصة التي وردت عن الشارع المقدس فكما لا يجوز للمرء ان يزيد في صلاة الصبح ركعة ثالثة عن الركعتين الواجبتين وتعد الصلاة بهذه الزيادة باطلة بحكم العدم كذلك لا يجوز السجود على غير الأرض او ما انبتت بشرط ان لا يكون مأكولاً او ملبوساً ومن تعدى ذلك خرج عن الحدود الشرعية التي رسمها الشارع وسنها لعباده

وهذه بعض تلك الأخبار التي حددت وجوب السجود على ما يسمى ارضاً فحسب ورفضت ما عداها نذكرها للتبرك بعد البيان.

١ ـ عن هشام بن الحكم انه قال لأبي عبد الله عليه السلام: أخبرني عما يجوز السجود

عليه[1] وعما لا يجوز قال: لا يجوز الا على الأرض او على ما انبتت الأرض الا ما اكل ولبس.

٢ ـ عن ابي عبد الله عليه السلام[2]: السجود على ما انبتت الارض الا ما اكل او لبس.

٣ ـ عن زرارة عن ابي جعفر عليه السلام قال: قلت له: اسجد على الزفت يعني القير؟ فقال: لا ولا على الثوب الكرسف ولا على الصوف ولا على شيء من الحيوان ولا على طعام ولا على شيء من ثمار الأرض ولا على شيء من الرياش.

وهناك أحاديث كثيرة منثورة في الوسائل وكتب الحديث الاربعة ـ الكافي والتهذيب والاستبصار ومن لا يحضره الفقيه ـ تدل على عدم جواز السجود على الملبوس وكذا يمنع السجود على المأكول وقد دلت الرواية الثالثة السابقة على ذلك وعللت رواية هشام بن الحكم عدم جواز السجود على المأكول حيث سأل الامام الصادق بقوله: اخبرني عما يجوز السجود عليه وعما لا يجوز: قال: السجود لا يجوز الا على الأرض او ما انبتت الا ما اكل او لبس فقال له: جعلت فداك ما العلة في ذلك؟ قال: لأن السجود خضوع لله عز وجل فلا ينبغي ان يكون على ما يؤكل ويلبس لأن ابناء الدنيا عبيد ما يأكلون ويلبسون والساجد في سجوده في عبادة الله عز وجل فلا ينبغي ان يضع جبهته في سجوده على معبود ابناء الدنيا الذين اغتروا بغرورها.

ومن هنا قد افتى الفقهاء بوجوب السجود على الأرض وهذا الفقيه الكبير السيد اليزدي في عروته يقول في فصل ـ مسجد الجبهة من مكان المصلي ـ يشترط فيه مضافاً الى طهارته ان يكون من الارض او ما انبتت غير المأكول والملبوس، نعم يجوز على القرطاس أيضاً فلا يصح على ما خرج عن اسم الأرض كالمعادن مثل الذهب والفضة والعقيق والفيروزج والقير والزفت ونحوها. وكذا ما خرج عن اسم النبات كالرماد والفحم ونحوهما ولا على المأكول والملبوس كالخبز والقطن والكتان ونحوها ويجوز السجود على جميع الاحجار اذا لم تكن من المعادن.

---

١ ـ ٢ ـ الوسائل باب[1] من ابواب ما يسجد عليه.

فهذا نص فتوى هذا الفقيه الكبير وفيها التعبير الكافي والبيان الوافي قد استمدها من النصوص الواردة عن المعصومين الذين لا يعدلون عن الحق ولا يخطئون فيما يقولون.

بقي أمر مهم يجب التعرض له والالمام به: وهو ان الشيعة تتخذ من تراب كربلاء ما تسجد عليه، انها تتخذ في سفرها وحضرها تربة يضعها المصلي قبالته ويسجد عليها..

فما هو السبب المسوغ لحملها والعناية بتلك التربة والاحتفاء بها؟

ما هي الدواعي الشيعية التي اوجبت احترام هذه التربة كي يحملوها في اسفارهم في بعض الأحيان أو يحتفظوا بها في الاماكن النظيفة الطاهرة في حواضرهم؟.

ونجيب على تلك التساؤلات وغيرها مما يخطر على قلب بعض المسلمين الذين يريدون الحقيقة ويبغون الوقوف عليها بصراحة. فنقول:

أولاً: ان سر احتفاء الشيعة بهذه التربة هو ما عليه من الطهارة المؤكّدة لها فإن المواضع والاماكن التي يؤمها الناس تختلف وكثير منها لا يعلم طهارته ـ وخصوصاً في زماننا هذا الذي لا يرعوى الضال ولا يعود التائه ولا يعرف الكثير من ابناء الاسلام الطهارة من النجاسة ـ فإنه يغلب على الظن فيما يرتاده الناس عدم الطهارة فإن الفنادق التي يتردد عليها ويختلف اليها في كل يوم مختلف الاشكال والالوان من الناس، منهم المسلم والآخر الكافر والثالث الشارب للخمر والرابع المتهتك وغيرها من الأصناف والانواع، كيف يؤتمن على طهارتها؟ وكيف يطمئن الانسان ان يضع جبهته التي هي عنوان عزته ويريد بسجوده ان يخضع لله ويتقرب اليه كيف يضع جبهته في موضع نجس او لا يعلم بطهارته، وكم تجد الفرق الكبير بينه وبين من يضع هذه التربة الحسينية التي يعلم بطهارتها ويرتاح للسجود عليها، كم تجد الفرق كبيراً بين انسان يضع جبهته في اي مكان كان وبين انسان آخر لا يضعها الا في موضع يعلم بطهارته ونظافته. بل حتى المساجد التي نفسها تمثل عنوان الطهارة والنزاهة حتى هذه المساجد فان الأرجل قد داستها وترددت الأقدام على سحقها والمشي عليها ونحن نرى بأم اعيننا كيف تكون الأقدام. وفيها قدم العامل والفلاح والقدم النظيفة والأخرى الوسخة والقدم المريضة والأخرى الصحيحة وغير ذلك من اصناف الأقدام

المتشكلة بأشكال متعددة وكل تلك الأقدام تدوس تـلـك الـفُـرش والـسُجّاد ثم يضع المصلي جبهته عليها، فلو كان في البين تربة طاهرة، لم تباشرها الا الجباه التي هي في منتهى النظافة والطهارة حيث يمكن للانسان ان يهمل قدميه فلا يغسلها او لا يعتني بنظافتهما ولكنه لا يستطيع ان يهمل جبهته بل نراه دائماً يتعهدها بالنظافة والطهارة، اقول لو كان في المساجد من هذه التربة عدداً وافراً للمصلين يسجدون عليها لكان شيئاً مرغوباً فيه محبباً الى النفس يرضاه الاسلام ويحض عليه وكذا لو حمل الانسان تربة صغيرة في جيبه او حقيبته في سفره وحافظ على طهارة محل سجوده لكان انساناً نظيفاً طاهراً مصدقاً لقول رسول الله :«النظافة من الإيمان» هذا أولاً

ثانياً: إن هذه التربة التي تعارف السجود عليها عند الشيعة هي تربة نسبت الى الحسين بن علي بن أبي طالب شهيد الحق والعدل وقتيل الظلم والبغي، . ونحن نعرف قيمة الأشياء التي تنسب الى العظماء او الاشياء التي تكسب الشرافة والكرامة من خلال انتسابها اليهم، وهذا شيء مشاهد بالوجدان مدرك بالاحساس متعارف عليه بين الامم الاسلامية وغير الاسلامية، فجلد المصحف اكتسب الشرف والاحترام من شرف كلام الله وقيمته فلُثِم واحتُرِم وضريح النبي (ص) اكتسب من قداسة النبي وحلوله فيه اعظم التقديس والاحترام، ان تلك التربة قد اكتسبت علو الرتبة من قداسة النبي وطهره من سفارته لله واجتبائه اميناً لوحيه، وهكذا الأشياء يكون لها الاعتبار والتقدير والمنزلة الرفيعة والاحترام بما يحل فيها ومن يحل فيها او تنسب اليه وكما قلنا ان تقديس الأشياء وتفاوت التقديس بينها يوجد له نظائر في كل امة، . وان هذه التربة الحسينية اكتسبت قداستها واستحقت الاحترام لانتسابها الى سيد الشهداء وابيّ الضيم، فإن هذا العظيم الكبير الذي قدمه الاسلام قرباناً من اجله هو في مرتبة الامامة، التي جسدت كل طاقات الخير والبر والصلاح ومنتهى الكمال في عالم الانسان، . ان الحسين عليه السلام قدم نفسه واهله واصحابه في سبيل الله قدم كل شيء في سبيل الاسلام وان دمه الطاهر قد اريق مع دماء الصفوة من اهل بيته كي يعيد للاسلام عزته ومجده ويسقى بتلك الدماء الذواكي شجرة الاسلام التي مستها يد الامويين فكادت ان تجذ الحياة منها.

لقد كانت ثورة الحسين بركاناً تفجّر في وجه الامويين وحكمهم الظالم الجائر، لقد كانت تلك الدماء من اجل رفع الظلم والحيف الذي حاق بالاسلام والمسلمين حينما اتت الروح الاموية على تعاليم الاسلام لتجتثها وتقضي على كل ما جاء به

خاتم الأنبياء من تعاليم واحكام».

إن ثورة الحسين كانت الشريان الوحيد الذي نقل دماء سيد الشهداء والصفوة المختارة من أهله وأصحابه الى الجسد الاسلامي ليعيد له الحياة والقوة. لقد كانت هذه النهضة من سيد الشهداء من اجل الضعفاء والفقراء، من اجل المضطهدين والمظلومين والمحرومين كانت من اجل الله فاكتسبت القدسية والبركات ونال بها الإسلام قوة ومنعة وتجدُّد وثبات، فعندما يأخذ المسلم تلك التربة التي انتسبت الى الحسين يتصور فيها.

أولاً - ان صاحب هذه التربة هو الحسين بن علي قائد اعظم ثورة رسالية في العالم انها ثورة الحسين الاسلامية في سبيل الله وهذا يدفع الساجد عليها الى العيش المستمر في خط الحسين ونهجه ويندفع لتحقيق اهداف تلك الثورة المباركة التي كانت من اجل الحق وفي سبيل الله».

إن هذا الساجد على تربة الشهيد يعيش من اجل الاسلام ويموت في سبيل الاسلام لأن هذه التربة بمثابة المؤشر الموحي دائماً بالروح الحسينية العالية انها تدفع الساجد لاتباع سيرة الحسين (ع) الاسلامية.

وثانياً إن هذا الساجد على هذه التربة الحسينية يعيش العزة والكرامة دائماً لأن هذه العزة والكرامة قد عاشها قائده المظفر الحسين الشهيد حيث ابى الذل والهوان وقال في ساحة كربلاء مخاطباً الظالمين والحكام الفاجرين في زمانه كما هم في زماننا.

«والله لا اعطيكم بيدي اعطاء الذليل ولا افر فرار العبيد».

إنه يتصور تلك الروح العالية الكبيرة وذلك العز المجعول له من الله فينتفض من اعماقه ليرفض الذل ويدوس على كل ما يشعره بالإهانة والانتقاص.

ان من يسير على خطى الشهيد يحمل خشبته ويدور باحثاً عمن يصلبه عليها لأنه دائماً في ثورة مستمرة على كل الظالمين والمنحرفين من الحكام والرؤساء والمتاجرين بالدين ويردد مع ابي الشهداء.

«الا ترون الى الحق لا يعمل به والى الباطل لا يتناهى عنه فليرغب المؤمن في لقاء ربه محقاً».

إن المسلم عندما يردد هذا الشعار الذي طرحه الحسين في كربلاء تتحرك كل مشاعره وتثور من اجل نصرة المظلومين ودفع المبطلين، من اجل اقامة الحق ورفع الحيف. . .

وثالثاً: قد وردت احاديث جمة عن تربة كربلاء ومصرع سيد الشهداء فيها وكيف كان الأئمة من اهل البيت يتخذون من تراب القبر الشريف بعضاً يسجدون غليه ويتبركون به ويجعلونه سُبحاً يذكرون الله عليها وقد اهدى للنبي من تلك التربة التي قتل عليها الحسين فقبلها واحتفظ بها في قارورة بقيت عند ام المؤمنين ام سلمة آمراً لها بحفظها قائلاً لها «هذه التربة التي يقتل عليها ـ يعني الحسين ـ[1] ضعيها عندك فإذا صارت دماً فقد قتل حبيبي ـ الحسين(ع)».

وبعد هذا البيان يتضح ان للشيعة الحق في جعل ما يسجدون عليه من الأرض او ما انبتت شرط ان لا يؤكل او يلبس ولهم الحق بطريق أولى ان يتخذوا (التربة الحسينية) في صلواتهم يسجدون عليها ويتبركون بها وليس لأحد من الناس أن يحتج عليهم أو أن ينتقدهم طالما الأدلة الشرعية تدل على ذلك وهي التي اخذت باعناقهم الى ذلك الرأي وهو الصحيح الذي تنزل على قلب محمد وفي ذلك كفاية لمن أراد الهداية. .

---

١ ـ الصواعق المحرقة، مسند احمد، ذخائر العقبى وغيرها.

المتعة
وموقف الشيعة منها

المتعة

إن مسألة المتعة لعبت دوراً كبيراً في التشنيع على الشيعة والحط من مقامهم اذ تمس في نظر العرب وتراً حساساً وكبرياء من الشرف انها مسألة الشرف الذي يتدنس بهذا النكاح المنقطع، وكيف يستسيغ الرجل ان تتمتع ابنته او اخته واي إنسان يرتضي ذلك او يوافق عليه، انها الشهامة العربية والغيرة التي ورثناها عن اجدادنا، كيف نتنازل عنها او نقدمها بهذه السهولة، .

إن العربي في العصور الجاهلية كان يقدّم نفسه دون عرضه ويضحّي بما يملك في سبيل الحفاظ على شرفه وعفة حريمه فكيف نهدر تلك الكرامة وندوس ذلك الشرف فنترك بناتنا واخواتنا يتصرفن كيف يحلو لهن.

هذه هي الاسطوانة التي يقدمها من يريد التشنيع على الشيعة، انها معزوفة ليست جديدة كما نرى من لحنها، انه لحن الجاهلية ومنطق اللاإسلام ،انه لحن ليس من ديننا ولا يمت اليه بصلة، انه منطق مرفوض في نظر الاسلام والمسلمين ولا يرتضيه مسلم له مسكة من دين أو ذرة من ضمير، اذ الحجاج يجب ان يكون بكتاب الله وسنة رسوله فانهما يأتيان على كل شيء وبهما الكفاية عن كل شيء، فإذا اردنا ان نحتج لأثبات قولٍ او نفيه يجب ان نعتمد على ذلك دون غيره من اراء الجاهلية وعاداتها، سواء منها جاهلية ما قبل الاسلام او جاهلية الانحراف عن الاسلام في العصر الحديث، .

نعم لا يجوز التمسك بنخوة الجاهلية وجموحها التي قاد امة من الناس لدفن البنات وهن احياء ودعى ابطالهم الى القول: «دفن البنات من المكرمات» او قولهم «نعم الصهر القبر».

فإن الله قد أذهب عنا نخوة الجاهلية وهدانا بنور الاسلام فأخرجنا من

الظلمات الى النور ومن الضلال الى الحق المبين، فعلى هدى الاسلام نسير وبقوله نعتصم وبأدلته نهتدي **﴿ومن لم يجعل الله له نوراً فما له من نور﴾**[1].

فبالإسلام وأدلته نحتج فحسب دون آراء الناس وتقاليدهم اللاإسلامية سواء القديم منها او الحديث.

ونحن سنطرح المسألة بصورة موجزة بحيث لا يؤدي الايجاز الى الإخلال في تأدية المطلب وبيان الحق فإن هذه المسألة قد لعبت دوراً ضخماً اذ اخذت اكبر من حجمها واشبعت دراسة بأكثر مما هي جديرة به، إذ هي مسألة فقهية واحدة كتب فيها اكثر من كتاب وتعقبها اكثر من قلم وتعدد طرحها في أبحاث على صفحات الجرائد والمجلات وكأنها هي الاسلام،.

وقد كان اخصام الشيعة دائماً هم المهاجمون بينما الشيعة يقفون موقف الدفاع مع ان الحق معهم ولهم الحجة الكافية فالكتاب العزيز معهم والسنة الشريفة تسندهم والمصلحة الاجتماعية تعضدهم ومع هذا كانوا يغضون النظر عن الهجوم وينامون على الشجى من اجل مصلحة المسلمين وليس لفقد الحجة وعدم وضوح المحجة بل كان همهم وحدة المسلمين ولم شعثهم واتحاد اطرافهم، كان همهم ولا يزال وحدة هذه الأمة التي لملم متفرقاتها رسول الله (ص) وجمع صفها كتاب الله إن الشيعة مع وضوح الرؤية عندها وقوة الحجة لديها لم تبادر يوماً ما لشن الهجوم على اخصامهم خوفاً من الفرقة التي تذهب بريح هذه الامة وقوتها بل كان دائماً كل همها ان تجمع المسلمين وتوحد صفوفهم تحت راية القرآن وكلمة الاسلام وعلى العكس من ذلك اخصام الشيعة فتراهم يعمدون الى المواضيع الحساسة التي يفترق فيها الشيعة عن غيرهم ليركزوا حملة عنيفة عليهم يخرجونهم ببعضها عن الإسلام وببعضها الآخر الى الإنحراف فكأن الإسلام قد تنزّل على اخصام الشيعة دون ان يكون للشيعة من نصيب ـ مهلاً يا أخي مهلاً. . «ان بني عمك فيهم رماح» اننا مسلمون ندين لله بالوحدانية ولمحمد بالرسالة ونتلقى احكامنا من رسول الله ولا نقبل قول احد سواه، انه الاسوة والقدوة وسنته حجة قولاً وفعلاً وتقريراً، فإن قالت الشيعة فإلى قول رسول الله (ص) تنتهي وان تحركت فعن حركاته تصدر.

---

١ ـ النور / ٤٠ .

إن الشيعة تلقّت احكامها عن رسول الله (ص) بواسطة اهل بيته واهل البيت ادرى بالذي فيه ـ انهم لم يأخذوا احكامهم عن كعب الاحبار اليهودي ولا عن عمران بن حطان الخارجي عدو المسلمين الأولين ولا عن ابي هريرة الدوسي الذي قال فيه ابن قتيبة «انه اول راوية اتهم في الإسلام» ولا عن المرتدين والمنافقين او المنحرفين والخارجين بل لزموا اهل بيت نبيهم فكانوا نعم الادلاء على مرضاة الله والامناء على احكامه، فقد نقلوا الينا الاسلام هم والصحابة الاتقياء الامناء الشرفاء وبذلك اطمأنت الشيعة الى الطريق الناقل لحديث النبي وكان لديها اعظم الحجج واوفاها واكملها واعلاها، وبذلك كله يكون الحق معهم ولا عذر لاخصامهم ولا حجة لهم بتركهم لسنة اهل البيت وطريقهم، وها نحن نستعرض الادلة الدالة على مشروعية المتعة، ونثبت عن طريق القرآن والسنة بما نقله المخالفون حلية هذا الزواج ونبين انه حكم اسلامي من الاحكام التي جاء بها النبي وعمل بها الصحابة، ثم نستعرض شروطها وحدودها، ثم نختمها بالحديث عن فوائد هذا الزواج وآثاره الاجتماعية الاصلاحية.

الأدلة من القرآن على حلية المتعة:

لقد ذكر هذا النوع من الزواج في القرآن الكريم حيث قال تعالى ﴿**فما استمتعتم به منهن فآتوهن اجورهن فريضة**﴾[1].

ذكر الزمخشري في تفسيره ـ وهو من أشهر المفسرين عند السنة ـ قال: «قيل نزلت في المتعة التي كانت ثلاثة ايام حين فتح الله مكة على رسوله عليه الصلاة والسلام ثم نسخت كان الرجل ينكح المرأة وقتاً معلوماً ليلة او ليلتين او اسبوعاً بثوب او غير ذلك ويقضي منها وطره ثم يسرحها، سميت متعة لاستمتاعه بها، او لتمتيعه لها بما يعطيها وعن ابن عباس هي «الآية» محكمة يعني لم تنسخ وكان يقرأ «فما استمتعتم به منهن الى اجل مسمى» وذكر الفخر الرازي في تفسيره عندما تعرض لهذه الآية إن فيها قولان والقول الثاني ان المراد بهذه الآية حكم المتعة وهي عبارة عن ان يستأجر الرجل المرأة بمال معلوم الى اجل معين فيجامعها واتفقوا على انها كانت مباحة في ابتداء الإسلام روى ان النبي (ص) لما قدم مكة في عمرته تزين نساء مكة فشكا

---

١ ـ النساء / ٢٤ .

اصحاب الرسول (ص) طول العزوبة فقال: استمتعوا من هذه النساء، واختلفوا في انها هل نسخت ام لا؟ فذهب السواد الأعظم من الامة الى انها صارت منسوخة وقال السواد منهم انها بقيت مباحة كما كانت وهذا القول مروي عن ابن عباس وعمران بن الحصين. . .

ثم ان الرازي اردف كلامه بقوله: والذي يجب ان يعتمد عليه في هذا الباب ـ بحث المتعة ـ ان نقول: انا لا ننكر ان المتعة كانت مباحة انما الذي نقوله: انها صارت منسوخة وقد ذهب الى ذلك ايضاً عند ما أُحتجّ عليه بقراءة ابن عباس «فما استمتعتم به منهن الى اجل مسمى . . .» حيث قال: فإن تلك القراءة بتقدير ثبوتها لا تدل الا على ان المتعة كانت مشروعة ونحن لا ننازع فيها انما الذي نقوله: ان النسخ طرأ عليه . . انتهى . .

فهذين المفسرين الكبيرين من أئمة التفسير وأركانه وهم من الاخوان السنة المعتمد عليهم وقولها لا ينطلق جزافاً او دون مستند بل لا بد وان يكون له مدرك واسس اعتمدا عليها واليها ركنا وقد اوضح الرازي بشكل صريح واعترف بإقراره ان المتعة كانت حلالاً زمن النبي وانها شرعة اسلامية ورد بها الكتاب وسنة النبي (ص) ولم يناقش في مشروعيتها واساس وضعها وانما ادعى انها نسخت وان كل من ادار طرفه في كتب التفسير عند العامة وقف بنفسه ونظر بأم عينه كيف اقروا واعترفوا بأن هذه الآية قد وردت في نكاح المتعة ومع تسالم ذلك والإيمان به مع الإقرار والإعتراف بمشروعيتها لا يجوز الاصغاء الى من ينكر اصل مشروعيتها اذ يكون كمنكر ضوء الشمس وهي في رابعة النهار او منكر ارسال الرسل وبعث الانبياء ومثل ذلك يكون من الذين طبع الله على قلبه فلا تنفعه البينات ولا الحجج فالاغضاء عنه والصفح عن جرمه ومخاطبته بما خاطب الله به الجاهلين أولى. . وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما. .)فانه احسن واجمل بتكريم العلم واغلى واكمل بسمو العلماء.

هذا هو دليل اصل مشروعية المتعة من القرآن واما مشروعيتها من السنة.

دليل مشروعية المتعة من السنة:

اما السنة فقد وردت بطرق مختلفة والسنة متعددة وكلها تصب في نقطة واحدة وهي حلية المتعة وتشريعها على لسان النبي وقد بلغت حد التواتر دون مبالغة او تجوّز ولو صدر من الأحاديث في بيان حكم ما صدر في المتعة لقالوا بأنه حكم متواتر الدليل

مقطوع الصدور، وأنا لا أريد ان أنقل كل ما صدر من الأحاديث في مشروعية المتعة واصل تحليلها بل انقل عينات موثوق بها تكفي لإثبات ذلك تكوّن مستنداً لمن قال بحليتها، .

وهذه الأخبار لا انقلها من طرق الشيعة واسانيدهم اذ هي عندهم من الأحكام المقطوع بمشروعيتها واستمراريتها المتسالم على حليتها لم يناقش منهم فيها احد بل مشروعيتها على حد مشروعية النكاح الدائم وكتبهم الفقهية لم تغفلها بحال بل تذكرها بجنب الزواج الدائم.

نعم اني انقل ما انقله من الأحاديث عن طريق اخواننا السنة كي تكون الحجة الزم والحقيقة انصع والدعوى اصدق.

١ ـ ورد في صحيح البخاري ما لفظه:

انزلت آية المتعة في كتاب الله ففعلناها مع رسول الله (ص) ولم ينزل قرآن يحرّمه ولم ينه عنها حتى مات، قال رجل[1] برأيه ما شاء.

٢ ـ ورد في صحيح مسلم عن جابر بن عبد الله الأنصاري قال: كنا نستمتع بالقبضة من التمر والدقيق الأيام على عهد رسول الله (ص) وأبي بكر حتى ـ ثم ـ نهى عنه عمر في شأن عمرو بن حريث

٣ ـ عن عروة بن الزبير: ان خولة[2] بنت حكيم دخلت على عمر بن الخطاب رضي الله عنه فقالت: ان ربيعة بن امية استمتع بامرأة مولدة فحملت منه فخرج عمر رضي الله عنه يجر رداءه فزعاً فقال: هذه المتعة ولو كنت تقدمت فيه لرجمته.

٤ ـ عن عمر بن الخطاب انه قال في خطبته: متعتان كانتا على عهد رسول الله (ص) وانا انهى عنهما واعاقب متعة الحج ومتعة النساء.

وقد ورد هذا اللسان الأخير عن عمر بشكل مستفيض ومتسالم عليه فسمعت

---

١ ـ مراده بالرجل هنا هو عمر بن الخطاب فقد ذكر ابن كثير في تفسيره نقلاً عن البخاري فقال: هذا الذي قاله البخاري قد جاء مصرحاً به: ان عمر كان ينهى الناس عن التمتع (الغدير ج ٦) .

٢ ـ اخرجه مالك في الموطأ والشافعي في كتاب الام.

به حتى الصبيان والعجائز وربات الخدور من الاماء والحرائر. . .

هذا نموذج لكثير من الأحاديث التي تدل على مشروعية المتعة وانها شرعة اسلامية جاءت في القرآن والسنة ووردت في اهم مصادر التشريع واعظمها ،وردت في كتاب الله الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، وردت فيها لا يمكن التشكيك فيه او الشبهة حوله، انها وردت في السنة بهذه الأعداد الضخمة وكان ورودها في الكتب المعتبرة عند القوم وهي تنطق بأفصح بيان وتنشد بأعلى لسان: ان المتعة شرعة اسلامية وحكم اسلامي حلال، انها من دين الله الذي ورد النص عليه.

هذه هي النصوص قد مرت عليك ايها الأخ، مرت عليك بوضوحها وجلائها ولكن مع ذلك أبى القوم الا الخلاف والعناد واصروا على حرمتها بعد الاعتراف بشرعيتها.

نعم أنكروا استمراريتها بعد الاعتراف بأصل مشروعيتها ثم خلقوا المبررات لنسخها نعم ادعوا انها نسخت، انه ارتفع حكمها واختلفوا في الناسخ كما اختلفوا في وقت نسخها، .

فقالوا تارة انهانسخت بالقرآن وأخرى انهانسخت بالسنة وقالوا مرة انهانسخت يوم خيبر وأخرى في غيرها وهكذا. .

وهنا يجب علينا ان نستعرض بعض ما ادعوا انه ناسخ للمتعة ثم نعرضها للفحص لنرى مقدار صدقها من زيفها.

١ ـ قال القوم ان آية المتعة ـ فما استمتعتم به منهن فآتوهن اجورهن ـ نسخت بقوله تعالى في سورة (المؤمنون) : والذين هم لفروجهم حافظون الا على ازواجهم او ما ملكت ايمانهم فأنهم غير ملومين ومن ابتغى وراء ذلك فأولئك هم العادون ـ بدعوى ان الآية تبيح النكاح للزوجات والاماء والمتعة ليس منها. . .

سبحانك اللهم ما اعدلك واحكمك ما اعلمك واعظمك فالعصمة لأهلها وعدم الخطأ لهم فحسب،هذه عقيدتنا، ولكن هذا المستدل اراد ان يستدل فاستدل اذ ابان بقوله هذا عن جهله التام بكتاب الله واحكامه واذا اردنا ان نحسن الظن به ونحمله على احسن المحامل فلا نجد غير الجهل محملاً له.

نعم لقد نسي المستدل على النسخ ان الناسخ ورد قبل المنسوخ فإن آية المتعة مدنية وآية المؤمنون مكية وكيف ينسخ المتقدم ما تأخر؟ كيف ينسخ ما نزل في مكة ما نزل في المدينة؟.

لقد أرادوا ان يتمسكوا بشيء لا يجوز في منطق الأصول ويرفضه المعقول والمنقول هذا أولاً.

ونقول ثانياً ان المتمتع بها زوجة بدون اشكال ومن يقول انها غير زوجة فقد اخطأ وافترى وكيف لا تكون كذلك وقد ورد في السنة وكثير من الأخبار وكلمات السلف عدها زوجة ورتبوا عليها احكام الزوجية الا ما استثني...

٢ ـ قالوا: ان آية المتعة نسخت بقوله تعالى: ﴿والمطلقات يتربصن بأنفسهن ثلاثة قروء﴾[1]

حيث ان الانفصال بين الزوجين انما يكون بطلاق وعدة وهما ليسا في نكاح المتعة.

ونجيب على ذلك:

أولاً: ان المتمتع بها يجب عليها العدة باتفاق الشيعة لم يذهب احد من علمائهم ولا عوامهم الى عدم العدة عليها ولم ينقل عن احد منهم انه يرى ذلك ونحن نتحدى كل من يدعي ذلك ان يذكر لنا واحداً ممن يقول به او يذهب اليه...

نعم غاية ما يقولون انه يجب عليها ـ العدة وهي مقدرة ـ بنصف عدة الطلاق للنكاح الدائم.

ثانياً: اما بالنسبة الى الطلاق فلا طـلاق فيه فإنه بانقضاء المدة المعينة تبين المرأة المتمتع بها بشكل طبيعي ولا عجب في ذلك ولا غرابة اذ ليس الطلاق هو السبب الوحيد للفراق بين الزوجين بل هناك امور يحصل بها الفراق بدون طلاق كما في الفسخ ـ اذا وجدت اسبابه ـ وقد ذكرها ارباب المذاهب الأربعة في مواضعها فضلاً عن المذهب الجعفري الذي اشبع الحديث في كتاب النكاح عن تلك الأسباب عدداً وحكماً وكيفية.

إذن فلا ينحصر سبب الفراق بالطلاق،.

---

١ ـ البقرة/ ٢٢٨

مع ان الآية تقول: إذا طلقتم النساء . . يعني اذا اردتم الطلاق فيما يتوقف على الطلاق كما هو الحال في النكاح الدائم وليس مطلقاً لكل نكاح . .

والحق ان النسبة بين آية المتعة وآية الطلاق والعدة ليست نسبة الناسخ والمنسوخ بل نسبة العام والخاص والمطلق والمقيد . .

ثالثاً: قالوا ان آية المتعة (فما استمتعتم به . . .) نسخت بآية الميراث ﴿**ولكم نصف ما ترك ازواجكم**﴾[1] وحيث لا توارث في نكاح المتعة فلا تكون زوجة.

ونقول لمن يشكل بذلك: ماذا تقول في الزوجة القاتلة لزوجها؟! انك تقول انها لا ترث. فكيف تنفي الميراث وتثبت الزوجية فيها.

ونقول له ايضاً ان علماء السنة يجوزون نكاح الكتابية ومع ذلك يقولون بعدم التوارث بينهما . . فما تجيب به هذه الموارد واضرابها نجيبك عن اشكالك السالف الذكر.

والحق ان آية الميراث عامة تشمل كل زوجة على وجه الاطلاق ومن جملتها المتمتع بها وغيرها، جاء الدليل الخاص بعد ذلك ـ من كتاب او سنة فأخرج بعض الأفراد كما في القاتلة لزوجها والكتابية المزوجة من مسلمٍ والزوجة المتمتع بها، وباب التخصيص شائع وسائغ حتى قيل ما من عام الا وقد خُصّ.

والى هنا تبين ان آية المتعة لا نسخ لها بل هي آية محكمة لم يرد ما يرفع حكمها من الكتاب العزيز. ولكن القوم بعد ان عجزوا عن اثبات النسخ من الكتاب عمدوا الى سنة الرسول (ص) يتلمسون فيها ما يمكن ان يثبت دعواهم او يشد ازرهم، نعم عمدوا الى سنة النبي لعلهم يستطيعون الحصول على مطلوبهم فيحتجون به على اخصامهم فلذا اوردوا عدة روايات يدّعون انها جاءت ناسخة لحكم المتعةِ ومحرّمة لها وقد انحصرت هذه الروايات في ثلاثة من اصحاب النبي (ص)،.

الإمام علي بن أبي طالب (ع) وسلمة بن الأكوع، وسبرة بن معين الجهني . اما ما ورد عن الإمام علي فلنا ان نمنع صدوره بنحو الجزم واليقين. نعم ان ما ورد عن الإمام علي من تحريم المتعة فهو باطل بدون شك لأن أئمة الحديث اوردوا روايات كثيرة عن الإمام يستنكر فيها على عمر تحريمه للمتعة.

---

١ ـ النساء/ ١٢ .

فقد صح عنه عليه السلام قوله: (لولا ان عمر نهى عن المتعة ما زنا الا شقي) وفي لسان آخر (لولا ابن الخطاب ما زنا إلا شقى لأنه كان للمسلمين في المتعة ما يغنيهم عن الزنا).

روى الطبري في تفسيره الكبير بسند صحيح عن شعبة قال:

سألت الحكم عن آية المتعة، أمنسوخة هي؟ قال: لا،.

ثم قال الحكم وقال علي رضي الله عنه: «لولا ان عمر نهى عن المتعة ما زنى الا شقي».

يضاف الى ذلك ان روايات التحريم الواردة اختلف فيها أئمة الحديث وتناقضوا في اقوالهم فقد قال شيخنا الأميني قدس الله روحه ونور ضريحه قال: فمن قائل بأن تحريم[1] المتعة يوم خيبر صحيح لا شك فيه وآخر يقول: هذا شيء لا يعرفه احد[2] من اهل السير ورواة الأثر ـ ان المتعة حرمت يوم خيبر. وثالث يقول: انه غلط[3] ولم يقع في غزوة خيبر تمتع بالنساء ورابع يقول: ان التاريخ في الحديث انما هو في النهي عن لحوم الحمر الأهلية لا في النهي عن نكاح المتعة فتوهم بعض الرواة فجعله ظرفاً لتحريمها.

وأما ما ورد من الروايات المحرمة للمتعة عن طريق «سلمة بن الأكوع» فهي باطلة لأن سلمة يروي الجواز ففي صحيح البخاري عن جابر وسلمة بن الأكوع «قالا: كنا في جيش[4] فأتانا رسول رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال: انه قد اذن لكم ان تستمتعوا فاستمتعوا..)

واما ما ورد عن سلمة من التحريم فلم يصح لأن في السند اليه يونس بن محمد وعبد الواحد بن زياد وقد قالوا في عبد الواحد انه ليس بشيء واما يونس بن محمد فقد ضعفه النسائي واحمد وابن معين فتسقط رواية التحريم عن سلمة.

ولم يبق مستند للتحريم الا ما ورد عن سبرة بن معبد الجهني فإنه الوحيد الذي نقل التحريم عن النبي ولكن الناقل عنه انما هو ولده (الربيع) وهذا الربيع مجهول لم يوثقه احد

---

١ ـ القاضي عياض وحكاه الزرقاني عنه في شرح الموطأ.

٢ ـ السهيلي في الروض الانف.

٣ ـ من اراد الزيادة فعليه بمراجعة الغدير ج ٦.

٤ ـ البخاري ج ٩ ص ١٦.

من أئمة الحديث على انه لم ينقل عنه أية رواية سوى هذا الحديث في المتعة فانفراده بهذه الرواية مع انه لم ينقل عنه سواها في سائر الأحكام فلأجل كل ذلك تسقط رواية التحريم الواردة عن سبرة وبسقوطها تسقط آخر الحجج لمدعي التحريم ويبقى ما دل من الروايات المصرحة بحليتها سالمة لا يعترضها الاشكال ولا يقف في وجهها مانع.

ونحن ننقل عدة روايات مما دل على ان آية المتعة لم تنسخ وان حكمها عام لكل الأزمان.

١ - عن عمران بن حصين قال: نزلت آية المتعة في كتاب الله تعالى ولم تنزل آية بعدها تنسخها فأمرنا بها رسول الله (ص) وتمتعنا مع رسول الله ومات ولم ينهنا عنها، قال رجل بعدُ برأيه ما شاء.

٢ - عن جابر بن عبد الله الأنصاري قال: كنا نستمتع بالقبضة من التمر والدقيق الأيام على عهد رسول الله (ص) وابي بكر حتى - ثم - نهى عنه عمر في شأن عمرو بن حريث.

٣ - في صحيح الترمذي: ان رجلاً من أهل الشام سأل ابن عمر عن متعة النساء فقال: هي حلال فقال: انا اباك قد نهى عنها فقال ابن عمر: ارأيت ان كان ابي قد نهى عنها وقد سنها (صنعها) رسول الله (ص) انترك السنة ونتبع قول ابي..

٤ - في حديث صحيح اخرجه الطبري عن الحكم قال: قال علي رضي الله عنه «لولا ان عمر رضي الله عنه نهى عن المتعة ما زنى الا شقي».

٥ - قول عمر نفسه كما نقله الرازي وابن ابي الحديد وغيرهما: متعتان كانتا على عهد رسول الله (ص) انا انهى عنهما واعاقب عليهما. فهذه الأحاديث النموذجية تدلل مع سائر الروايات المبيحة للمتعة انها حكم اسلامي لم يرد فيها نهي من كتاب الله ولا سنة رسوله بل شرعها الله في كتابه وعمل بها المسلمون زمن النبي ولم يتبعها بما ينسخها، .

نعم لعل السلف بتقديسهم للخليفة الثاني عمر بن الخطاب وتصحيحاً لما قاله وذهب اليه من تحريم المتعة بقوله :(متعتان كانتا على عهد رسول الله (ص) وانا احرمهما واعاقب عليهما) لعلهم تصحيحاً لقول عمر وذهاباً مع فتياه تلك او رهبة من درته التي لم يسلم منها الا الشاذ لعلهم لذلك اخذوا يلتمسون له المعاذير والحجج فعمدوا الى نسخها تارة بالكتاب العزيز وأخرى بالسنة الشريفة، واُختُلِقَتْ الروايات المضادة لما دل على حليتها كي يوهموا الناس بالحرمة ولكن بما تقدم نعرف فشل كل تلك

المحاولات وما اجدرنا ان نقف الى جانب الحقيقة ونحافظ على احكام ديننا دون ان تأخذنا في الله لومة لائم» .

ما اجدرنا ان نحافظ على حدود الله واحكامه ، ونراعي الحق ونحافظ عليه . ولئن اجتهد بعض الصحابة في رأي خالف فيه الواقع وترك الواجب فلعل لفعله عذر ولتركه عفو، لعله ترك ذلك الأمر وفعل غيره لمصلحة اقتضتها الظروف الآنية الوقتية» .

ولكن ما هو عذرنا في الدفاع عنهم وتصحيح ما فعلوه إن خالفوا سنة رسول الله وشرعه .

فلعل الخليفة عمر قال ما قال وحرّم ما حرّم من نكاح المتعة لما بينه الرازي في تفسيره حيث قال : لعله كان يذكر ذلك على سبيل التهديد والزجر والسياسة ومثل هذه السياسات جائزة للإمام عند المصلحة .

إذا كان للخليفة الحق في ذلك ـ ولا نرى ان له الحق ـ لأجل مصلحة وقتية فرضتها الظروف المعاشة في زمانه فكيف يمكن ان يسري الحكم لجميع الأزمنة والأمكنة وعلى سائر الناس خصوصاً مع تصريح عمر بأسناد النهي الى نفسه دون اسناد التحريم الى النبي ، يذكر الراغب في محاضراته : قال يحيى بن اكثم لشيخ بالبصرة : بمن اقتديت في جواز المتعة قال : بعمر بن الخطاب رضي الله عنه قال : كيف وعمر كان اشد الناس فيها؟ قال : لأن الخبر الصحيح انه صعد المنبر فقال : ان الله ورسوله قد احلاّ لكم متعتين واني احرمهما عليكم واعاقب عليهما، فقبلنا شهادته ولم نقبل تحريمه .

فإن هذا الشيخ استفاد الحل للمتعة من قول عمر نفسه وهذا هو الصحيح الذي يجب الذهاب اليه والمصير نحوه اذ هو المتعين خصوصاً اذا لوحظ ما ورد من الأحاديث الذاكرة لأسباب نهي الخليفة الثاني عنها وهي قصة عمرو بن حريث الذي تمتع بامرأة فحملت منه . فأزعج ذلك عمر وقام بتحريمها .

ابني عباس والزبير والمتعة

جرت بين ابن الزبير وابن عباس محاورة في تحريم المتعة وحليتها من المستحسن ان ننقلها كما وجدناها في شرح النهج لابن ابي الحديد فإن فيها دلالة وعبرة .

خطب ابن الزبير بمكة المكرمة على المنبر وابن عباس جالس مع الناس تحت المنبر .

فقال: إن ههنا رجلاً قد اعمى الله قلبه كما اعمى بصره يزعم ان متعة النساء حلال من الله ورسوله ويفتي في القملة والنملة وقد احتمل بيت مال البصرة بالأمس وترك المسلمين بها يرتضخون النوى. وكيف الومه في ذلك وقد قاتل ام المؤمنين وحواري رسول الله (ص) ومن وقاه بيده.

فقال ابن عباس لقائده سعد بن خزيمة استقبل بي وجه ابن الزبير وارفع من صدري وكان ابن عباس قد كف بصره فاستقبل به قائده وجه ابن الزبير واقام قامته فحسر عن ذراعيه ثم قال: يا ابن الزبير

قـد انصف القـارة من رامـاهـا انـا اذا مـا فئـة نـلقـاهـا
نـرد اولاهـا عـلى أخـراهـا حتى تبصـر حـرضـاً دعـواهـا

يا ابن الزبير: اما العمى فإن الله تعالى يقول: فإنها لا تعمي الأبصار ولكن تعمي القلوب التي في الصدور، واما فتياي في القملة والنملة فإن فيها حكمين لا تعلمها انت ولا اصحابك واما حملي المال فإنه كان مالاً جبيناه فأعطينا كل ذي حق حقه وبقيت بقية هي دون حقنا في كتاب الله فأخذناها بحقنا، واما المتعة فسل امك اسماء اذا انزلت عن بردى عوسجة واما قتالنا ام المؤمنين فبنا سميت ام المؤمنين لا بك ولا بأبيك فانطلق ابوك وخالك الى حجاب مده الله عليها فهتكاه عنها ثم اتخذاها فتنة يقاتلان دونها وصانا حلائلهما في بيوتهما فما انصفا الله ولا محمداً من انفسهما ان ابرزا زوجة نبيه وصانا حلائلهما.

واما قتالنا اياكم فأنا لقيناكم زحفاً فإن كنا كفاراً فقد كفرتم بفراركم وان كنا مؤمنين فقد كفرتم بقتالكم إيانا وايم الله لولا مكان صفية فيكم ومكان خديجة فينا لما تركت لبني اسد بن عبد العزى عظماً الا كسرته، فلما عاد ابن الزبير الى امه سألها عن بردى عوسجة. فقالت: ألم انهك عن ابن عباس وعن بني هاشم فانهم كعم الجواب اذا بدهوا فقال: بلى وعصيتك.

فقالت يا بني احذر هذا الأعمى الذي ما اطاقته الانس والجن واعلم ان عنده فضائح قريش بأسرها فإياك آخر الدهر. وقد ذكر الراغب الأصفهاني في كتابه المحاضرات، ان عبد الله بن الزبير عيّر ابن عباس بتحليله المتعة فقال له ابن عباس: سل امك كيف سطعت المجامر بينها وبين ابيك فسألها فقالت: والله ما ولدتك الا بالمتعة.

شروط المتعة:

قد يخيل ان هذا الزواج خالٍ من كل شرط فاي امرأة تضع يدك عليها يجوز لك ان

تتمتع بها دون عقد او صيغة شرعية حتى لو كانت متزوجة محصنة او طلقت بالأمس او قد يتخيل ان كل امرأة يجوز لها ان تتنقل في ليلة واحدة على عدة رجال او غير ذلك من التخيلات الباطلة التي لا اساس لها ولا وجود، ان السراب الذي يلفقه من يريد تشويه هذا الزواج الاسلامي ويريد ان يلفه بضباب كثيف من الدعايات المغرضة البغيضة يجب ان نرفعه، يجب ان نوضح احكام هذا الزواج بما ترتفع الغشاوة عن اعين المضلّلين من ابناء الإسلام يجب ان نبين ما نص عليه الشارع من الشروط والحدود التي وضعها للمرأة المتمتع بها وقد ذكر الفقهاء لهذا الزواج شروطاً.

١ ـ لا بد في هذا الزواج من العقد المتضمن للإيجاب والقبول كما هو الحال في العقد الدائم.

إذن فلا فوضى في نكاح المتعة لا بد من العقد الذي يجمع بين الزوج والزوجة لا بد من رضى الطرفين في ذلك العقد ولا بد وان يكون باللفظ الكاشف عن النكاح.

٢ ـ لا بد وان تكون الزوجة المتمتع بها مسلمة او كتابية ـ يهودية او نصرانية وعلى اختلاف في المجوسية ـ ولا يجوز للمسلمة ان تتمتع بغير المسلم.

٣ ـ المهر وهو شرط في عقد المتعة.

٤ ـ الأجل وهو شرط خاص في عقد المتعة فلو لم يذكره انعقد النكاح دائماً.

٥ ـ الافتراق بانقضاء المدة او هبة ما تبقى من المدة.

٦ ـ العدة امة كانت ام حرة حائلاً او حاملاً.

وأؤكد على هذا الشرط لأن بعض من في قلوبهم مرض عزى الينا عدم اشتراط العدة في هذا النكاح.

٧ عدم الميراث.

وهذه الشروط ذكرها الفقهاء والمحدثون واصحاب التفسير ونحن بعد دراستها نرى انها على حد شروط الزواج الدائم الا في بعضها فإن المتعة تفترق عن الزواج الدائم.

١ ـ انه لا طلاق فيها بل بانقضاء المدة المضروبة المعينة يحصل الافتراق بشكل طبيعي، وعدم احتياج هذا الزواج الى الطلاق ليس بدعة او شواذاً طالما انه صدر عن صاحب الشرع وكان له نظائر وامثال كمن تزوج بامرأة فوجد عيباً وفسخ فانه لا يحتاج الى طلاق

٢ ـ تفترق المتعة عن الزواج الدائم انه لا بد من المهر وان قل في المتعة.

٣ ـ لا ميراث بين الزوج والزوجة المتمتع بها ولكن لو اشترطت الميراث صح وورثت.

هذه هي الشروط التي يجب ان [1] تجتمع بالمرأة المتمتع بها وهذه هي الأحكام التي تترتب عليها فانها شروط اسلامية بها تندفع كل المحاذير وترتفع الفوضى التي يتخيلها بعضهم من جراء هذا الزواج.

واذا تمت هذه الشروط فهي زوجة يلحقها احكام الزوجية الدائمة الا ما استثني فلو فارقها وجب عليها ان تعتد وإذا مات وجب عليها ان تعتد وتحد عليه واذا انجبت ابناء فانهم اولاد شرعيون يلحقون به لهم ما لأولاده في الزواج الدائم من الارث والنفقة وغيرهما.

---

١ ـ هذه هي المتعة التي يعرفها الشيعة ويقرون بمشروعيتها وليس عندهم غيرها ومن نسب اليهم سواها فقد بهت وافترى واتى بالكذب الصراح فان بعض المضلّين والأفاكين والكاذبين نسب الينا: ان عندنا متعة نسميها (المتعة الدورية) وهي ان يتمتع جماعة بامرأة واحدة فتقول لهم من الصبح الى الضحى في متعة هذا، ومن الضحى الى الظهر في متعة هذا، ومن العصر الى المغرب في متعة هذا، ومن المغرب الى العشاء في متعة هذا، ومن العشاء الى منتصف الليل في متعة هذا، ومن منتصف الليل الى الصبح في متعة هذا.

هكذا اختلفوا افكاً وزوراً، . . سبحانك اللهم ما اجرأهم على معصيتك ورمي عبادك المؤمنين بك بما هم براء منه، هكذا سولت لهم امانيهم وغرتهم احلامهم فشحنوا صدور الناس على الشيعة وبهتوهم دون ذنب الا انهم والوا اهل بيت رسول الله وثقله العظيم.

أفهل ذكر هذا المفتري من اي كتب الشيعة اخذ هذا الحكم؟!

أفهل ذكر مصادره التي اعتمد عليها في نسبة هذا النوع من النكاح اليهم؟

وهذه كتب الشيعة بين ايدي الناس قد اطلع عليها كل من اراد معرفة رأيهم والاطلاع على ما عندهم وهي تصرح بأعلى صوتها لتفضح كل من أراد الافتراء عليهم.

إن الشيعة اذ تبرأ من هذه النسبة تهيب بالغيورين الصادقين من ابناء الإسلام وشبابه ان يقفوا من هذه التهم موقف المتثبت الرزين الذي يعرف الاصيل من الدخيل ويعرف الحق من الباطل ويتفحص بنفسه ما نبذوا به الشيعة ليقف على حقيقة الامر وعندها سيجد الافتراءات والأكاذيب والافك والبهتان والزور والتدجيل بشكل مروع مخيف وسيكشف بنفسه سمسرة الضلال وتجار الباطل الذين يرمون الأبرياء ويقتلون الأنبياء بغير حق، سيكشف حقيقة التهم الباطلة التي ضلّلت كثيراً من الناس وجعلتهم يحملون غلاً على الذين آمنوا من شيعة آل محمد دون اثم اقترفوه او ذنب فعلوه.

نعم هناك فرق كبير بين الحقائق والأوهام بين ما هو موجود عند الشيعة وبين ما رماهم به اعداؤهم من الأباطيل.

اللهم انت الحكيم واليك المشتكى من قوم لا يتورعون عن الكذب والتدجيل والدس والافتراء.

﴿إنما يفتري الكذب الذين لا يؤمنون بآيات الله﴾ النحل / ١٠٥ .

المتعة وأثرها الإصلاحي

إن مشكلة الجنس مشكلة هامة لدى الشباب لا يمكن تجاوزها او تجاهلها واذا لم نجد الحلول الناجحة الناجعة لها فسوف تسبب كارثة تهدد مجتمعنا وتذيقه الويلات والآلام. ان الشباب هم العُمُد للحضارة الانسانية والديمومة البشرية فإذا توفر لأمة من الأمم الشباب المخلص ذو الإرادة القوية والعزم الطموح والإيمان المستقر المتين فهي امة تستحق الحياة ويكتب لها الدوام والاستقرار، واما الامة التي يعيش شبابها في خضم اللذة ومن اجلها، من اي الجهات أتت وعن اي الطرق كانت ان الامة التي يتنكب شبابها طريق الإيمان والعزيمة والارادة القوية مثل هذه الامة سوف تضمحل وتذوب وتفقد فعاليتها واصالتها بسبب ما فقدته من عنصر قوامها وديمومتها الا وهو الشباب.

إن غريزة الجنس تتفتح بشكل طبيعي دون حاجة الى اثارة خارجية او عوامل دفعية بل عند بلوغ الشاب او الفتاة سناً معيناً تراه يندفع عفوياً وراء اشباع هذه الغريزة فإذا وجد منفذاً شريفاً او حلاً يحفظ كرامته خطى نحوه وهلّل له لأنه لم يخرج عن الاظار الفكري الذي آمن به واعتقد بصحته وكذلك لم يخرج على المجتمع الذي يعيش ضمنه ويؤمن بتقاليده واعرافه واما اذا لم يجد ذلك فسوف يتخطى كل ما يعترض سبيله من موانع وعقبات في سبيل الحصول على هذه اللذة كي يقضي وطراً من لباناته الجنسية التي تدفعه دون رحمة او شفقة ولو على حساب الشرف والكرامة والدين والضمير والاخلاق.

إن غريزة الجنس اذا اكتملت عند فرد ولم يشبعها عن طريق الحلال سوف يكفر بكل القيم والمثل ـ عند كثير من الناس ـ ويتذرع بجميع السبل لتبرير ما يرتكبه من تجاوزات على الاخلاق والضمير.

وان مجتمعنا الذي نعيش فيه اليوم اخطر المجتمعات التي مرت في التاريخ اذ لم يتح في عصر من العصور ما اتيح له اليوم فالانحلال والميوعة والتسيب والاختلاط

والتبذل والانحراف والمجلات والاذاعات والتلفزة والسينما وغيرها، . كل ذلك لم يتوفر في مجتمع مضى أو انقضى.

بل ازداد الطين بلة ان اصبح للاباحة دعاة ومفكرون يستسيغون الممارسات الجنسية بشكل سافر دون خجل او حياء وراح من ورائهم المطبلون والمزمرون من اتباع الاستعمار واذنابه الذين زرعهم في بلادنا وجعلهم على رأس السلطة راح هؤلاء يروجون لذلك ويهللون وراحت الصهيونية العالمية تنشر هذه الافكار الاباحية المعادية للإسلام من اجل السيطرة على العالم اذ ليس في مستطاعها ان تستلم دفة القيادة وتمتص خيرات هذه الأرض الا بعد ان تنشر هذه الافكار الاباحية التي تخلق في نفوس الشباب الميوعة والاضطراب ولم يعد للشباب من هم الا في صيد اللذة العابرة والاستجابة العمياء للدوافع الحيوانية الشهوانية.

إن الوعظ والإرشاد ليس هو الحل الوحيد في نظر الاسلام لمسألة الجنس بل تشريع الطريق الصالح الذي يوفر للإنسان اشباع رغباته الجنسية هو الطريق السليم الكفيل بدرأ الأخطار التي يمكن ان تنشأ من جراء الابتذال والتهتك والانحلال والعرى والاختلاط، ولذا جعل الإسلام الزواج طريقاً ناجعاً به يتحصّن الانسان من الانحراف والميوعة ويتماسك امام التيارات التي يمكن ان تهدده في عقائده وافكاره وتقاليده واستقامته.

وقد رغب الاسلام في الزواج وحض اتباعه عليه حتى جاء عن النبي والأئمة من اهل البيت الشيء الكثير..

١ ـ عن أبي عبد الله عليه السلام قال: ان رسول الله (ص) قال: تزوجوا فإني مكاثر بكم الامم غداً في القيامة...،

٢ ـ عن أبي عبد الله عليه السلام: قال: قال رسول الله (ص): تزوجوا وزوجوا الا فمن حظ امرء مسلم انفاق قيمة ايمه وما من شيء احب الى الله عز وجل من بيت يعمر في الاسلام بالنكاح...،

٣ ـ قال رسول الله (ص): من تزوج احرز نصف دينه.

٤ ـ قال رسول الله (ص): رذال موتاكم العزاب.

٥ ـ قال رسول الله (ص): اكثر اهل النار العزاب.

إن الإسلام حينما دفع اتباعه الى الزواج ورغّب فيه انما أراد ان يمنعهم عن الوقوع في مهاوي الرذيلة، نعم رغب من كان مستطيعاً رغّبه بكثير من الخير فإن في الزواج راحة القلب والضمير واطمئنان الروح وسكن النفس ان فيه ما لا يمكن ادراكه بدونه فإن الشاب الأعزب يشغل باله الكثير من الأوهام فتراه مضطرب لا يستقر على حال ولكن اذا تزوج اكتملت بذلك رجولته وتحققت رغباته عن طريق مشروع حلال، انه لم يتبذل ولم يتميع».

مضافاً الى ان للزواج فوائد كثيرة لسنا بصدد بيانها او التعرض لها ولكن اهمها واعظمها.

- الحصانة التي يمنحها الزواج للرجل والمرأة عن الوقوع في الحرام.
- الاطمئنان والسكن الذي عبّر عنه تعالى بقوله ﴿ومن آياته ان خلق لكم من انفسكم ازواجاً[1] لتسكنوا اليها﴾
- انجاب الأولاد الذين يجدد الآباء بهم وجودهم في هذه الدار.

ولكن بما ان هذا الزواج الدائم له تبعات ووراءه مسؤوليات ضخمة، من اعالة الزوجة وتأمين المسكن والنفقة وغيرها من التوابع وخصوصاً بعد ان يكثر النسل وتتعدد الأطفال، وبالأخص اذا كانت يد الانسان لا تساعده على نفقات كل ذلك، فان الاسلام شرّع نكاح المتعة - النكاح الى اجل معين - الذي ليس فيه تبعات الزواج الدائم ولا تكاليفه من النفقة التي تثقل كاهل الأزواج في هذه الأيام بل قبل هذه الأيام».

إن الإنسان بعد أن يعجز عن اقامة بيت الزوجية بالزواج الدائم جعل الإسلام له حلاً آخر، انه الزواج المؤقت الى اجل مسمى. فلو اخذنا شاباً تساعده قدرته المالية للنفقة عليه وعلى زوجته وما يتطلبه الزواج مع انه بحاجة ملحة الى الزواج ولا يستقر بدونه، فهنا يطلب الاسلام منه بل يأمره بالزواج، كي يتحصن، يطلب منه ان يتزوج الزواج الدائم ولا يبيح له الدعارة بحال ولا ممارسة العادة السرية بشكل لأن لكل منها مضار وبلاء عليه شخصياً وعلى مجتمعه بصورة عامة.

واما اذا لم يكن متمكناً من الزواج الدائم وهو بحاجة ملحة كما في الصورة

---

١ - القصص / ٧٢.

السابقة فهنا نحن امام خيار من ثلاث خيارات، .

اما ان ندعه يسرق اللذة من بنات الهوى ويفرغ شحنته الجنسية بصورة غير مشروعة فيرتكب جريمة الزنا. وهذا قد نهى عنه الشارع وحذر منه وحمل حملته الشعواء على كل انحراف وانحلال ورتب عقوبات دنيوية شديدة فضلاً عن عقوبات الآخرة التي هي اشد واخزى، ان الدين ـ وهو طبيعة فطرية في نفس الانسان ـ قد حذر بشكل رهيب من التمادي والتجاوز فيما فرضه الله من حدود وسنه من قيود وكان اشدها تحذيراً واعظمها خطراً ما ورد في حق الزنا وتوابعه من المقدمات والخلفيات.

وهذه نبذة من تلك الأخبار

١ ـ عن ابي عبد الله عليه السلام: قال يا بني لا تزن فإن الطير لو زنا لتناثر ريشه.

٢ ـ عن أبي جعفر عليه السلام قال: إذا زنى الزاني خرج من روح الايمان... وان استغفر عاد اليه قال: وقال رسول الله (ص) لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن ولا يشرب الشارب حين يشرب وهو مؤمن ولا يسرق السارق حين يسرق وهو مؤمن.

٣ ـ عن ابي عبد الله عليه السلام: قال: ان الله اوحى الى موسى عليه السلام: لا تزنوا فتزني نساؤكم ومن وطأ فراش امرء مسلم وطىء فراشه كما تدين تدان.

٤ ـ عن أبي عبد الله عليه السلام قال: ثلاثة لا يكلمهم الله ولا يزكيهم ولهم عذاب اليم. منهم المرأة توطي فراش زوجها....

٥ ـ عن أبي عبد الله عليه السلام قال: ان اشد الناس عذاباً يوم القيامة رجل اقر نطفته في رحم يحرم عليه.

٦ ـ عن محمد بن علي بن الحسين عليهم السلام قال: قال النبي (ص): لن يعمل ابن آدم عملاً اعظم عند الله عز وجل من رجل قتل نبياً او اماماً او هدم الكعبة التي جعلها الله قبلة لعباده او افرغ ماءه في امرأة حراماً.

هذه بعض الأحاديث الواردة في الزنا وهناك احكامه المفصلة في كتب الفقه وتختلف باختلاف الاشخاص فمن زنا بمحرم قتل بالسيف بعد رجمه كما لو زنى باخته

او خالته وهذا أيضاً حكم من اكره امرأة على الزنا.

واما الزاني ببالغة عاقله وهو محصن فيجب عليه الرجم الى غيرها من الأحكام المترتبة على هذا الفعل الشنيع. ويكفي ان الاسلام اوجب الحد على القاذف لغيره فمن قال لغيره (انت زاني) استحق بمنطق الاسلام ثمانين جلدة وقد نص القران على ذلك بقوله: ﴿والذين يرمون المحصنات... فاجلدوهم ثمانين جلدة..﴾[1].

فالشارع لا يرتضي هذا الحل بل يرفضه ويعاقب عليه. وكذلك لا يرضى بهذا الحل كثير من الناس ان لم نقل كلهم، نعم لا يوافق عليه الا المنحرف المائع اما الانسان الرزين السوي فيرفضه اشد الرفض ونحن قد وجدنا من لا دين لهم ومع ذلك تأبى كرامتهم عليهم هذا الفعل القبيح،..

ويضاف الى ذلك ان القانون الصحيح والمجتمع السليم يدرك الابعاد الخطيرة التي ينتجه مثل اباحة هذا النوع من الانفلات والتسيب،. فهذا الحل الأول مرفوض من جميع الجهات.

والحل الثاني: ان نمنع الشاب من ممارسة تفريغ شحنته الجنسية بأي شكل كان، نمنعه بالارهاب والكبت والتضييق عليه بكل السبل، نجعله كحجر جامد لا يحمل اي رجولة او شحنة جنسية فنخدره بأي اسلوب كان.

وهذا الحل لا يرضاه الاسلام ايضاً ولا يرغب فيه وكذلك العقلاء يرفضونه ويمتنعون عن قبوله لما يؤديه من كبت للشاب وما يخلقه من عقد نفسية له قد يستعصي حلها ويعجز فكها،.

هذا كله اذا افادت تلك الامور بالسيطرة على هذه الغريزة ـ ولا نراها تفيد شيئاً ـ الا على نحو جزئي لا يؤثر في واقع المجتمع المترامي الاطراف والمتعدد الجهات لأن غريزة الجنس ناموس طبيعي لا بد وان تؤدي دورها المرسوم لها،.

وهنا عين الإسلام حلاً لهذه المشكلة الاجتماعية، انه الحل الوحيد الذي يحافظ الانسان فيه على جميع رغباته وامنياته مع بقائه ضمن الأطر الفكرية المؤمن بها وبدون كبت او تعقيد انه (المتعة) انه الزواج المؤقت ـ انه الحل الوحيد الذي يستطيع

---

١ ـ النور/٣.

الانسان ان يوفر له حاجته دون ان يخرج على الدين والقانون والأخلاق، اذ هي زوجة لها تمام الحقوق الزوجية ـ الا ما استثني في شروطها السابقة ـ فيستطيع الشاب ان يعقد على أي فتاة يرتضيها وترتضيه ـ اذا اجتمعت الشروط الواجبة وهي ميسورة سهلة ـ الى اجل مسمى دون ان ينجبا من الأولاد شيئاً ولكن لو فرضنا انها علقت منه قهراً وانجبت ولداً فهو ولدهما انه ولد شرعي لهما بكل ما تحمل كلمة الولد الشرعي من معنى من آثار وحقوق، وبهذا نحل اهم مشكلة تعترض سبيل شبابنا في هذه الأيام، . فإن الشاب لا ينتهي من دراسته الا في سن متأخرة قد تتجاوز الخامسة والعشرين وما فوق بينما تكتمل رجولته ويكون في قمة اثارته الجنسية في السابعة عشر بل قبلها ـ في هذه الأيام ـ فكيف يمكن ان يضبط نفسه ويسيطر على غريزته في هذه المدة وهذا غير مستطاع واذا اراد الزواج فانه غير قادر لمتطلبات الحياة الكثيرة التي تحتاج المال الكثير الذي لا يمكن توفره الا بعد قضاء شطر كبير من عمره في تحصيله فماذا يعمل هذا الشاب، ان في المتعة بشروطها الاسلامية انجع الحلول واحسنها، سبحان الله الذي نزل احسن الحديث باكمال هذا الدين وتشريع سيد المرسلين.

تساؤلات حول المتعة:

هناك تساؤلات تجول في نفوس بعض الناس يستحسن ان نستعرضها لنرى مكانها من الحقيقة ونجيب عليها بصورة مقبولة تزيح الضباب وتكشف الغبار لتتضح الرؤية بشكل واضح وتنجلي الأمور بصورة مقبولة وبهذه الاجابات نستوفي البحث بصورة موجزة في هذه المسألة.

الأول: ان بعض الناس يتخيل ان زواج المتعة كالزنا.

ونقول: ان الفوارق كبيرة بينهما فإن الزنا علاقة غير مشروعة بين الرجل والمرأة لم يبحها الشارع ولم يرخص فيها بينما المتعة حكم اسلامي ورد تشريعها في الكتاب والسنة كما تقدم ذلك معنا في ضمن البحث.

الثاني: من يقبل مثل هذا الزواج واي انسان يرتضيه لأبنته او اخته وهل هو الا حط من كرامة الرجل واهانة لكبريائه.

ونقول: ان الغيرة المحمودة في الاسلام هي الغيرة التي تبقى ضمن الشرع والدين، واما الغيرة التي تتجاوز حدود الاسلام فهي غيرة مرفوضة ممقوتة، انهاغيرة جاهلية يرفضها الاسلام ولا يقرها ويكون حالها كالعادات السيئة التي تسيطر على احد المجتمعات فتصبح بعد فترة من الزمن قدساً من الاقداس التي لا يجوز ان يتعداها الانسان او يتجاوز عنها، وقد رأينا التجاوزات الكثيرة وقتل النفوس البريئة بدعوى المحافظة على الكرامة والشهامة والغيرة كمن يسمع من احد المفترين الكاذبين اتهاماً لأخته بسوء **الأدب** وعدم العفاف فيعمد الأخ او الأب للانتقام من الفتاة الطاهرة بدعوى الثأر للكرامة الجريحة التي اهانها هذا الرجل الكاذب المفتري، أهل يصدق بأن هذا الرجل غيور وصاحب كرامة وقد عمد الى ازهاق نفس محترمة في شرعة الله ودستور الاخلاق دون مبرر الا قول رجل مفترٍ معتدٍ اثيم، اليست هذه من سيئات العادات التي تجاوز الانسان فيها قانون الانبياء فراح يرسم لنفسه خطاً باطلاً تصور انه هو خط الغيرة والصلاح،.. وكأنه اشد غيرة من الله في هذه الامور،.

ونقوله له ثانياً كيف يرتضي هذا الرجل ان تتزوج اخته او ابنته بالزواج الدائم، هل يعدّ ذلك حطاً لكرامته فلماذا يستسيغ ذلك ويرضاه؟ انه يرتضيه ويقبله

لأن الله شرعه وسنه فكذلك نقول في زواج المتعة فإن الله احلّه وسنه فهو زواج لمدة معينة قد تطول وقد تقصر حسب اتفاق الطرفين الرجل والمرأة. .

واما ما نراه من القزازة في هذا الزواج في وقتنا فهو ناشىء من امرين.

الأول: دعوة رجال الدين الذين اختلقوا فكرة نسخ هذا الحكم بعد الايمان بتشريعه في دين الاسلام وهذه الدعوى تبطل بعد الاطلاع على ان حكمه لم ينسخ بل شرّع واستمر وسيبقى مستمراً طبقاً لقول رسول الله (ص): حلال محمد حلال الى يوم القيامة وحرامه حرام الى يوم القيامة. . ،.

الثاني : نظرة المجتمع المقلوبة التي قلبت فيها كل الامور رأساً على عقب، .

فقد اباحوا الزنا والفجور واللهو والخمور وفتحوا أبواب الدعارة للمومسات وبنات الهوى وتذرعوا بأن ذلك تقدماً وحضارة.

اما الزواج والعفة واطاعة الله فهو التأخر والرجعية، وقد سار المسلمون خلف هذه النغمة جهلاً منهم بحقيقة الامر ـ ليس كل المسلمين ـ بل تلامذة الاستعمار واذنابه واربابه.

فماذا تتوقع من مجتمع يرى الرجل امرأته او ابنته في احضان غيره يراقصها ويقبلها فيبادر ليبارك ذلك ويبتهج لحسن اداء زوجته وابنته لهذا الدور الرائع الموفق.

ماذا تنتظر من مجتمع دعاته يهود وممثليه قرود، فإن فرويد واعوانه اليهود هم الذين مسخوا افكار الانسان وعقائده وشوهوا تقاليده ومثله فراحوا يزينون للناس ان التقدم بالخلاعة والعرى والتحلل والميوعة وخلقوا لنا جيوشاً من الهبيين والخلاعيين. . وهذا شيء لا يقبله الاسلام حتى لو اطبقت عليه كل الناس وتوافقت عليه كل البشر ـ ولا يوافقون عليه ـ بل على المسلم ان يخضع لقانون الله وتشريعه ويرفع هامته به اذ بالإسلام السعادة وفي غيره الذل والهوان، على المسلم ان يتحكم هو بمجتمعه ويعيد الثقة والشجاعة لنفسه بدينه وقيمه ويرفض كل التشريعات والعادات والتقاليد التي تخالف شريعة الله وحكمه، ومن هنا نقول اذا كان زواج المتعة شيئاً مستهجناً في المجتمع فلأن نظرة هذا المجتمع قد انعكست فيها الحقائق وانقلبت فيها الموازين، فإن مجتمعاً يبيح الزنا، طبعاً يحق له ان ينكر زواج المتعة ومجتمعاً يبيح اللواط يحق له ان يحرم المتعة ومجتمعاً يستأنس بالدياثة والسحق يحق له

ان يضحك من المتعة ومجتمعاً يفتح بيوت الدعارة والعهر يحق له ان يستهزأ بهذا التشريع للمتعة، ومجتمعاً تُستبدل فيه الكلاب بدل الأزواج يحق له ان يقول. . ها . . ها. . ما هذه المتعة. . ولكن المجتمع المسلم الذي يحرم كل ذلك ويتلقى احكامه وتوجيهاته من الله هو وحده المجتمع الذي يتبنى تشريع المتعة لأن هذا الزواج يقضي على كل هذه المفاسد الاجتماعية التي تنخر في جسد البنية الانسانية وتكاد تقضي على كل اعمال المصلحين والخيرين وتعيدنا اذلاء مستعبدين .

الثالث: كيف نعمل بأولاد المتعة وما حكمهم؟ وما حكم الولد الذي تمتعت امه برجل عابر وحملت به.

بعد القول بتشريع المتعة وحليتها يكون ولد المتعة ولداً حقيقياً شرعياً يتمتع بجميع الخصائص البنيوية للأب فيجب على الأب النفقة عليه واعالته وتربيته وتهذيبه وتعليمه وكذلك يرث من أبيه كما يرث الولد من الزواج الدائم لا فرق بينه وبين ولد الزواج الدائم بشيء أصلاً.

واما حكم الولد فيمن تمتعت امه بعابر سبيل، فنجيب :

أولاً: ماذا كنت تعمل فيمن تزوجت زواجاً دائماً بعابر سبيل هل كنت تجيز ذلك الزواج او تمنع منه لا بد وان تقول بجوازه فنحن نقول لك كما كنت تفعل في الزواج الدائم في هذه الحالة اعمل بمثله في زواج المتعة.

وثانياً: نقول ان النساء في المجتمع الاسلامي ليس نساءاً يعترضن الطريق ويقطعنه كي يصطذن رجلاً يقضين منه وطراً.

فإن المرأة المسلمة امرأة تحمل نفسية عالية تأخذ الحيطة لها في كل امورها فانها في مثل هذه الحالة تأخذ من الرجل ما تعتمد عليه من الأمور التي لو حملت لأمكنها الاتصال به واخباره بحملها كأن تأخذ عنوانه او ما يشبه ذلك كي تكون على اتصال به، .

وبعبارة أُخرى تعمل كما لو كانت متزوجة بالعقد الدائم، .

على ان هذا الفرد قليل الوقوع بل نادره اذ ليس النساء المسلمات بهذا الواقع المتصور.

موقف الشيعة
من صحابة النبي (ص)

الصحابة:

إن قضية الصحابة هي احدى القضايا المهمة التي اتخذ فيها الخط الشيعي رأياً معتدلاً لا افراط فيه ولا تفريط، لم يشذ بمسلكه ذاك عن الطريق السوي او ينفرد وحده بهذا الرأي، بل هناك من المسلمين ـ من غير الشيعة ـ من تبنى رأيهم في الصحابة دون ان تأخذه في الله لومة لائم سيراً وراء الحق واقتفاء للدليل والبرهان وقبل البدء بما ذكره القوم من تعديل الصحابة جميعاً يحسن بنا ان نطوي بعض المقدمات التي يتوقف عليها البحث بصورة مرضية مقبولة، من تحديد معنى الصحابي، وبيان معنى العدالة التي اعطيت لهؤلاء الصحابة الكرام، ثم نستعرض أدلة القائلين بأن كل الصحابة عدول؛ الأدلة التي اوردوها من الكتاب والسنة وغيرهما ثم نذكر ردها وبعد ذلك نأتي الى النتيجة التي بها نثبت الحق في المسألة ونهتدي الى الرأي الصائب فيها.

من هو الصحابي

الصحابي في اللغة مشتق من الصحبة ويوصف بها كل من صحب غيره طالت المدة او قصرت.

واما في اصطلاح المحدِّثين ـ والذي عليه يدور الحديث هنا ـ فقد عرِّف الصحابي بعدة تعاريف نأخذ بعضها..

١ ـ عرّف ابن حجر في كتابه (الاصابة في تمييز الصحابة) عرف الصحابي بقوله الصحابي من لقي النبي صلى الله عليه وسلّم مؤمناً به ومات على الاسلام فيدخل فيمن لقيه من طالت مجالسته له او قصرت ومن روى عنه او لم يروى ومن

غزا معه او لم يغزو من رآه رؤية ولو لم يجالسه ومن لم يره لعارض كالعمى.

٢ ـ عرّفه البخاري في صحيحه بقوله: من صحب رسول الله (ص) او رآه من المسلمين فهو من الصحابة.

ويبدو من هذين التعريفين التوسعة في مؤدى كلمة الصحابي وانها اكثر سعة من غيرها لأن في هذين التعريفين تنطبق على من رأى النبي ولو لحظة فيستحق عندها جميع حقوق الصحبة التي ستترتب على هذا الاسم والانتساب كما سيأتي. ولكن يبدو ان هذا الرأي لم يكن هو الرأي المجمع عليه والمتفق على صحته فإن القاضي الباقلاني ذكر «ان الصحبة لا يوصف بها الا من كثرت صحبته واتصل لقاؤه ولا يجري هذا الوصف على من لقي النبي ساعة ومشى[1] معه خطاً او سمع منه حديثاً والرأي الأول هو المشهور بين السنة والمعتمد لديهم فيجب ان تكون على ذُكر دائم منه كي نرى مقدار صحة ما اعطوه من الصفات وما حملوا من الكرامات لمن اتصف بهذه الصحبة التي لم تدم سوى لحظة رأى فيها انسانُ النبي او سمع منه حديثاً، يجب ان تكون على ذُكر مستمر واحاطة كاملة بهذا التعريف كي نرى البركات والخيرات التي اعطيت لمن حمل اسم الصحبة واكتسبها في لحظة واحدة لأن هذه اللحظة سترد كل الاشكالات التي توضع على اي انسان مرّت في حياته هذه اللحظة؛ واكتسب شرف الصحبة، ان هذه اللحظة سترفع قوماً من الناس عن سائر الناس ويكون لهم شأن اي شأن، انه شأن يطوي الحديث عنهم الا بالخير مهما فعلوا ومهما ظهرت منهم امور منكرة او مستهجنة.

عدالة الصحابة:

إن هؤلاء الصحابة الذين عرفنا متى ينطبق عليهم هذا العنوان ـ وقد تقدم انه يكفي رؤية النبي ولو لحظة او سماعه ولو حديثاً واحداً ـ هؤلاء الصحابة قد اعطوا من الحصانة ما لا يجوز معه ان يُذكروا الا بالتقدير والتعظيم والمدح والثناء ولا يجوز ان يقترب احد من ساحتهم بأي علامة استفهام او سؤال عن تصرف يُشْعَر منه انه يحط من كرامة احدهم او يمس بعدالته، . هؤلاء الصحابة قد اعطاهم اخواننا السنة ميزة زائدة عن جميع المسلمين، انها ميزة العدالة المطلقة لكل من اتصف انه صحابي

---

١ ـ الكفاية ص ٥١ .

مهما عمل من موبقات وارتكب من الجرائم والمخازي، ان الصحبة قد هدمت كل شائنة وغفرت كل جرم فلا يجوز في المنطق ان تقول لماذا؟ لمن اتصف بالصحبة، اولِمَ لمن حمل اسم الصحبة انها اسم لأنسان مبرّأ من جميع الذنوب معدّل بصبغة اللحظة التي اكتسبها او الحديث الذي سمعه من النبي..

ولذا قال ابن حجر في [1] الاصابة: اتفق اهل السنة على ان الجميع عدول ولم يخالف في ذلك الا شذوذ من المبتدعة.

وقال الآمدي في الاحكام: اتفق الجمهور من الأئمة على عدالة الصحابة وقال قوم حكمهم في العدالة حكم من بعدهم في لزوم البحث عن عدالتهم عند الرواية،.

فالرأي المشهور والأكثر شيوعاً الذي عليه يبني الجمهور من السنة «ان الصحابة عدول» وان خالف بعضهم في ذلك ووافق الشيعة في عدم اعطاء هذه الصفة للجميع.

والعدالة التي اعطيت لهؤلاء الصحابة هي عبارة عن الملكة التي تمنع الانسان عن ارتكاب المحرمات وتدفعه الى القيام بالواجبات يعني حالة نفسانية تجعل من هذا الانسان دائم المراقبة على نفسه متطلع بحذر عن الوقوع في الحرام غير مقصر في أداء الواجبات.

واذا تنزلنا عن كونها ملكة فلا بد من القول ان العدالة هي السير في جادة الشريعة الاسلامية المقدسة وعدم الانحراف عنها يميناً او شمالاً بأن لا يرتكب معصية بترك واجب او فعل حرام.

هذه هي العدالة التي اعطيت للصحابة جميع الصحابة بدون استثناء ـ حتى لمن رأى النبي ولو مرة واحدة او سمع منه ولو حديثاً واحداً ـ فهل هذا شيء صحيح؟ وهل كان الصحابة كلهم كذلك؟ هذا ما يكشفه البحث بعد ذلك ويحدده الدليل.

ثم انه بعد اعطائهم هذه العدالة ترتبت امور واعطيت لهم امتيازات لم تعط لأحد من الناس.

---

١ ـ الاصابة ج ١ ص ٩ في بيان حال الصحابة من العدالة.

فقد ترتب على القول بعدالتهم امور منها:

١ ـ عدم جواز البحث عن حالهم فاذا وصلت الرواية الى احدهم انكسر القلم وخرس المنطق فلا يجري عليهم قانون الجرح والتعديل، .

٢ ـ حمل كل ما صدر منهم من هفوات وعثرات ومذلات ومخالفات على الإجتهاد فإنه احسن علاج لجميع المصائب والويلات.

٣ ـ من يجرح احدهم فهو خارج عن الدين زنديق يريد ان يجرح الشهود ليبطل الكتاب والسنة لأنهم هم الذين حملوهما الينا. .

وهناك دعاوى أخر القيت جزافاً دون مستند او دليل فالأجدر بنا ان نعرض ادلة القوم وما استدلوا به على عدالة جميع الصحابة لنرى هل تنهض بما ادعوه او انها براهين فاشلة لا تثبت شيئاً من ذلك. . .

أدلة القوم من الكتاب

لقد استُدلَ على عدالة الصحابة جميعاً ـ حتى من رأى النبي مرة او سمع منه حديثاً ـ بعدة آيات خارجة عن الموضوع لا صلة لها بما ادعوه.

قال ابن حجر في الاصابة ناقلاً عن الخطيب في الكفاية قوله:

عدالة الصحابة ثابتة معلومة بتعديل الله لهم واخباره عن طهارتهم واختياره لهم فمن ذلك قوله تعالى: ﴿**كنتم خير امة اخرجت للناس**﴾ وقوله تعالى: ﴿**وكذلك جعلناكم امة وسطا**﴾ وقوله: ﴿**لقد رضي الله عن المؤمنين اذ يبايعونك تحت الشجرة فعلم ما في قلوبهم**﴾ وقوله تعالى: ﴿**والسابقون الاولون من المهاجرين والانصار والذين اتبعوهم بإحسان رضي الله عنهم ورضوا عنه**﴾ وقوله تعالى: ﴿**يا ايها النبي حسبك الله ومن اتبعك من المؤمنين**﴾، وقوله تعالى: ﴿**للفقراء المهاجرين الذين اخرجوا من ديارهم واموالهم يبتغون فضلاً من الله ورضواناً وينصرون الله ورسوله اولئك هم الصادقون الى قوله انك رؤف رحيم**﴾، في آيات كثيرة يطول ذكرها واحاديث شهيرة يكثر تعدادها وجميع ذلك يقتضي القطع بتعديلهم ولا يحتاج احد منهم مع تعديل الله الى تعديل احد من الخلق. . الى ان يقول. . وانهم كافة ـ الصحابة ـ افضل من جميع الخالفين بعدهم والمعدلين الذين يجيئون من بعدهم. .

هذه هي الآيات التي استُدل بها على عدالة الصحابة وهناك آيات أُخرى بروحها وعلى نسقها وهذه الآيات لو دققنا النظر فيها لوجدنا انها لا تدل على المطلوب ولا تفي باثبات المراد فان هذا الاستدلال غير تام لعدة امور.

١ ـ إن هذه الآيات لم ترد في جميع الصحابة ولا تشملهم كلهم بل هي خاصة في البعض منهم ويدلنا على ذلك ان نلقي نظرة أخرى نحو كتاب الله لنجد الحشد الكبير من الآيات التي تتعرض للصحابة ـ ليس كلهم ـ فإنا نجد الصورة التي يمكن ان نكونها عنهم وتكشف حقيقة بعضهم بجلاء بل انظر الى سورة براءة المسماة بالفاضحة وضع كل آية موضعها فإنك تجدُ التنديد بمن لم يطع الله ورسوله وتحمل بشدة وعنف على اولئك المنافقين الذين يلبسون من الأقنعة ما طاب لهم ووافق هواهم، وهذا نموذج من تلك الآيات فانظر لمن خاطبت وبمن نزلت:

قال تعالى: : ﴿لا يستأذنك الذين يؤمنون بالله واليوم الآخر ان يجاهدوا بأموالهم وانفسهم والله عليم بالمتقين انما يستأذنك الذين لا يؤمنون بالله واليوم الآخر وارتابت قلوبهم فهم في ريبهم يترددون ولو ارادوا الخروج لأعدوا له عدة﴾

وقال تعالى: **﴿قل انفقوا طوعاً او كرهاً لن يقبل منكم انكم كنتم قوماً فاسقين وما منعهم ان تقبل منهم نفقاتهم الا انهم كفروا بالله ورسوله ولا يأتون الصلاة الا وهم كسالى ولا ينفقون الا وهم كارهون ويحلفون بالله انهم لمنكم وما هم منكم ولكنهم قوم يفرقون﴾**.

قال تعالى: **﴿قالت الأعراب آمنا قل لم تؤمنوا ولكن قولوا اسلمنا ولما يدخل الايمان في قلوبكم..﴾**.

بمن نزلت هذه الآيات الى عشرات امثالها؟ الم تنزل في اولئك الذين عاشوا مع النبي وسموا على مسلك القوم (صحابة) فأين نضع هذه الآيات وقد كان سبب نزولها اولئك الذين عاشوا عصر النبوة فأبوا الايمان الحقيقي بل اظهروا الاسلام وابطنوا الكفر والنفاق،.

هل يمكن ان نقول ان هذه الآيات نزلت بدون سبب؟ وهذا انكار لما هو ضروري،

هل يمكن ان نقول انها نزلت بقوم لم يخلقوا؟ وهذا بهتان ودجل.

هل يمكن ان نقول انها آيات لم تتحقق مصاديقها؟! هذا يكذبه الواقع ويرفضه الوجدان.

نعم انها نزلت في قوم عاشوا مع النبي، انهم لا يقومون الى الصلاة الا كسالى انهم قوم ممن استسلموا ولم يسلموا ممن اظهروا الايمان وابطنوا النفاق انظر الى قوله تعالى: **﴿قل انفقوا طوعاً او كرهاً لن يقبل منكم انكم كنتم قوماً فاسقين﴾**

بمن نزلت هذه الآية؟ الم تنزل بجماعة ممن عاش مع النبي وتسمى باسم (الصحابة) ولمن خاطب الله تعالى بقوله **﴿لن تقبل منكم﴾** الم يخاطب جماعة معنيين، الم يتلقى النبي هذا الوحي ليبلغه المسلمين ويعرف اولئك الذين انفقوا رياء وكذباً ودجلاً انهم قد وسموا بسمة لا تمحى آثارها ويبقى عارها.

وانظر الى فرارهم يوم حنين وكيف نزل الوحي مصوراً حالهم: **﴿ويوم حنين اذ اعجبتكم كثرتكم فلم تغن عنكم شيئاً وضاقت عليكم الأرض بما رحبت ثم وليتم مدبرين﴾**

انهم كانوا اكثر من عشرة آلاف شخص لم يبق مع النبي منهم الا سبعة نفر علي بن ابي طالب والعباس بن عبد المطلب والفضل ابنه وغيرهم واما الباقون فانهم فروا دون حياء او خجل فروا عن رسول الله وتركوه في المعركة، اسلموه للأعداء ولاذوا بالفرار.

ويشهد لفرارهم هذا ما رواه البخاري في صحيحه الذي صحّح القوم كل ما فيه: عن انس قال: لما كان يوم حنين اقبلت هوازن وغطفان وغيرهم بنعمهم وذراريهم ومع النبي عشرة آلاف من الطلقاء فأدبروا عنه حتى بقي وحده، ولم يبق معه غير علي ونفر ممن خلصت نياتهم لله.

فأين جموع المسلمين والصحابة العدول، كيف فروا؟ لماذا فروا؟ كيف تركوا رسولهم وحده مع علي وخلص اصحابه؟ انها اسئلة تحتاج الى اجوبة.

وانظر الى قوله تعالى: **﴿وما محمد الا رسول قد خلت من قبله الرسل افإن مات او قتل انقلبتم على اعقابكم ومن ينقلب على عقبيه فلن يضر الله شيئاً...﴾**

إن هذا الخطاب في هذه الآية المباركة والتي يذكر فيها الارتداد بهذه الصورة التي تكون عقيب موت النبي انما هو خطاب موجّه الى اولئك الصحابة الذين وسموا

بالصحبة والذين نزههم الناس عن كل عيب او دنس فإذا كان قولهم صحيح في عدالة الصحابة فأين يضعون هذه الآية؟ ولماذا انزلت؟ وبمن نزلت؟ . . .

إن النظر الى الآيات المادحة فقط دون الآيات الذامة نظر بعين واحدة مع اغماض الأخرى عمداً وهو نظر مرفوض في لسان الاسلام مخالف لدين الله وكتابه، انه يكون من الايمان ببعض الكتاب والكفر ببعضه الآخر وهذا غير جائز ولا سائغ فما ارتآه الشيعة من قولهم: ان بعض الصحابة عدول امناء ثقاة لهم اجر الجهاد والبذل والعطاء والتضحية وان هناك بعض آخر منافقون فاسقون كاذبون هذا الرأي هو الصحيح المعتمد الذي يوافق كتاب الله ووحيه المنزل على رسوله الكريم.

٢ ـ ان هذه الآيات المادحة والمشيدة بفضل هذه المجموعة التي عاشت مع النبي كلها مقيدة ومشروطة بعدم ظهور شيء منهم يخالف الدين او يتنافى وشريعة الله يعني ان آيات المدح والثناء لهؤلاء الجماعة مشروطة بثباتهم على ما هم عليه من الايمان والالتزام بالتقوى والورع والعمل الصالح والا لو قام احد هؤلاء بقتل النفوس البريئة وازهاق الأنفس المعصومة هل من عاقل يتفوه وينطق ويعتذر عنهم بأن آيات المدح والثناء تشملهم فلا تثريب عليهم ولا حرج فيما فعلوا بعد ذلك من الموبقات والجرائم ان هذا الا خبل ودجل.

فانظر ان شئت ان تتأكد من ذلك إلى خطاب الله لنبيه الكريم الذي قال له: **﴿انا فتحنا لك فتحاً مبيناً ليغفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر﴾** انظر كيف يخاطبه الله بقوله: **﴿ولئن اشركت ليحبطن عملك ولتكونن من الخاسرين﴾**

انظر انه رسول الله افضل خلق الله وخيرهم، اصطفاه الله بعلمه وارتضاه لرسالته وجعله اميناً على وحيه ومع ذلك يهدده بهذاالبيان القوي الذي لا يريد به شخصه ـ لأنه بحسب معتقدنا وان توجه الخطاب اليه فإن المراد سواه من امته ان رسول الله وسفير وحيه مع منزلته التي لا يدانيه فيها احد يهدده الله تعالى بهذا التهديد الفظيع. بل انظر الى قوله تعالى: **﴿يا ايها الرسول بلغ ما انزل اليك من ربك وان لم تفعل فما بلّغت رسالته. . ﴾** فمع انه رسول الله وصفوة البشر المعصوم من الخطأ والزلل يهدده الله بأنه لو ترك حكماً واحداً لم يبلغه فكأنه لم يفعل شيئاً ويكون العقاب كبيراً.

فإذا كان الله تعالى قد شرط هذا الشرط على رسوله فهو في حق اصحابه احق

واولى فإن الاشادة والإكبار والمدح والثناء اعطى لهم ذلك كله مشروطاً بالثبات على الإيمان وعدم ظهور ما ينافي الاسلام، وهذا شيء لم يثبت الجميع عليه بل هناك فريق من الصحابة قد ارتد بعد اسلامه ومنهم من شرب الخمر عمداً وجلد حداً في الإسلام ومنهم المنافق الفاسق ومنهم الذي خالف دين الله في كثير من احكامه الى غير ذلك من الامور التي تنفي ثبات الجميع فإذا كان منهم من بقي على حب الله ورسوله وجهاد في سبيل الله يبغي بعمله الله والدار الآخرة فإن منهم من لم يثبت على ذلك وهذا هو رأي الشيعة ومسلكهم الصحيح، فإن الشيعة لا تجحد فضل الصحابة المجاهدين ولا تطعن في الجميع فإن الطاعن في الجميع كافر فاسق مائن اذ فيهم النخبة الممتازة التي صدقت ما عاهدت الله عليه ووفت بعهد الله وبذلت مهجها في سبيله لم تؤثر عمى على هدى ولم تمل من حق الى باطل وانما الشيعة تقول: ان الصحابة ليسوا كلهم كذلك وهذا هو ما ذهب اليه بعض المحققين من علماء السنة قديماً وحديثاً ومنهم في عصرنا هذا الشيخ محمد عبده والسيد رشيد رضا والشيخ المحقق محمود ابوريه صاحب كتاب (اضواء على السنة المحمدية) الذي حقق فيه اعلى واغلى تحقيق في هذا الباب وخرج مجلياً فائزاً بقصبة السبق في هذا المضمار حيث برهن بأجلى الأدلة وأوضحها ما ذهب اليه الشيعة ووافقهم نصاً وروحاً فيما ذهبوا اليه وان لم يكن منهم وافرد لأبي هريرة كتاباً مستقلاً بيّن فيه دجل وكذب شيخ المضيرة بشكل لا يمكن دفعه او رده ـ وهو ممن سموه صحابياً ـ واعطوه كل ما للصحابة من صفات وكرامات..

٣ ـ ونقول ثالثاً إن هذه الآيات وردت في مواطن خاصة وظروف خاصة ولا تتنافى مع ارتكاب اصحابها لما يخالفها فهي بمثابة ما لو فعل ابنك شيئاً حسناً فمدحته على ذلك الشيء فإن مدحك له لفعله ذاك لا يستدعي ان تكون كل افعاله الأُخر المستقبلية ممدوحة فقد يبقى مثابراً على الافعال الحسنة والطيبة وقد لا يبقى،

فإن قوله تعالى ﴿كنتم خير امة اخرجت للناس﴾ مرهونة هذه الخيرية بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر حيث ان تمام الآية هو قوله: ﴿تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله﴾ فلو ان المسلمين لم يعملوا ذلك هل تبقى هذه الخيرية لهم؟! كلا ثم كلا! وانما اكتسبت هذه الامة خيريتها من القيام بهذا الواجب فإذا اهملته سقطت.، يضاف الى ذلك ان هذه الخيرية للمجموع لا للجميع فلا تنافي بين ان تكون الامة خيرة ويكون بعض الافراد شريرين فاسدين.

٤ ـ إن استفادة العدالة بمعناها الواسع العريض من هذه الآيات الكريمة يتنافى مع ما صدر من هؤلاء الصحابة، سواء ما صدر بينهم خاصة او بينهم وبين المسلمين وسنأتي على ذكر بعض تلك الأحداث والمخالفات اللا شرعية وهذا يكشف عن ان هذه الآيات ليست بصدد تعديلهم او اعطائهم الثقة حتى في مستقبل الأيام التي بعدُ لم تأت.

٥ ـ إن هذه الآيات المادحة للصحابة والمثنية عليهم لو كانت بمعنى العدالة التي اثبتها لهم من تأخر عنهم لأحتج بعضهم بها على الآخر ولرفع عقيرته معتذراً بهذه العدالة ولكن لم نجد احداً اعتذر بذلك او جعله غطاء شرعياً لكل ما فعل، وهذا بنفسه يكشف عن كون هذا المدح والثناء ليس تعديلاً لهم بالمعنى الذي نحته لهم المتأخرون.

هذه بعض الاشكالات التي تدفع الاستدلال بالآيات على المطلوب من تعديل الصحابة جميعاً. .

أدلة القوم من السنة:

هناك روايات مادحة للصحابة مطرية لهم ترفع من شأنهم وتثني عليهم هذه الروايات فيها الغث والسمين والضعيف والهزيل والمراسيل والمقاطيع ولا شك في صدور بعضها عن النبي كما لا اشكال في ان بعض الصحابة يستحقون ذلك وهم له اهل فإن مدح النبي لشخص لا يكون جزافاً وتقيمه لفرد ينبع من استحقاق وكفاءة الممدوح فإن النبي لا ينطق عن الهوى ان هو الا وحي يوحى وانما الخلاف والنزاع في ان هذا المدح هل يشمل جميع الصحابة بما فيهم من رأى النبي ولو لحظة واحدة ثم فارقه فلم يره بعد ذلك ابداً او ان هذا المدح يختص ببعض الصحابة فقط ولا يشمل الجميع.

ثم ان هناك سؤالاً يُطرح: ما مدى دلالة هذا الثناء والمدح هل يراد به الاشادة والتنويه بما قدموه او يراد به العدالة؟ التي تقدم معناها؟

ونحن نستعرض بعض تلك الأخبار لنرى مقدار دلالتها ووجه الحق فيها.

استدل القوم على عدالة الصحابة من السنة الشريفة بعدة اخبار.

١ ـ ما روي عن النبي (ص): اصحابي كالنجوم بأيهم اقتديتم اهتديتم والرد على هذا الحديث بخصوصه واضح فإن اشارات الوضع ظاهرة عليه وبطلانه تحملها عناصر عباراته فان رؤى الحقيقة ومسحة العطر النبوي خالية عنه وذلك لعدة امور.

الأول: لو صح الحديث لدل على عصمة الصحابة وانهم قوم لا يطرأ عليهم حتى السهو والنسيان فإن مفاد الحديث ذلك ومؤداه ما قلناه وهذا خلاف الاجماع من المسلمين ولم يدعه احد منهم.

الثاني: ان في الصحابة من ظهر فسقه وبان جوره وتحدث الناس بمنكراته واستهتاره ويكفيك ما ذكره القرآن في سورة براءة التي سميت الفاضحة لأنها كشفت اسرارهم وهتكت نواياهم وابانت ما هم عليه من الجشع والطمع وعدم الايمان الصحيح.

الثالث: لو كان هذا الحديث صحيحاً وكان كل من اقتدى بأحد الصحابة

اهتدى لكان قاتل عثمان وناصره سيان لأن اجماع الصحابة ثم على التخلص منه وتلك اقوالهم مسطورة وكلماتهم منثورة في التواريخ والسير والكتب المعتبرة، ولكان المتمسك بعرى الخلافة الاسلامية وقائدها الامام علي مع من توقف عن بيعته او حاربه كلهم على حق وهدى، وخير وصلاح وهذا من عجائب الامور وغرائبها بل من مستحيلاتها التي تحققت بالاعجاز. ، يضاف الى ذلك ان الصحابة قد اختلفت طريقتهم وتعددت مشاربهم حتى في امور الدين التي عاشوا تطبيقاتها في ظلال النبوة وتحت رعايتها، بل كان الاختلاف يصدر من احدهم اذا تعدد الوقت او المكان فقد يفتي بحكم ثم ينقضه وقد يقول قولاً ثم يقول بضده وخلافه كما وقع ذلك للخليفة عمر بن الخطاب يذكر ابن ابي الحديد في شرحه: كان عمر يفتي كثيراً بالحكم ثم ينقضه ويفتي بضده وخلافه قضى في الجد[1] مع الاخوة قضايا كثيرة مختلفة ثم خاف من الحكم في هذه المسألة فقال: من اراد ان يتقحم جراثيم جهنم فليقل في الجد برأيه، .

فإذا كان الاختلاف في القول والحكم يحدث عندشخص واحد وهو من الرعيل الأول فهيّا الى مجموع الصحابة لترى الغرائب والعجائب. انك ستذهل ستقف مشدوهاً مأخوذاً من تضارب الآراء واختلافها، انها اراء متعددة في مسألة واحدة وكلها قد لا يكون لها في الاسلام نسب ولا صلة، فكيف نهتدي مع هذه الاختلافات الكثيرة وهذه الحرب الضبروس في الاراء والافكار كيف نهتدي وهي لا تنسجم مع روح الاسلام وعدالة السماء، فالحق واحد والشريعة واحدة وما حكم به محمد (ص) رسول السماء لا يتعدد فالمسألة لا تحتمل في منطق السماء اكثر من رأي واحد فكيف تشعبت الآراء وتعددت وكيف تكون الهداية بالاقتداء بالجميع بجميع الآراء المتناقضة المتضاربة.

ثم ان بعضهم كان يدرك انه في معرض الخطأ والزلل وهذا يؤدي به الى الخطر فكان يتراجع، كان يدرك انه ليس على الحق وهذه تصريحات الخليفة عمر تفصح عن ذلك وتشير اليه وما قوله (لولا علي لهلك عمر) الا شاهد صدق على ان الاهتداء لا يكون بالاقتداء بأي صحابي كان بل هناك قوم من خاصة النبي الذين عصمهم الله من الزلل وامنهم من الفتن واوضح بهم الطريق فابان فضلهم للناس اجمعين،

---

١ ـ شرح النهج لابن ابي الحديد ج ١ ص ١٨١ .

هؤلاءهم المعصومون، هم وحدهم الذين نزل القرآن فيهم نزل بتطهيرهم في قوله تعالى: ﴿**انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس اهل البيت ويطهركم تطهيرا**﴾ هؤلاء هم فقط الذين يقول فيهم النبي: النجوم أمان لأهل الأرض من الغرق واهل بيتي امان لأمتي من الاختلاف[1] فاذا خالفتها قبيلة من العرب اختلفوا فصاروا حزب ابليس، وهم الذين قال فيهم رسوّل السماء (انما مثل اهل بيتي فيكم كسفينة نوح من ركبها نجا ومن تخلّف عنها غرق وانما مثل اهل بيتي فيكم مثل[2] باب حطة في بني اسرائيل من دخله غفر له) اذن فحديث اصحابي قد حرِّف عن واقعه وازيح عن مواضعه، قد لعبت فيه ايدي الامويين بأمر طاغيتهم معاويةالذي لا يرد له امر وليست هذه هي اول قارورة تكسر في الاسلام ولا اول حديث تختلق العثمانية مقابله حديثاً يوافق ميولها وشهواتها. . فانظر الى الحديث الصحيح المسند المعنعن الذي قاله النبي في حق الامام: (انا مدينة العلم وعليّ بابها ولا تؤتى البيوت الا من ابوابها) انظر الى هذا الحديث الذي اتفقت عليه الامة وصدقه الواقع كيف اختلقت الايدي الخبيثه مقابله حديث (انا مدينة العلم وعلي بابها وابو بكر اساسها وعمر حيطانها) لقد راق للمضللين ان يكذبوا على رسول الله ويحرفوا الحديث عن واقعه لقد اقلق مضجعهم ان ينفرد عليّ بهذا الشرف الرفيع والعز المنيع فارادوا اشراك الخليفتين فأكملوا الحديث من عندياتهم تبرعاً ونافلة. وهناك غير هذا من المواضيع التي لم نكن بصدد التعرض لها هنا ولها محلها المعد لها. .

الرابع: ان هذا الحديث معارض بما رواه البخاري ـ وهو أصح الكتب عند القوم ويعدّ تالي القرآن بل عدله، وانا لا اريد ان استوعب كل ما جاء في الصحيح في هذا الباب وانما اكتفى بنقل بعضها لتقف عليه وتحكم بنفسك هل ان جميع الصحابة عدول ثقات؟

وهل ان الاقتداء بأي واحد منهم يؤدي الى الهداية ويعصم من الضلالة أو ان هذا الكلام لا اصل له ولا اساس بل ابتدعه المحبون والمعجبون بالصحابة او الذين يريدون ستر عورات بعضهم بخلق ما يهين السنة ويوهن كلام رسول الله وحديثه.

١ ـ روى البخاري عن ابن عباس عن النبي (ص) قال: انكم تحشرون حفاة عراة

---

١ ـ مستدرك الصحيحين ج ٣ ص ٤٩ .

٢ ـ الهيثمي في مجمعه ج ٩ ص ١٦٨ .

وان اناساً من اصحابي يؤخذ بهم ذات الشمال فأقول: اصحابي! اصحابي! فيقول: انهم لم يزالوا مرتدين على اعقابهم منذ فارقتهم فأقول كما قال العبد الصالح (وكنت عليهم شهيداً ما دمت فيهم).

انظر الى هذا الحديث فهل عليه غبار؟ انهم من صحابة النبي أولاً! وانهم قد ارتدوا منذ فارقهم ثانياً! فانهم من اهل النار عاقبة ونتيجة فهل يدين الشيعة بغير ما يؤدي اليه الحق والسنة الصحيحة!..

٢ ـ روى البخاري عن ابي هريرة عن النبي (ص) قال: بينا انا قائم فإذا زمرة حتى اذا عرفتهم خرج رجل من بيني وبينهم قال: هلم، قلت اين؟ قال: الى النار والله، قلت وما شأنهم؟ قال: انهم ارتدوا بعدك على ادبارهم القهقرى، ثم اذا زمرة حتى اذا عرفتهم خرج رجل من بيني وبينهم، قال: هلم، قلت: اين؟. قال: الى النار والله، قلت: وما شأنهم؟ قال: انهم ارتدوا بعدك على ادبارهم القهقرى فلا اراه يخلص منهم الا مثل همل النعم وفي رواية اخرى ان النبي قال: يردِ عليّ يوم القيامة رهط من اصحابي فيملأون عليّ الحوض فأقول: يا رب اصحابي: فيقول: (انك لا علم لك بما احدثوا بعدك انهم ارتدوا على ادبارهم القهقرى..) فهذه الروايات بمفاد الأولى الا انه لا يسلم من اصحابه الا مثل همل النعم انهم قلة قليلة بقيت ثابتة على المبدأ الذي فارقها عليه رسول الله، انهم خلص اصحابه واهل بيته ومن اطاعه في اوامره ووصاياه واما اولئك الذين نبذوا الكتاب وقتلوا العترة وازالوها عن مراتبها انهم من اصحاب النار انهم مصاديق هذا الحديث الشريف وما قبله ولا تنفعهم الهالات المقدسة التي صاغها لهم اتباعهم ومحبيهم.

٣ ـ روى البخاري عن عبد الله عن النبي: انا فرطكم على الحوض وليرفعن رجال منكم ثم ليختلجن دوني فأقول: يا رب اصحابي، فيقال انك لا تدري ما احدثوا بعدك.

بربّك أعد قراءة هذا الحديث وقف امامه مفكراً فهل يقودك فكرك الا ان تقول كما هو نص الحديث؛ اصحابي: انهم صحابة النبي لا غيرهم ممن يأتي بعدهم، وانهم احدثوا ولا بد احداثاً ضخمة كبيرة ومعاصٍ اوجبت دخولهم النار فهل الى

غير هذا يقودنا الحديث وهو نص في ذلك لا يحتمل معنى آخر او دلالة ثانية. انه كذلك..

٤ - يروي البخاري عن حذيفة: ان المنافقين اليوم شر منهم على عهد النبي كانوا يومئذٍ يسرون واليوم يجهرون.

هذه بعض الأحاديث التي اوردها البخاري وهو في نظر القوم مما لا يجوز التشكيك في مروياته بل يجب العمل بها والايمان بمضمونها. نقول لهؤلا القوم كيف تعملون بهذه المرويات وهي في البخاري وانك أيها المسلم لا بد ان تكون ممن يستمعون القول فيتبعون احسنه واحقه واقربه الى الصواب فانظر الى هاتين الطائفتين واحكم فان سنة الله جارية في المجتمع ان يكون فيهم الطيب النقي التقي وان يكون فيهم المجرم العاصي الشقي ولم تتخلّف هذه السنة في صحابة رسول الله الذين عاشوا معه ورأوه مضافاً الى ان الكتاب والسنة يشهدان بذلك ويؤيدانه.
واستدل أيضاً على عدالة الصحابة بما في صحيح البخاري من قول النبي (ص): خير امتي قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم.

وعن عبد الله بن عمر: ان النبي قال: خير الناس قرني ثم الذين يلونهم ثم يجيء قوم تسبق شهادة احدهم يمينه ويمينه شهادته.

وهذا المضمون غيره في الطائفة الأولى التي استدل بها على عدالة الصحابة وهذه الطائفة يمكن ان نجيب عنها..

أولاً: ان الخيرية باعتبار المجموع وليس باعتبار الافراد فليس معنى قولنا: العرب حملوا رسالة الاسلام ان كل واحد منهم حملها بل ان هناك من وقف في وجهها وحاربها وقتل المؤمنين بها فكذلك قوله خير الناس قرني ليس نصاً في الأفراد حتى نجمد عليه،.

وثانياً: ان الاحداث التي جرت في ذلك القرن تدلل على خلاف ذلك اذ كان شر قرن، فما ذكر الا وتبادرت الى اذهاننا تلك المآسي والمظالم ومر شريط الاحداث ناقلاً افظع واقسى الأيام والساعات.

ففيه قد ابتدأ النزاع بين المسلمين وتفرق الناس شيعاً واحزاباً فبعد الاجتماع بقيادة النبي فرّقتهم سقيفة بني ساعدة التي اغتصب فيها حق سيد الوصيين علي بن ابي

طالب فازيحت الخلافة عن رواسيها وابعدوها عن اهلها وكانت هذه اول الهنات واعظم المشكلات ومنها تفرع كل ما حدث وجرى من مصائب وويلات واحداث وحزازات.

وفي ذلك القرن ـ الذي هو خير القرون عندهم ـ استشهد سيد المسلمين وامام المتقين علي بن ابي طالب بسيف الشقي ابن ملجم، وفيه طعن عمر وقتل عثمان واستشهد سبط رسول الله وسيد الشهداء الحسين بن علي بطل كربلاء وفيه استبيحت المدينة الطيبة مدينة رسول الله وافتضت الابكار بغير حق وذبحت الشيوخ والأطفال وانتهبت الاموال وهدمت الدور، ولو جئنا لنعدد المحن والمآسي لسودنا مجلدات وأتلفنا اوراقاً كباراً ويكفي ان نلقي نظرة على ولاية معاوية وما حدث فيها من قتل وصلب وتشريد ونعطي لمحة قصيرة على دور الجلادين والمجرمين كبسر بن ارطأة ومسلم بن عقبة وزياد بن ابيه لنرى التاريخ المظلم والقرن السيء بحالة تؤهله للفوز على سائر القرون سوءاً وقبحاً.

وثالثاً: إن هذه الأحاديث معارضة بما هو مروي في الصحاح بل وغيرها مما هو حسن يرتقي الى سلم الصحة. ففي البخاري ، في خلق افعال العباد من حديث ابي جمعة ولفظه: كنا مع رسول الله (ص) ومعنا معاذ بن جبل عاشر عشرة، فقلنا يا رسول الله هل من احد اعظم منا اجراً. آمنا بك واتبعناك، قال (ص): وما يمنعكم من ذلك ورسول الله (ص) بين اظهركم يأتيكم بالوحي من السماء بل قوم يأتون من بعدكم يأتيهم كتاب بين لوحين فيؤمنون به ويعملون بما فيه اولئك اعظم منكم اجراً. ومنها قوله (ص) مثل امتي مثل المطر لا يدرى اوله خير ام آخره . ومنها ما رواه احمد والطبراني من حديث ابي جمعة قال: قال أبو عبيدة يا رسول الله أأحد خير منا، اسلمنا معك وجاهدنا معك: قال: قوم يكونون من بعدكم يؤمنون بي ولم يروني: وقد صحّح الحاكم هذا الحديث وهو المتفق مع روح الاسلام وتعاليمه الذي يرهن الثواب بما يقدمه الانسان من اعمال وخيرات وما يسديه للناس من معروف وصلاح وان الايمان بما في الكتب من خلال البحث والفحص اشق بكثير من الايمان والرسول بين اظهرهم والحجج امامهم ومعجزات الرسول تترى في كل وقت تحت ابصارهم.

وهكذا يكون جميع ما استدل به القوم من السنة باطل إما لوهنه وضعفه او لوجود معارض له اقوى منه او لأن الواقع يكذبه ويناقضه.

الصحابة بين العادة والاعتبار:

توفي النبي (ص) عن عدد ضخم من الصحابة يمنع عادة استقامة الجميع ولا تقبل دعوى عدالتهم كلهم فإنه صلوات الله عليه قد قضى ربع قرن من الزمن يدعو الى الله ويبشر الذين يخافون ربهم فبلّغ رسالة ربه وكان في مطلع كل شمس ومغربها يرى وجوهاً جديدة حتى تكاثر العدد بحيث لا يمكن حصرهم اذ رب انسان اسلم قد رجع الى قبيلته وعشيرته وآخر قد مرّ عليه النبي(ص) فأسلم وبقي في مكانه وثالث قد ادرك النبي آخر ايام حياته ولم يتمتع بطول صحبته وخصوصاً اذا لاحظنا الايام الأخيرة من سني الدعوة حيث خرج مع النبي في حجة الوداع مائة الف وأربعة وعشرون ألفاً على بعض التقادير يضاف اليهم من خرج من قبائل العرب وافناء الناس للحج مع رسول الله وقد عم الاسلام سائر القبائل والعشائر وغزا جميع اطراف الجزيرة العربية حتى لم يبق حي الا وللاسلام فيه صوت وللايمان في اركانه صدى، وان هذه الارقام الضخمة الكبيرة لتعداد الصحابة لم يجر في العادة عدالتهم كلهم فإن السيرة جارية على عدم صفاء مثل هذا الجمع واستقامتهم فإنه بحسب الأحوال الاعتيادية لا بد وان يحوي هذا العدد ما هب ودب، ممّن هو خيّر طيب وآخر ضال فاسد، وهذا الرأي ليس غريباً فانا نجد في قرية صغيرة لا يتجاوز تعدادها الف نسمة نجد فيها البر التقي والمحسن المتدين والعدل العارف ونجد في نفس البلدة المجرم المسيء والخائن المائن والفاسق الفاجر، نجد فيها اطهر الناس واقدسهم ونجد الى جانبه الحقود الفاسد مع ان التربة والحدة والماء واحد والهداية متوفرة لكلا الرجلين . ولكن احدهما اختار الضلال على الهدى والباطل على الحق او انحرف بعد الهداية وفسق بعد الطاعة والايمان بينما نجد الآخر اختار عكس ذلك وخلافه واذا كان هذا الاختلاف يجري في بلدة صغيرة تتوالى عليها النذر ويكثر فيها المبشرون والعلماء والدعاة الى الله، فكيف بك اذا تكاثر العدد وتضخم حتى شمل امة بأسرها وبلغ عدد الصحابة فوق الحصر والاحصاء كيف يمكن ان نحكم بعدالة الجميع ووثاقتهم مع ان العادة جارية على خلاف هذا الرأي وضده؟

ثم ان المدرك بالوجدان ان كثيراً من الاشخاص يدخلون في امر من الامور لأجل غاية في انفسهم فعندما يعجزون عن ادراكها تراهم يرتدون القهقرى

وينكصون على الاعقاب ونحن نبصر من خلال الاحداث التي اعقبت فتح مكة ان كثيراً من الناس قد استسلم ولم يسلم، استسلم خوف حد السيف ان يناله فاعلنها كلمة على اللسان دون ان تدخل الجنان وان منهم من اراد بدخوله في الاسلام تقدماً وجاهاً ورفعةً وسلطانا فلما افلس من هذه الجهة رجع الى عبادة اللات والعزى ومناة وما ارتداد من ارتد الا شاهد صدق على ما اقول.

مضافاً الى ان هداية جميع الصحابة وعدالة كل من رأى النبي ليس من معجزات رسول الله (ص) حتى نقول: بأن هذه المعجزة غيرت العادة وابدلت السيرة والسنة الجارية.

لم يذكر في السير ولا السنن ان من معجزاته صلوات الله عليه «ان كل من رأى النبي او سمع منه ولو حديثاً واحداً صار صالحاً عدلاً» فإن معجزاته معدودة مذكورة قد سردها وحصرها المؤلفون في السير والتاريخ ويذكرون منها انشقاق القمر، وإطعام الطعام القليل للجمع الغفير وحنين الجذع ونطق الجمادات له، ومن اظهر معجزاته وأوثقها كتاب الله الخالد الذي خشعت لبلاغته الفصحاء وسجدت له الادباء والحكماء ولم يذكروا ان هداية اصحابه كلهم كانت من معجزاته، فالاعتبار يقود الانسان الى القول بأن في الصحابة من لا همّ له في الدين ولا قدم صدق له في الايمان كأبي سفيان ومعاوية وكثير من الامويين وصنائعهم واذيالهم. ولو كان تعديل الصحابة جميعاً رأيا للشيعة لوجدت الحرب الشعواء عليهم ووجدت وصمهم بالغلو من اجل ذلك ورميهم بالانحراف عن الاسلام لدعواهم تلك ولاحتجوا عليهم بالاعتبار والعادة الجارية بين الناس وسائر البشر ولكن بما ان العامة هم القائلون بتعديل الصحابة كلهم فيجب تغيّر العادة ويجب ان نخرج عن حد الاعتبار ونعدل الجميع وتنعكس الصورة تماماً فيصبح من يذهب الى خلافهم من اهل الأهواء والبدع وان كان رأيه حقاً وقوله صدقاً. فتأمل وتعجب..

سيرة الصحابة مع بعضهم

اذا كان الاقرار من الانسان الواعي الكامل المختار من اقوى الحجج لادانته فإن اظهر الادلة واقوى البراهين على عدم كون الصحابة في المرتبة التي جُعلت لهم من العدالة، ما صدر من بعضهم اتجاه البعض الآخر، فإن كلماتهم وما جرى بينهم يكشف بوضوح انهم قوم كبقية الناس تحكمهم طبائع البشر وغرائزهم وتتحكم في بعضهم الميول والرغبات وتسيطر عليهم لحظات من الضعف البشري والهبوط حتى صدر من بعضهم ما لا يصدر من بعض المسلمين في زماننا هذا، وليس ما نقوله مجرد دعوى ينقصها البرهان او يعوزها الدليل بل باستطاعتنا ان نأتي بالشواهد الكثيرة التي بها نثبت ما نقول وهذه هي بعض اقوالهم وما جرى بينهم أذكرها كشواهد لاثبات ما اقول.

المشهد الأول: موقف الخليفة الأول من سيدة النساء فاطمة:

فاطمة الزهراء هي البنت الوحيدة التي خلفها النبي واوصى المسلمين بها، ان مودتها وكسب رضاها هومطلب اجر الرسالة بقوله تعالى **﴿قل لا أسألكم عليه اجراً الا المودة في القربى﴾** وقد مثلت الزهراء ابرز افراد هذه الآية المباركة فحق على المسلمين ان يحفظوا وصية رسولهم بوحيدته ويرعوها اكراماً لرسول الله الذي اخرجهم من الظلمات إلى النور وهداهم بعد الضلال والعمى. وهذه بعض النصوص التي وردت عن رسول الله الذي لا ينطق عن الهوى في حق بضعته الزهراء

قال النبي (ص): يا فاطمة ان الله يغضب لغضبك ويرضى لرضاك

قال النبي (ص): كما في صحيحي البخاري ومسلم وغيرهما: فاطمة بضعة مني يريبني ما رابها ويؤذيني ما آذاها.

قال النبي (ص) لفاطمة: ان الله يغضب لغضبك[1] ويرضى لرضاك.

قال النبي (ص): فاطمة بضعة مني فمن اغضبها فقد اغضبني[2].

قال ابن حجر: وفيه تحريم اذى من يتأذى المصطفى (ص) بتأذيه فكل من وقع

---

١ ـ مستدرك الحاكم والصواعق المحرقة وغيرهما.

٢ ـ صحيح البخاري.

منه في حق فاطمة شي فتأذت به فالنبي يتأذى به بشهادة هذا الخبر.

إن هذه الاخبار قد وردت في اصح كتاب بعد كتاب الله في نظر القوم وهو صحيح البخاري وهي تفصح بأعلى صوتها ان في اذية الزهراء اذية لرسول الله وان كل ما يغضبها يغضب رسول الله واذا ثبت ذلك فلنأتي الى الخليفة الأول لنرى هل ارضى فاطمة ام اسخطها؟ هل آذاها ام لم يؤذها؟ اذا اردنا ان نعرف ذلك فهيّا بنا الى قصة (فدك) ميراث الزهراء من ابيها حيث طالبت بها فمنعها الخليفة بحجة انه سمع حديثاً من رسول الله ـ نحن معاشر الأنبياء لا نورث ما تركناه صدقة ـ حديث لم يروه الا الخليفة ولم يسمعه الا هو مع ان آيات الميراث عامة تشمل كل المسلمين بما فيهم النبي والزهراء فلو كان للنبي خصوصية لأرشد أهله اليها أو لأخبر بها المسلمين او بعضهم ولكن لم يحصل كل ذلك بل انفرد الخليفة بنقل هذا الحديث ومنع الزهراء ميراثها من ابيها رسول الله فأغضب الزهراء وآذاها وابكى عينها فقد اخرج البخاري في باب فرض الخمس عن ام المؤمنين عائشة: ان فاطمة عليها السلام ابنة رسول الله (ص) سألت أبا بكر الصديق رضي الله عنه بعد وفاة رسول الله (ص) ان يقسم لها ميراثها ما ترك رسول الله (ص) مما فاء الله عليه، فقال لها أبو بكر! ان رسول الله (ص) قال: لا نورث ما تركناه صدقة، فغضبت فاطمة بنت رسول الله فهجرت ابا بكر فلم تزل مهاجرة حتى توفيت. وقد شعر الخليفة واحسّ بعقدة الذنب اتجاه الزهراء فأراد استرضاءها فلم ترض يقول ابن قتيبة في كتاب الامامة والسياسة ـ ان عمر قال لأبي بكر رضي الله عنهما: انطلق بنا الى فاطمة فانا قد اغضبناها فانطلقا جميعاً فاستأذنا على فاطمة فلم تأذن لهما فأتيا علياً فأدخلهما عليها فلما قعدا عندها حوّلت وجهها الى الحائط فسلّما عليها فلم ترد عليهما السلام فتكلم ابو بكر فقال: يا حبيبة رسول الله! والله ان قرابة رسول الله احب اليّ من قرابتي وانك لأحب اليّ من عائشة ابنتي ولوددت يوم مات ابوك اني متُ ولا ابقى بعده افتراني اعرفك واعرف فضلك وشرفك وامنعك حقك وميراثك من رسول الله إلا إني سمعت أباك رسول الله (ص) يقول: لا نورث ما تركناه فهو صدقة.

فقالت: ارأيتكما إن حدثتكما حديثاً عن رسول الله (ص) تعرفانه وتفعلان به؟ فقالا: نعم فقالت نشدتكما الله الم تسمعا رسول الله (ص) يقول: رضا فاطمة من رضاي وسخط فاطمة من سخطي فمن احب فاطمة ابنتي فقد احبني ومن ارضى فاطمة فقد ارضاني ومن اسخط فاطمة فقد اسخطني؟

قالا : نعم سمعناه من رسول الله (ص):

قالت : فإني أُشهد الله وملائكته انكما اسخطتماني وما ارضيتماني ولئن لقيت النبي لأشكونكما اليه.

فقال أبو بكر: انا عائذ بالله تعالى من سخطه وسخطك يا فاطمة ثم انتحب ابو بكر يبكي حتى كادت نفسه ان تزهق وهي تقول: والله لادعون عليك في كل صلاة اصليها ثم خرج باكياً فاجتمع الناس اليه فقال لهم: يبيت كل رجل معانقاً حليلته مسروراً بأهله وتركتموني وما انا فيه لا حاجة لي في بيعتكم اقيلوني بيعتي.

وقد بقيت الزهراء غاضبة على ابي بكر متأذية منه ساخطة عليه حتى وصل بها الأمر ان اوصت علياً زوجها ان يدفنها ليلاً دون ان يُعلم الخليفة بذلك وهذا ما وردت به الصحاح وروته الثقاة وهنا يقال:

ولأي الأمور تدفن ليلاً بضعة المصطفى ويعفى ثراها.

وانت ايها المنصف العادل انظر واحكم واجمع بين المقدم والتالي والكبرى والصغرى واستخرج النتيجة فهل يمكن ان نقول ان الصحابة كلهم عدول، فماذا نعمل بهذه الأخبار الواردة في الصحاح فتأمل.....

المشهد الثاني

موقف الصحابة العدول من عثمان العادل:

هذا موقف آخر من مواقف الصحابة يمثل اروع مشهد على مسرح الخلافة انه ينقل الينا صورة الصحابة العدول من عثمان العادل ـ طبعاً بنظر القوم ـ انه مشهد مرّ في تاريخ الاسلام مرة ثم اختفى بعد ان ترك صوره واثاره الى يومنا هذا، ان هذه الوثائق التاريخية تعرب بكل جلاء ان الصحابة اناس كسائر الناس ولعل ابرز مستند لذلك يوضح هذا المعنى ويجليه هو موقفهم من عثمان ابان الفتنة وموقف عثمان نفسه من الأحداث التي وقعت منه ايام خلافته، فقد ارتكب الخليفة الخاطىء اموراً تتنافى والشريعة الاسلامية وما جاء به النبي محمد (ص)،

انها اخطاء لو حاسبه المجتمع المسلم على واحدة منها لاستحق الجزاء العادل الذي لقيه عندما حاسبه عليها كلها ولا اريد ان استوعبها جميعاً او ادخل في تفصيلاتها فإن لها المكان المعد لذلك وانما اشير الى بعضها كما روتها كتب التاريخ والسير واجمع المؤرخون عليها وهي:

١ ـ الاعطيات التي كان يدفعها الى اتباعه:

الأول: ما كان يدفعه الى بني اميه دون استحقاق او جدارة فقد افتتحت افريقيا في ايامه فأخذ الخمس كله فوهبه لمروان بن الحكم الوزغ بن الوزغ واقطعه (فدك) وقد كانت سيدة النساء فاطمة الزهراء طلبتها بعد وفاة ابيها رسول الله (ص) تارة بالميراث وأُخرى بالنحلة فدفعت عنها.

الثاني: طلب منه عبد الله بن خالد بن اسيد صلة فاعطاه اربعمائة الف درهم.

الثالث: اعطى عبد الله بن ابي سرح جميع ما افاء الله عليه من فتح افريقيا بالمغرب من غير ان يشركه فيه احد من المسلمين وعبد الله هذا كان كاتباً للوحي لدى النبي فارتد عن الاسلام واهدر النبي دمه يوم فتح مكة حتى لو كان متعلقاً باستار الكعبة ولكن شفع فيه عثمان وتركه رسول الله لمصلحة هناك وقد نزل القرآن بكفره في قوله تعالى: **﴿ومن اظلم ممن افترى على الله كذباً او قال اوحي اليّ ولم يوح اليه**

شيء ومن قال سأنزل مثل ما انزل الله. ﴾[1] فقد اطبق المفسرون على ان القائل سأنزل مثل ما انزل الله هو عبد الله بن ابي سرح عندما تعرضوا لتفسيرها .

الرابع : اعطى ابا سفيان بن حرب مائتي الف من بيت المال في اليوم الذي امر فيه لمروان بن الحكم بمائة الف من بيت المال.

الخامس : اتى ابو موسى الأشعري بأموال جليلة من العراق فقسّمها كلها في بني امية واعطى غيرهم الكثير من اموال المسلمين دون استحقاق او كفاءة.

٢ـ الثاني اعاد الحكم بن ابي العاص مخالفة لرسول الله فقد كان النبي (ص) سيره طيلة حياته ثم لم يرده ابو بكر ولا عمر، ولا شك انك تريد ان تعرف من هو الحكم وما هي الاسباب التي دعت النبي (ص) الى تغريبه ولعنه.

اما اسمه فالحكم بن ابي العاص عم الخليفة عثمان ـ وهو من الصحابة ـ وتترتب عليه آثار الصحبة بنظر القوم ـ قد كان جاراً لرسول الله (ص) في مكة شديد الايذاء له على شاكلة ابي لهب وكان اشد جيرانه اذى له في الاسلام فقد كان يحكي رسول الله في مشيته (يستهزء به في ممشاه) وقد اطلع على رسول الله وهو عند بعض نسائه بالمدينة فخرج اليه النبي (ص) بالعنزة (عصى) وقيل بمدرى في يده وقال: من عذيري من هذه الوزغة لو ادركته لفقأت عينه وقد لعنه النبي وما ولد حيث استأذن الحكم يوماً على النبي (ص) فعرف صوته فقال: ائذنوا له لعنة الله عليه وعلى من يخرج من صلبه الا المؤمنين وقليل ما هم ذو مكر وخديعة يعطون الدنيا وما لهم في الآخرة من خلاق وقد تعرض لقصة لعنه كل من تعرض للتفسير كالرازي والزمخشري وابن كثير وكذلك كتب السير والتراجم كالسيرة الحلبية واسد الغابة والصواعق وغيرهم.

وقد كانت عائشة تقول لمروان : لعن الله اباك وانت في صلبه فانت بعض من لعنه الله. وقد غربّه النبي الى الطائف وقال: لا يساكنني ولا ولده ومكث هناك حياة رسول الله (ص) ولما تولى الخلافة ابو بكر كلّمه عثمان في رده وادخاله المدينة فأبى فقال له عثمان عمي : فقال: عمك الى النار هيهات، هيهات، ان اغيّر شيئاً فعله رسول الله (ص) والله لا رددته ابداً فلما توفي ابو بكر وولي عمر كلمه عثمان في ذلك.

---

١ الأنعام / ٩٣ .

فقال له عمر: ويحك يا عثمان[1] تتكلم في لعين رسول الله وطريده وعدو الله وعدو رسوله فلما ولي عثمان رده الى المدينة وقد دخلها وهو بحالة سيئة تشمئز منها النفوس دخل المدينة وعليه[2] فزُر ـ ثوب بالي مشقق ـ خلق وهو يسوق تيساً والناس ينظرون الى سوء حاله وحال من معه حتى دخل دار الخليفة ثم خرج وعليه جبة خز وطيلسان ولم يكتف الخليفة بذلك بل «ولاه[3] صدقات قضاعة فبلغت ثلاث مائة الف درهم فوهبها له حين اتاه بها» فاشتد ذلك على المهاجرين والانصار وانكروا عليه فعله.

٣ ـ تسيره لأبي ذر الغفاري صاحب رسول الله (ص) الى الربذة حتى مات فيها وحيداً غريباً لأنه انكر عليه بعض افعاله ومظالمه ان ابا ذر من طليعة المسلمين الخيرة؛ من القلة السابقة الى الاسلام التي ابلت البلاء الحسن والجهاد الميمون المبارك، وعلى عاتقه وعاتق المجاهدين الأولين قامت دولة الاسلام وارتفعت اعلام الدين؛ هذا الانسان العظيم قد كان جزاؤه بعد ذلك الجهاد ان نفاه عثمان الى ارض ليس فيها انيس ولا حسيس وهو هو في المنزلة والمقام الرفيع مما دعا النبي ان يقول فيه: ما اظلت الخضراء ولا اقلّت الغبراء على ذي لهجة اصدق من ابي ذر وقال فيه كما جاءعن بريدة: ان الله عز وجل امرني بحب اربعة واخبرني انه يحبهم: علي وابو ذر والمقداد وسلمان.

وهناك الكثير مما ورد في حق هذا العظيم فقد كان ابو ذر مسلماً تشبع العقيدة والايمان فلما رأى جور عثمانَ وظلمه وما اغدق به على بني امية بدون استحقاق او كفاءة ثار عليه وعليهم من اجل الله والاسلام الذي ملك عليه كل ما عنده وما يملك ولكن عثمان منع الناس عن مجالسته ثم نفاه الى الشام فقدم على معاوية فوجد كسرى العرب في الظلم والجور والبذخ والترف والتوسعة والاستئثار بالمال فثار في وجه معاوية بأشد من ثورته على عثمان فكتب عندهاالى عثمان بذلك فاستدعاه الخليفة الخاطىء الى المدينة على مركب خشن ـ من الجمال ـ حتى تساقط لحم فخذيه ثم لم يطل به المجال في المدينة حتى نفاه الى الربذة وعندما اراد الرحيل اليها منع عثمان

---

١ ـ السيرة الحلبية.

٢ ـ تاريخ اليعقوبي .

٣ ـ البلاذري في الانساب .

الناس من توديعه فلم يخرج اليه الا الامام علي والحسن والحسين وعمار وعقيل رغماً عن عثمان ومنّعه وخاطبه الامام بتلك الكلمات العظيمة الكبيرة مودعاً قائلاً: يا أبا ذر انك غضبت لله فارج من غضبت له، ان القوم خافوك على دنياهم وخفتهم على دينك فاترك في ايديهم ما خافوك عليه واهرب منهم بماخفتهم عليه فما احوجهم الى ما منعتهم وما اغناك عما منعوك. . وتكلم بقية من ودعه فاشجى كلامهم ابا ذر فبكى وقال: رحمكم الله يا اهل بيت الرحمة اذا رأيتكم ذكرت بكم رسول الله (ص) ما لي بالمدينة سكنُ ولا شجن غيركم إني ثقلت على عثمان بالحجاز كما ثقلت على معاوية بالشام وكره ان اجاور اخاه وابن خاله المصرين فافسد الناس عليهما فسيرني الى بلد ليس به ناصر ولا دافع الا الله، والله ما اريد الا الله صاحباً وما اخشى مع الله وحشة وخرج ابو ذر الى الربذة وبقي بها وحيداً حتى مات في بلاد قفر رحمه الله وارضاه فماذا تقول ايها المسلم في طريقة عثمان وتسيره لهذا الصحابي العظيم هل كان ابو ذر مصيباً في استنكاره ـ ونحن نراه مصيباً ـ ام كان عثمان مصيباً في نفيه ـ ولا نراه مصيباً ـ مع انهما من الصحابة العدول.

ما هذه العدالة التي تمدّد كيف شاء المحبون وارادوا، ومن اين جاؤا بها وكيف حصلوا عليها؟ انها معجزة خارقة للعادة!.

٤ ضرب عثمان ابن مسعود حتى كسر اضلاعه وقد كان في المرتبة العالية من الصحبة والفضل حتى مات من جراء ذلك في قصة طويلة نرى الاغماض عنها اولى والصفح عن ذكرها اجمل من ارادها فليعد اليها في كتب السير والتاريخ. .

هذه بعض من تلك المظالم الكثيرة التي ارتكبها عثمان، انها بعض تلك الانحرافات وليس كلها اذ ليس من شأننا هنا تعدادها او الاتيان على ذكرها وقد كانت هذه الافعال هي التي دفعت الصحابة بأسرهم ـ ما عدا الامويين ـ الى الاجماع على التخلص منه ولو بالقتل وهذه بعض آراء وجوه الصحابة وما ابدوه اتجاهه وقالوه فيه.

١ ـ رأي أم المؤمنين عائشة :

(أ) لما اشتد الأمر على عثمان امر مروان بن الحكم وعبد الرحمن بن عتاب بن اسيد فأتيا عائشة وهي تريد الحج فقالا لها: لو اقمتِ فلعل الله يدفع بك عن هذا

الرجل، فقالت: قد قرنت ركابي واوجبت الحج على نفسي ووالله لا افعل[1] فنهض مروان وصاحبه ومروان يقول:

وحرق قيس علي البلاد حتى اذا اضطرمت اجذما

فقالت عائشة: يا مروان وددت والله انه في غرارة من غرائري هذه وأني طوّقت حمله حتى القيه في البحر.

(ب) مرّ عبد الله بن عباس بعائشة وقد ولاه عثمان[2] الموسم وهي بمنزل من منازل طريقها فقالت: يا ابن عباس. ان الله قد أتاك عقلاً وفهماً وبياناً فإياك ان ترد الناس عن هذا الطاغية.

(ج) قال ابن ابي الحديد في شرح النهج: قال كل من صنف في السير والأخبَار: ان عائشة كانت من اشد الناس على عثمان حتى انها اخرجت ثوباً من ثياب رسول الله (ص) فنصبته في منزلها وكانت تقول للداخلين اليها: هذا ثوب رسول الله (ص) لم يبل وعثمان قد ابلى سنته، قالوا: أولِ من سمى عثمان نعثلاً عائشة وكانت تقول: اقتلوا نعثلاً قتل الله نعثلاً.

رأي الخليفة عمر:

إن عمر كان يعرف واقع عثمان وهو ادرى الناس به فلذا عندما ضُرب قال له وهو يشير اليه بولاية العهد: هيهاً اليك كأني فيك قد قلدتك قريش هذا الامر لحبها اياك فحملت بني امية وبني ابي معيط على رقاب الناس وآثرتهم[3] بالفيء (وهو معنى آخر عن ظلمه) فسارت اليك عصابة من ذؤبان العرب فذبحوك على فراشك والله لئن فعلوا لتفعلن ولئن فعلت ليفعلن.

رأي طلحة بن عبيد الله:

اما طلحة فقد كان من اشد المؤلبين على عثمان والكارهين لوجوده روى البلاذري من طريق ابن سيرين انه قال: لم يكن من اصحاب النبي اشد على عثمان من طلحة.

---

١ ـ ٢ ـ البلاذري .

٣ ـ ابن ابي الحديد في شرح ج ١ ص ١٨٦

رأي الزبير:

نقل ابن ابي الحديد في شرح النهج: كان طلحة من اشد الناس تحريضاً عليه ـ على عثمان ـ وكان الزبير دونه في ذلك رووا ان الزبير كان يقول: اقتلوه فقد بدل دينكم فقالوا له: ان ابنك يحامي عنه بالباب، فقال: ما اكره ان يقتل عثمان ولو بدىء بابني ان عثمان لجيفة على الصراط غداً.

رأي عمرو بن العاص ـ ابن النابغة.

اما عمرو بن العاص فقد ذكر الطبري انه لما بلغ عمرواً قتل عثمان قال: انا ابو عبد الله قتلته وانا بوادي السباع.

هذه بعض الآراء من بعض الصحابة ويمكن ان نقف بصورة أوضح على آرائهم وما اجمعوا عليه من خلال الكتب التي بثوها الى اصحابهم من المسلمين في الآفاق فقد اخرج الطبري من طريق عبد الرحمن بن يسار انه قال: لما رأى الناس ما صنع عثمان كتب من بالمدينة من اصحاب النبي (ص) إلى من بالآفاق منهم وكانوا، قد تفرقوا في الثغور.

انكم انما خرجتم ان تجاهدوا في سبيل الله عز وجل تطلبون دين محمد فإن دين محمد قد افسده من خلفكم وترك فهلموا فأقيموا دين محمد (ص) وفي تاريخ ابن الاثير: فإن دين محمد قد افسده خليفتكم فاقيموه وفي شرح ابن ابي الحديد: قد افسده خليفتكم فاخلعوه فاختلفت عليه القلوب فاقبلوا من كل افق حتى قتلوه ومن اراد تتبع آرائهم والوقوف عليها فليرجع الى موسوعة الغدير القيّمة لشيخنا المغفور له الحجة الأميني فإنه قد استوعب فيها آراء الجميع وكشف انه لم يتم اجماع على مسألة كما تم على قتل عثمان والتخلص منه ثم ان مواقفهم العملية من الخليفة اقوى الحجج على انهم كانوا عليه ولم يرضوا بعمله، وهذا وحده كاف للقول ان الصحابة كسائر الناس يخطئون ويعصون منهم التقي البر الوفي ومنهم العاصي الشقي، منهم المؤمن العظيم ومنهم الصعلوك الوضيع.

عيِّنات من ضلّال الصحابة

سيرة ثلاثة من صحابة النبي (ص) ملك وامير وراوية
تعطينا الأضواء الكاشفة على عدم كفاية الصحبة
بنفسها لرفع انسان وخفض آخر وفي هذه الترجمة اليسيرة كفاية لمن كان له قلب او
القى السمع وهو شهيد

معاوية بن ابي سفيان

هذا معاوية طاغية الامويين نموذج للصحابة المنحرفين ، انه من الصحابة الذين عاشوا عصر النبوة الزاهر وقد كان وابوه من الد اعداء النبي المصطفى ولم يسلم الا عام فتح مكة في السنة الثامنة للهجرة، عفواً بل استسلم للامر الواقع حفاظاً على خيط رقبته دون ان يدخل الايمان قلبه فهو الطليق ابن الطليق الذين منّ عليهم النبي بقوله: اذهبوا فأنتم الطلقاء وكان من المؤلفة قلوبهم الذين رضخ لهم الاسلام رضخاً على ايمانهم. إن هذا الطليق ـ ولا تحل الإمرة لطليق ـ قد وقف لحرب الامام علي امام الحق والهدى فأعلن له العداء وبغى بغير حق. هذا الطاغية قد عده بعضهم من الصحابة العدول الذين لا يجوز تفسيقهم او الكلام بما يُشعر الحط من قدرهم، . ولكن لولم يكن لمعاوية من الموبقات الا حربه لعلي لكفى بذلك خزياً وكفراً، .

ومن عجائب الدهر وصروفه ان يقف عدو الاسلام معاوية على اعواد الخلافة الاسلامية نيابة عن النبي ليحكم المسلمين الذين دجنوه وعشيرته وادخلوهم في الاسلام كرهاً عنهم.

ومن عجائب القدر وسيئات الزمن ان يقف عدو الاسلام في الصف ازاء علي ابن ابي طالب باني بناء الاسلام ورافع صرحه العظيم، ان معاوية معروف السيرة قبل الاسلام وبعده صعلوكاً لئيماً ومنافقاً خبيثاً ومع ذلك راق للمضللين والمنحرفين ان ينحتوا لمعاوية فضيلة فعدوه من الصحابة والزموا الناس بطي بساطهم عن البحث خوفاً من يد الباحثين ان يعثروا على ما ينكشف به معاوية ويظهر وجهه المقنع المخفي تحته الكفر واللؤم والفسق والخزي والعداء لله ورسوله.

إن من رضي بعمل معاوية وصحّح افعاله واسلامه فهو شريكه في حرب علي

ابن ابي طالب وان باعد بينهما الزمن وفرّق بينهما الوقت فإن من رضي بعمل قوم كان معهم.

إن هذا الطاغية قد نصب الحرب للإمام علي وثار عليه بعد ان تمت البيعة الشرعية له من المسلمين واتفق عليه المهاجرون والانصار،.

إن معاوية يعلم ان علياً على الحق وان حربه كحرب رسول الله ولكنه اغمض عينيه وتغاضى عن كل تلك النصوص المتواترة والاخبار المتظافرة التي ارسلها النبي في حق الامام، تغاضى معاوية عنها ليعلنها حرباً ضروساً تطيح بالخلافة الشرعية ليبني محلها ملكاً اموياً عضوضاً اساسه الجور والظلم والعداء للحق والاسلام،.

نعم ان معاوية لا يخفى عليه ما نص النبي في حق علي انه سمعها كلها ولكنه جحدها وانكرها بل كفر بها وبمن قالها بل لم يكن يؤمن اصلاً بمن قالها فكيف يعمل بها الآن وقد لاحت بوارق الخلافة وتحرك شبح عبد شمس يدعوه من بعيد من بين اطلال الجاهلية ليعيدها حفيده معاوية حرباً ضروساً على حفيد هاشم الذي سبقه في جميع المكارم والمحاسن.

إن معاوية قد قرعت اسماعه تلك الكلمات القدسية الحكيمة التي ارسلها النبي لتقرر واقع الامام علي وما هو عليه من حق وسداد.

إن النصوص النبوية لا يمكن تأويلها او تحريفها اذ هي اعلام في الطريق تهدي الناس نحو منارة الحق والعدل الامام علي ابن ابي طالب فمن حاد عنها او انحرف فالى غير الحق والهدى قد اتجه ومن اقتفى اثرها ونهج منهاجها أمن عثرات الطريق ووحشتها، واذا وجدت تلك النصوص الصحيحة يكون الوقوف ضدها كفراً بما انزل الله على محمد وهذا ما صرحت به كثير من الأحاديث وتبناه الكثير من المسلمين،.

وهذه نبذة من الاحاديث التي تقرر فضل الامام وانه على الحق، وان من حاربه كافر محارب لله ورسوله.

وهذه الأحاديث قد روتها كتب الصحاح وصححها النقاد.

١ ـ عن زيد بن ارقم ان رسول الله (ص) قال لعلي وفاطمة والحسن والحسين عليهم

السلام: أنا حرب لمن حاربتم وسلم لم سالمتم[1].

٢ ـ عن أبي هريرة قال: نظر النبي (ص) الى علي والحسن والحسين وفاطمة عليهم السلام فقال: أنا حرب لمن حاربكم وسلم لمن سالمكم[2].

٣ ـ عن ابي ثابت مولى ابي ذر قال: دخلتُ على ام سلمة فرأيتها تبكي وتذكر علياً عليه السلام وقالت: سمعت رسول الله (ص) يقول: علي مع الحق والحق مع علي ولن يفترقا حتى يردا عليّ الحوض يوم القيامة.

٤ ـ ذكر الفخر الرازي في ذيل تفسير البسملة فقال: اما إن علي بن ابي طالب كان يجهر بالتسمية فقد ثبت بالتواتر ومن اقتدى في دينه بعلي بن ابي طالب عليه السلام فقد اهتدى ثم قال والدليل عليه قوله: يعني النبي (ص): اللهم ادر الحق مع علي حيث دار.

٥ ـ مستدرك الصحيحين روى بسند عن ابي عبد الله الجدلي قال: دخلت على ام سلمة فقالت: ايسب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فيكم؟ فقلت معاذ الله، او سبحان الله او كلمة نحوها فقالت: سمعت رسول الله (ص) يقول[3]: من سب علياً فقد سبني.

هذه نبذة قليلة من كثير مما ورد في حق الامام علي وهي تكشف بوضوح ان حرب علي هو حرب رسول الله وان من سب علياً فقد سب رسول الله وبدون شك حسب هذه النصوص ان معاوية في رأس قائمة الكافرين المنابذين لله ورسوله، فقد حارب علياً في صفين وذهبت عشرات الالوف من الأنفس البريئة التي قتلها معاوية دون حق.

وسنّ سب الامام علي على منابر المسلمين التي شيدت اعوادها بسيفه وجهاده حتى جعلها وصيته الوحيدة التي لم تسمح له نفسه بتجاوزها عندما ولّى المغيرة بن شعبة الكوفة فقد قال له:

---

١ ـ رواه الترمذي وابن ماجه في صحيحيهما ورواه كنز العمال واسد الغابة وغيرهم.

٢ ـ احمد في مسنده، والحاكم في مستدرك الصحيحين وغيرهما.

٣ ـ قال الحاكم هذا حديث صحيح الاسناد.

«قد اردت ايصاءك[1] بأشياء كثيرة فأنا تاركها اعتماداً على بصرك ولست تاركاً ايصاءك بخصله: لا تترك شتم علي وذمّه والترحم على عثمان والاستغفار له والعيب على اصحاب علي والاقصاء لهم».

هذه هي وصية معاوية الى احد عماله فانظر اليها وحلل مغزاها فانها ستقف بك على كفر الرجل الذي أمر بسبّ علي وجعلها سنة يتداولها بنو امية الا ما كان من عمر بن عبد العزيز الذي رفع السبّ بعد لئي من عمر الدهر.

انظر اليها وخذ قول النبي المروي عن ام سلمة حيث قالت: سمعت رسول الله (ص) يقول: من سبّ علياً فقد سبني وهو حديث صحيح لا غمز فيه».

انظر الى ما أمر به معاوية وما قاله النبي واستخرج النتيجة التي ستدمغ معاوية بالكفر دون غمغمة او اشكال انك ستطلقها صريحة لا تأخذك فيها لومة لائم اوعذل حسود او حقود.

إن معاوية قد حارب امام الحق والهدى وحربه كحرب رسول الله،
إن معاوية قد سب امام الهدى وجعلها سنة وسبّ عليّ كسب رسول الله،
إن معاوية قد قتل عماراً، وعمار تقتله الفئة الباغية حسب الأخبار الصحيحة فمعاوية من البغاة الخارجين على الخلافة الشرعية.

وهذه أيضاً جملة من الأخبار التي تدين معاوية بقتله لعمار وتعين الحق واهله وتفرد الباطل وأهله.

١ ـ عن أبي هريرة قال: قال رسول الله (ص) ابشر يا عمار تقتلك الفئة الباغية.

٢ ـ عن خالد العرني قال: دخلت انا وابو سعيد الخدري على حذيفة فقلنا: يا أبا عبد الله حدثنا ما سمعت من رسول الله (ص) في الفتنة؟.

قال حذيفة: قال رسول الله (ص): دوروا مع كتاب الله حيثما دار، فقلنا: فإذا اختلف الناس فمع من نكون؟ فقال: انظروا الفئة التي فيها ابن سمية فالزموها فإنه يدور مع كتاب الله، قلت: ومن ابن سمية قال: اوما تعرفه؟ قلت: بيّنه لي،

---

١ ـ الطبري حوادث سنة ٥١ .

قال: عمّار بن ياسر، سمعت رسول الله (ص) يقول لعمار: يا ابا اليقظان لن تموت حتى تقتلك الفئة الباغية. قال الحاكم عند استعراضه لهذا الحديث. . هذا حديث له طرق بأسانيد صحيحة.

فكر أيها المسلم واحكم على معاوية بعد هذا بما شئت ولا شك انك ستصل الى ما وصل اليه الجاحظ من الحكم بكفر معاوية فإنه ذكر وهو في مقام تعداد المآسي والمظالم التي لحقت بالمسلمين قال:

فعندما استوى معاوية على الملك واستبد على بقية الشورى وعلى جماعة المسلمين من الانصار والمهاجرين في العام الذي سموه عام الجماعة وما كان عام جماعة بل كان عام فرقة وقهر وجبرية وغلبة والعام الذي تحولت فيه الإمامة ملكاً كسروياً والخلافة غصباً قيصرياً . . ثم ما زالت معاصيه من جنس ما حكينا وعلى منازل ما رتبنا حتى رد قضية رسول الله (ص) رداً مكشوفاً وجحد حكمه جحداً ظاهراً في ولد الفراش وما يجب للعاهر مع اجتماع الامة ان سمية لم تكن لأبي سفيان فراشاً وانه كان بها عاهراً فخرج بذلك من الفجار الى الكفار. انتهى. . ،

إن النتيجة التي توصل اليها الجاحظ من الحكم بكفر معاوية هي النتيجة الطبيعية التي يتوصل اليها كل ذي لب لم يأخذه هوى او تجرفه عاطفة، انها افعال معاوية التي شهد بخستها كل الناس حتى انها على كثرتها يتجافى القلم عن ذكرها واللسان عن التحدث بها ويكفي ما تقدم من كلام الجاحظ مع ضمه الى ما قاله الحسن البصري فيه حيث قال كما في تاريخ الطبري: أربع خصال كن في معاوية ولو لم يكن فيه منهن الا واحدة لكانت موبقة.

انتزاؤه على هذه الامة بالسفهاء حتى ابتزها امرها بغير مشورة منهم وفيهم بقايا الصحابة وذوو الفضيلة، واستخلافه ابنه سكيراً خميراً يلبس الحرير ويضرب الطنابير وادعاؤه زياداً وقد قال رسول الله (ص) الولد للفراش وللعاهر الحجر وقتله حجراً واصحابه.

إن هذه الخصال التي ذكرها الحسن البصري هي بعض جرائم معاوية وبما انه وردت قصة استلحاق زياد بن ابيه في كلام هذين الرجلين يحسن بنا ان نتعرض لها ليقف القارىء على تفاصيلها.

مأساة الاستلحاق:

إن زياد بن ابيه، او زياد بن سمية، او زياد بن عبيد (ما اكثر الاسماء وما احقر الهر) هو الذي سمي بزياد بن ابي سفيان عندما استلحقه معاوية بأبيه رغبة منه في تقوية ملكه ودعم سلطانه فإنه كان مع الامام وهو اعرف بأعيان الشيعة وشخصياتهم من اي انسان آخر، لقد استلحقه معاوية كي يعضده في القضاء على كل نفس شيعية يمكن ان تقف في وجه الطاغية معاوية او تثور على ملكه وهذا الاستلحاق هو اول قضية غيّر فيها حكم النبي على حد قول السيوطي في تاريخ الخلفاء.

إن زياد بن ابيه هو ابن سمية وسمية هذه كانت من البغايا المشهورة بالطائف ذات راية وكانت لدهقان من دهاقين الفرس فمرض الدهقان فدعا الحارث بن كلدة الطبيب الثقفي فعالجه حتى برأ فوهبه سميّة وكان للحارث غلاماً رومياً فزوجه منها فولدت زياداً على فراشه فلما بلغ اشده اشترى اباه بألف درهم واعتقه.

إن زياد ولد على فراش عبيد ولم تكن سمية فراشاً لأبي سفيان فزياد يلحق بعبيد ولا يلحق بغيره وهذا ما جاء عن النبي صحيحاً ولم يختلف فيه احد انه قال (ص) (الولد للفراش وللعاهر الحجر).

ولكن معاوية قد رد قول النبي في سبيل اطماعه الدنيئة كي يأمن زياداً ويتخذه عضداً في حرب شيعة علي ويستحسن ان ننقل قصة الاستلحاق كما رواها ابن الأثير لنقف على ذلك الشرف الرفيع والنسب العالي المنيع.

قال: انها من الامور المشهورة الكبيرة في الاسلام ولا ينبغي اهمالها وقال: فلما قتل علي وكان من امز زياد ومصالحته معاوية ما ذكرنا واضع زيادُ مصقلةبن هُبيرة الشيباني وضمن له عشرين الف درهم ليقول لمعاوية: ان زياداً قد اكل فارس براً وبحراً وصالحك على الفي الف درهم والله ما ارى الذي يقال الا حقاً فإذا قال لك: وما يقال؟ فقال: يقال: انه ابن ابي سفيان، ففعل مصقلة ذلك ورأى معاوية ان يستميل زياداً واستصفى مودته باستلحاقه فاتفقا على ذلك واحضر الناس وحضر من يشهد لزياد وكان فيمن حضر ابو مريم السلولي فقال له معاوية: بم تشهد يا ابا مريم؟ فقال: انا اشهد ان ابا سفيان حضر عندي وطلب مني بغياً فقلت له: ليس عندي الا سمية فقال: إيتني بها على قذرها ووضرها فأتيته بها فخلا معها ثم خرجت من عنده وان اسكتيها لتقطران منياً. فقال له زياد: مهلاً يا ابا مريم! انما بعثت

شاهداً ولم تبعث شاتماً فاستلحقه معاوية وكان استلحاقه اول ما ردت احكام الشريعة علانية فان رسول الله (ص) قضى بالولد للفراش وللعاهر الحجر.

وكتب زياد الى عائشة «من زياد بن ابي سفيان وهو يريد ان تكتب له: إلى زياد بن ابي سفيان فيحتج بذلك فكتبت: من عائشة ام المؤمنين الى ابنها زياد وعظم ذلك على المسلمين وعلى بني امية خاصة وجرى اقاصيص يطول بذكرها الكتاب ضربنا عنها. . . انتهى.

وهذا الانحراف الغاشم من معاوية عن شريعة الاسلام قد لاقى استنكاراً عاماً من المسلمين ـ كما ذكر ابن الأثير ـ حتى سار الشعراء في تسجيله استهجاناً واستنكاراً فهذا ابن مفرغ الحميري يقول في ذلك

الا ابلغ معاوية بن صخر مغلغلة من الرجل اليمان
اتغضب ان يقال ابوك عف وترضى ان يقال ابوك زاني
فاشهد ان رحمك من زيادٍ كرحم الفيل من ولد الاتان.

ثم ان زياداً لم ينس هذه اليد البيضاء التي اسداها معاوية له فلذا اراد ان يرد له جميله وقد فعل فقد قتل شيعة علي تحت كل حجر ومدر وشردهم في البراري والقفار ولم يعد يأمن احدهم على دمه وعرضه وماله.

يذكر المدائني مدى الظلم الذي مارسه ابن سمية على الشيعة وما حفظ من وصايا الطاغية معاوية يقول:

كتب معاوية نسخة واحدة الى عماله بعد عام الجماعة ان برئت الذمة ممن روى شيئاً من فضل ابي تراب واهل بيته فقامت الخطباء في كل كورة وعلى كل منبر يلعنون علياً ويبرؤ ون منه ويقعون فيه وفي اهل بيته وكان اشد الناس بلاء حينئذٍ اهل الكوفة لكثرة من بها من شيعة علي عليه السلام فاستعمل عليهم زياد بن سمية وضم اليه البصرة فكان يتتبع الشيعة وهو بهم عارف لأنه كان منهم ايام علي عليه السلام فقتلهم تحت كل حجر ومدر واخافهم وقطع الايدي والارجل وسمل العيون وصلبهم على جذوع النخل وطردهم وشردهم عن العراق فلم يبق بها معروف منهم . . انتهى . .

هكذا يكون التجار وباعة الضمير كيل بكيل وعير بعير. لقد اتفق الطاغيتان

في سبيل نصب المقصلة لشيعة علي وقد فعلا ما امكنهما، ولكن من بين تلك الاشلاء وبحور الدماء تنفس الفجر ليصوغ امة ويخلق جيلاً يتحدى جبروت الطغاة والظلمة ويقلق مضاجع الحكام والامراء.

لقد خُلِقَ الشيعي من العذاب وتعمد بالآلام فجمع الى الثورة ناراً واعصاراً ليحرق عروش الظالمين ويدك صروح المفسدين.

من بين آهات الثكالى وحزن الأرامل، من بين مطامير ابن زياد وسراديب التعذيب الاموية خرج الشيعي مسلماً عقائدياً رفض الذل بكل اشكاله والوانه اذ صهرته المأساة فخلقت منه ثورة دائمة لا تموت ولن تموت وهي باقية في اصلاب رجاله الى قيام الساعة، لأن دين الشيعي يرفض الذل ويأبى الجبن، يحب الموت عزيزاً يحبه من اجل تحقيق اهداف الاسلام التي هي اعز عليه من نفسه ووجوده...

فيا رياح معاوية اندفعي ويا سجون ابن سمية امتلئي ويا سيوف الحجاج اشهري ويا حقد امية انفثي ويا رايات ابي سفيان انتشري، ويا كل الظالمين جوروا واظلموا فانكم لن تقضوا على عنفوان الشيعي ومآثره ولن تنقصوا من مكارمه وشموخه فإنه اقوى من كل ذلك واعظم ويتحداكم واحفادكم قديماً وحديثاً لأن جذوة الإمامة لا تنطفىء ودماء الحسين تستصرخ حتى تأتي على كل الظالمين والمفسدين.

افتعال المناقب لمعاوية

إن الغريق يتشبث ولو بالطحلب، هكذا الحال مع انصار معاوية لم يجدوا له منقبة ولا مكرمة فحاولوا خلق المناقب بوضع بعض الأحاديث عن لسان رسول الله (ص).

ولكن صيارفة الحديث ونقاده عروا معاوية عن كل منقبة ونفوا كل ما ورد في حقه من المدح والثناء وقالوا بكذبها جميعاً.

ـ قال السيوطي في كتابه اللآلىء المصنوعة في الاحاديث الموضوعة بعد ان ذكر احاديث في فضل (الطاغية معاوية) قال: كلها موضوعة لا اصل لها ثم قال: قال الحاكم: سمعت ابا العباس محمد بن يعقوب بن يوسف يقول: سمعت ابي يقول: سمعت اسحاق بن ابراهيم الحنظلي يقول: لا يصح في فضل معاوية حديث.

- واخرج ابن الجوزي عن طريق عبد الله بن احمد بن حنبل قال: سألت أبي ما تقول في علي ومعاوية فأطرق ثم قال: اي شيء اقول فيهما اعلم ان علياً كان كثير الأعداء ففتش اعداؤه له عيباً فلم يجدوا فعمدوا الى رجل قد حاربه فأطروه كياداً منهم لعلي قال: فأشار بهذا الى ما اختلقوا لمعاوية من الفضائل مما لا اصل له.

- روى محمد بن اسحاق الاصبهاني عن مشايخه ان الامام النسائي رحمه الله خرج الى دمشق فسئل عن معاوية ما يروي من فضائله فقال: (ما اعرف له فضيلة الا لا اشبع الله بطنه)[1]

اننا لا نريد ان ندخل في سيرة هذا الملك الطاغية وليس من شأننا هنا التعرض لكل جرائمه وبوائقه فانك كيف قلبته انبعثت منه رائحة الظلم والجور ومن اي الجهات جئته وجدته رأس أئمة الكفر وقائد الضلال والنفاق وان واحدة من بوائقه تكفي لاخراجه عن ربقة الايمان وتدخله في زمة الكافرين الملحدين. فخذ مثلاً.

١ - وقوفه في وجه الخليفة الشرعي امام الحق والهدى بعد ان انعقدت له البيعة باتفاق المسلمين.

٢ - ما سنه من سب الامام علي على منابر المسلمين وهي وحدها تخرجه عن الاسلام ومن اكبر الكبائر التي طولب بتركها فقال: لا والله حتى يربوا عليه الصغير ويهرم عليه الكبير ولا يذكر له ذاكر فضلاً.

٣ - قتله حجر بن عدي الكندي وصحبه في مرج عذراء صبراً لحبهم علي.

٤ - قتله عمرو بن الحمق الخزاعي بعدما اعطاه من العهود والمواثيق ما لو اعطاه لبهم الطيور لنزلت من اوكارها.

٥ - دسه السم لسيد شباب اهل الجنة الحسن بن علي واستبشاره بذلك واظهار الفرح لما وصله نعيه.

---

١ - هذا اشارة الى ما اخرجه مسلم عن ابن عباس رضي الله عنهما: انه كان يلعب مع الصبيان فجاء له النبي (ص) فهرب وتوارى فجاءه النبي وصربه بين كتفيه ثم قال: اذهب فادع لي معاوية قال: فجئت فقلت: هو يأكل ثم قال: اذهب فادع لي معاوية قال: فجئت فقلت هو يأكل فقال (ص) : لا اشبع الله بطنه.

وقد استجيبت دعوة النبي فكان يأكل فلا يشبع وسيرته في ذلك مروية حتى اصبح مضرب الامثال فقال بعضهم.

وصاحب لي بطنه كالهاوية كأن في امعائه معاوية

٦ ـ استخلافه ابنه يزيد بن معاوية سكيراً خميراً على رؤوس المسلمين بالقهر والقوة دون رضى منهم ولا مشورة. .

وأختم الحديث عن هذا الطاغية بما اورده الشيخ محمود ابورية في كتابه شيخ المضيرة حيث قال: حسبنا ما قدمنا من ادلة على بيان حقيقة معاوية وكيف كان يحكم وما جناه حكمه الظالم على الناس وعلى الاسلام الى يوم القيامة وكان لنا ان نجتزىء بما دون ذلك من بيان لأن كتابنا لم يفرد لتاريخ هذا الملك الباغي ولكنا اضطررنا الى شيء من الاطالة والاستطراد لأنه لم يزل يوجد اناس في عصرنا تحطب في حبله وتماري في بغيه وظلمه وتتبجح بالقول بأن دولته كانت اعظم دولة عرفها الاسلام واذا نهض منصف ليبين شيئاً من صحيح تاريخه تصدوا له بالشتم والسب ووصفوه بأنه شيعي والتشيع في رأي هذه الفئة[1] الحمقاء نبز لقوم ليسوا بمسلمين.

ومن أراد استيعاب بعض جرائم هذا الطاغية فما عليه الا ان يرجع الى موسوعة الغدير القيمة وكتاب النصائح الكافية لمن يتولى معاوية وغيرهما من الكتب العلمية والتاريخية لتقف مذهولاً كيف تولى هذا الطاغية عرش الخلافة الاسلامية وما جناه من الجرائم والجنايات ومع هذا عدوه من الصحابة العدول (فلهم اصحابهم ولنا اصحابنا)

---

١ ـ شيخ المضيرة ص ١٩٠

أبو هريرة

وهذا صحابي آخر من صحابة النبي وأول رواية اتهم في الاسلام ألا وهو شيخ المضيرة ابو هريرة الدوسي الذي رأى النبي وصحبه لمدة سنة وتسعة اشهر فقد انتجت هذه المدة من الاحاديث والروايات ما لم ينتجه من عاش مع النبي من اولى ايام الدعوة الى انتقاله صلوات الله عليه الى ربه لم ينتجه من عاش مع النبي ربع قرن او يزيد، اذا تفتقت ذهنية شيخ المضيرة عن اعداد ضخمة مما اختلق حيث اختلق لكل حادثة تطرأ حديثاً يناسبها، فإن أحبها اخرج لها من جرابه ما يؤيدها وينبىء بأنها مما اخبر به النبي وبشر وان كان بخلاف مراده ولم توافق هواه وذوقه عكس الامر واختلق لها حديثاً ينفر.

إن هذه الأعداد الضخمة التي تعد بالآلاف لم تجر العادة من احد من الناس ان يستوعبها حفظاً او القاءاً وخصوصاً من مثل ابي هريرة الذي كان يصرع من الجوع ويتبع الناس ليخدمهم بملىء بطنه على حد قوله نفسه انه كان في شغل عن تلقي الحديث وحفظه بجوع بطنه والتفكير بتحصيل قوته ومع ذلك فقد اخرج له البخاري من بين الآلاف التي رواها وذكرت في المجامع اخرج له مقدار ٤٤٦ حديثاً. ولم يخرج لأي صاحب آخر مثل هذا العدد فإن الامام علي وعظمته وعلو منزلته وشدة مصاحبته لرسول الله وملازمته له لم يُخرج له البخاري ومسلم في صحيحيهما سوى ٢٠ حديثاً ويضاف الى ذلك العدد الذي روي عن ابي هريرة ان كثيراً من احاديثه التي ابتدعها لا يوافق عليها العقل السليم ولا الطبع المستقيم اذ تنافى دين الله المنزل من الحكيم العليم، فقد كان بمهارة فائقة وقدرة على الاختراع يستطيع ان تتفتق عبقريته لاختراع ما يريد.

فأنظر رحمك الله الى مضحكات الليالي ومهازل الاقدار كيف تلاعب هذا الشيخ المنحرف بسنة رسول الله وافترى وامترى واختلق ما ينبو عنه الدين وتنكره شريعة سيد المرسلين مع انه دُوِّن فيما يُسمى بالصحاح التي تُعدّ تالية لكتاب الله عند القوم، ولو بُحث ما فيها لبان الزيف وتكشفت الامور عن اشياء توجب طرح كثير مما حوته اوراقها وسودته صحائفها، هلمّ معي الى نماذج من تلك المفتريات والاكاذيب

واستعمل عقلك وحكّم وجدانك دون مراعاة لهوى او ميل لغرض، استعمل عقلك رعاك الله واحكم بميزان العدل وانبذ ما يشد الانسان من تعصب مذهبي او منطق ملتوي بل ليكن الحق رائدك والاخلاص دليلك لترى هل ما نقوله في حق هذا الرجل حقاً ام باطلاً.

١ - روى البخاري عن ابي هريرة: افتتحنا خيبر ولم نغنم ذهباً ولا فضة انما غنمنا البقر والابل والمتاع.

هذه احدى غزوات النبي التي لم يحضر ابو هريرة اثراً لها بالاجماع وانما جاء بعد الفتح. فكيف يروي ذلك وينسب الفتح ويرويه كأنه يشهده..

٢ - في مستدرك الحاكم عن ابي هريرة: دخلتُ على رقية بنت رسول الله امرأة عثمان وبيدها مشط فقالت: خرج رسول الله من عندي آنفاً رجلت شعره فقال: كيف تجدين ابا عبد الله (يعني عثمان) قالت: بخير.

قال: اكرميه فانه من اشبه اصحابي بي خُلقاً

قال الحاكم: هذا الحديث صحيح الاسناد واهي المتن فإن رقية ماتت سنة ٣ للهجرة عند فتح بدر وابو هريرة اسلم بعد فتح خيبر في سنة ٧ من الهجرة.

نعم ان ابا هريرة اراد ان يكرم عثمان ولو باختلاق الكذب على رسول الله اراد ان يطيع معاوية صاحب الملك الذي يغدق عليه من اعطياته وهباته ويرفع من شأنه ومنزلته ولو كان ذلك بالكذب على رسول الله،

ان ابا هريرة يمتثل اوامر الطاغية معاوية بجميع حذافيرها لأن فيها رضى له ومعصية لله وهو يحافظ على اكتساب ود معاوية مهما كان الطلب غالياً وعزيزاً فلأجل معاوية فليسهل الكذب والدجل وليكثر سماسرة الباطل فإن معاوية قد كتب الى عماله في جميع الآفاق ان انظروا من قبلكم من شيعة عثمان ومحبيه واهل ولايته الذين يروون فضائله ومناقبه فادنوا مجالسهم وقربوهم واكرموهم واكتبوا اليّ بكل ما يروي كل رجل منهم واسمه واسم ابيه وعشيرته ففعلوا ذلك حتى اكثروا في فضائل عثمان ومناقبه لما كان يبعثه اليهم معاوية من الصلاة والكساء والحباء والقطائع ويفيضه في العرب منهم والموالى فكثر ذلك في كل مصر وتنافسوا في المنازل والدنيا فليس يجد امرؤ من الناس عاملاً من عمال معاوية فيروي في عثمان فضيلة او منقبة الا كتب اسمه وقربه وشفعه فلبثوا في ذلك حيناً.. انتهى.

إذا كانت هذه العطايا والهبات والقربى والاكرام والكساء والصلاة والحباء والقطائع اذا كانت كل هذه لمن كان بعيداً عن معاوية في اطراف البلاد الاسلامية واذا كان التنافس في تعداد مناقب عثمان لأجل هذه الخطوة الرفيعة قد ازداد وتكثر فكيف بمن هو تحت اجنحة معاوية وسلطانه المباشر كيف بأبي هريرة يتنازل عن كل ذلك العز والجاه وقد اتته الدنيا بما فيها واحتاج اليه مليكها الجبار العنيد، فلينزل شيخ المضيرة وليخلق هذا الحديث اكراماً لمعاوية وعطاياه فإن الفرص تمر مر السحاب..

٣ ـ عن ابي هريرة كما في صحيح البخاري ومسلم انه قال: جاء ملك الموت الى موسى فقال له: اجب ربك! فلطم موسى عين ملك الموت ففقأها فرجع الملك الى الله تعالى فقال: انك ارسلتني الى عبد لا يريد الموت ففقأ عيني! فرد الله عليه عينه وقال: ارجع الى عبدي فقل له: ان كنت تريد الحياة فضع يدك على متن ثور فما توارت بيدك من شعره فانك تعيش بها سنة.

قال الثعالبي المتوفى سنة ٤٢٩ في كتاب المضاف والمنسوب ان هذا الحديث من أساطير الأولين.

إنك ايها المسلم لا شك يعتريك الذهول وتأخذك الأفكار مرة ذات اليمين واخرى ذات الشمال في وضع هذا الحديث وصحته مع انه روي في اصح الكتب عند القوم ولكن حدّق تجد سمات اليهودية عليه تجد آثار كعب الاحبار على معناه، انك مسلم تؤمن بعصمة الانبياء ونزاهتهم وانهم لا يقولون على الله الا الحق ولا ينطقون الا بالصدق فكيف يصدر ذلك من نبي يعد من اولي العزم من الرسل ومما يزيد الطين بلة ان مشكلة موسى كانت مع ملك من ملائكة الله مع ملك الموت الذي يفعل ما امره الله به ولا يعصيه نعم ان اليهودية، يهودية كعب الاحبار هي التي لقنت ابا هويرة هذا الحديث ليشوه سنة رسول الله ويشكك الناس فيها.، فانظر واحكم..

٤ ـ يروي البخاري وغيره عن ابي هريرة ـ انه قال: إنكم تقولون إن ابا هريرة يكثر الحديث عن رسول الله ويقولون ما بال المهاجرين والانصار لا يحدثون عن رسول الله بمثل حديث ابي هريرة، وان اخوتي من المهاجرين كان يشغلهم الصفق بالأسواق ـ وكنت الزم رسول الله على ملء بطني فأشهد اذا غابوا واحفظ اذا نسوا وكان يشغل اخوتي من الانصار عمل اموالهم وكنت امرأ مسكيناً من مساكين الصفة

اعي حين ينسون وقد قال رسول الله (ص) في حديث يحدثه: انه لن يبسط احد ثوبه حتى اقضى مقالتي هذه ثم يجمع اليه ثوبه الا وعى ما اقول فبسطت نمرة عليّ حتى اذا قضى رسول الله مقالته جمعتها الى صدري فما نسيت من مقالة رسول الله تلك من شيء.

ما أروع العلم واعظمه اذا حصل بمعجزة، وما اجمل واكبر حامله اذا كان مثل ابي هريرة، ان العلم هكذا يجمع.. وبهذا الاسلوب يتسوق، كما يتسوق الثوم والباذنجان والخيار

أرأيت علماً في تاريخ حياتك او تاريخ الانسانية من عرب وعجم يجمع بهذا الاسلوب ويحفظ بهذه الطريقة الفريدة!..

لماذا انفرد شيخ المضيرة بهذه المعجزة؟.

وهل كان المسلمون بغفلة عن هذه النعمة الكبرى التي لا تحصل لهم في كل وقت؟. ام انهم كانوا يشكّون فيما قاله النبي؟.. حاشاهم ثم حاشاهم، انهم اتقى لله من ذلك واحرص على تلقي احاديث النبي والعناية بها، كيف وهم قد بذلوا المهج وخاضوا اللجج لاعلاء كلمة الله وتطبيقاً لأمر رسول الله، انهم حاربوا الأهل والأقارب وفارقوا الدور والاوطان من اجل الله ورسوله. نعم ان ابا هريرة يختلق هذا الحديث ليدفع عن نفسه تهمة التزوير والكذب من جراء الكثرة التي رواها فاوجبت تهمته من قبل المسلمين فلذا صدّر كلامه بأن الناس يقولون ان ابا هريرة يكثر الحديث عن رسول الله.

لقد اشتهرت وذاعت قصة اكثار الحديث عن ابي هريرة حتى وصلت انباؤها الى مسامعه وقرعت رائحتها صمّام قلبه وشعر ان وضعه في خطر وهو على شفى حفر، شعر انه سيسقط ويُكشف كذبه علناً وعندها الطامة الكبرى والمصيبة العظمى فسارع لانقاذ نفسه فاختلق هذا الحديث المعجز وكأن هذا يستر عواره ويسدل الستر على عاره.

لقد كان شيخ المضيرة انساناً مهملاً زمن النبي من صعاليك الناس وضعفائهم لم ينهض به نسب ولم يرفعه علم او صحبة ولم يعلم عنه شجاعة او بسالة او جرأة واقدام. ولكن تشاء الاقدار ويقف الباغي معاوية لحرب امام الهدى علي بن ابي طالب فتثير رائحة الموائد اللذيذة عند معاوية شهية الشيخ الذي كان يصرع من

الجوع زمن النبي ويبحث عن لقمة فلا يجدها، لقد انفتحت الدنيا امام ابي هريرة بزخارفها وملذاتها وشهرتها انها كلها تحت ظلال الملك الاموي فانحدر الشيخ بكل قواه وبما يملك من عزم وتصميم للاقتداء بمعاوية فإن في جواره عزاً وشبعاً وشهرة وفوق ذلك فإن معوية بأمسّ الحاجة اليه لتأييده معنوياً بخلق الاحاديث في حقه وحق اهل بيته والاسرة الاموية التي تنازع صاحب الحق حقه وهنا قد باع ابو هريرة كل شيء في سبيل الوصول الى هدفه وهو قهر الفقر المدقع الذي عاشه ايام النبي ومن بعده، انه اراد ان يرفع الخمول عن نفسه والوصول الى سلم الشهرة التي ترضي طموحه الذي لم يتحقق ايام كان رسول الله واصحابه الطيبين.

انضم ابو هريرة الى تيار معاوية ـ وهو تيار يجرف ولا يرحم امثال ابي هريرة ممن في نفوسهم مرض ـ فأخذ بتأييد الدولة الاموية بخلق الاحاديث عن لسان رسول الله وكان استاذه ورائده معاوية يمنحه من متع الدنيا ما طاب له شريطة ان لا يكف عن ابتداع الاحاديث في حق معاوية شخصياً وحق الاسرة الاموية بشكل عام. ولكن طالما ان الصحبة للمنفعة ولأجل الغنيمة فكان عندما يقلل له معاوية العطاء او يقف عن منحه المنح كان الشيخ يقف عن الحديث في كرامات الامويين بل كان يَذكر الاحاديث الصحيحة الواردة عن رسول الله في ذم الامويين وظلمهم ومدح العلويين وشيعتهم، وما تلك الروايات الواردة عن ابي هريرة في اهل البيت الا من بركات ذلك الخلاف بينه وبين معاوية، . يروي عن ابن المسيب (وهو زوج ابنة أبي هريرة) قال: كان ابو هريرة اذا اعطاه معاوية سكت واذا امسك عنه تكلم يعني كان معاوية يقطع لسان ابي هريرة عن املاء ما حدث به عن رسول الله في ذم الامويين بما يمنحه من العطايا فاذا توقف معاوية عن ذلك تكلم الشيخ في ذم بني امية.

٥ ـ روى البخاري وابن ماجة عن ابي هريرة: ان النبي (ص) قال: اذا وقع الذباب في اناء احدكم فليغمسه كله فإن في احد جناحيه داء والآخر شفاء. .) لا بد ان ابا هريرة عندما اختلق هذا الحديث كان امامه جفنة لذيذة الطعام شهية الريح عز عليه مفارقتها ولم يتقزز منها او يتنفر فخاف من عيون الحضار ان يتهموه فبادر الى خلق العذر له كي يقدّمه امام طبقهِ ليكمل شوطه في الاتيان عليه وحق لأبي هريرة ذلك فإن من عاش في صرعاته من الجوع وكان القمل يدب في طيات جبته لا يتنفر من ذبابة سقطت في طعامه والا فإن رسول الله الذي يمثل منتهى الكمال وصاحب النفس الكبيرة الذي وضع للطعام آداباً من غسل اليدين قبل الجلوس على المائدة وعند

الختام منها وكيف يكون البدء بها وغير ذلك مما شرعه وسنه حتى اصبح ديننا دين النظافة والايمان حتى قيل النظافة من الايمان يترفع ان يأتي بتشريع غمس الذباب. الا يكتفي شيخ المضيرة برمي الذبابة جانباً بل يريد ان يغمسها لتزيد شهيته وتقبل نفسه نحو الطعام، ان هذا التشريع لا يصدر عن رسول السماء لأنه مخالف للعلم الذي بيّن مضار الذباب وسمومه وفتكه بالانسان، مضافاً الى تقزز الانسان عند وقوعه في طعامه فكيف اذا غمسه بنفسه وبملء اختياره، انه تشريع صدر من ابي هريرة ويُرد عليه وليدافع انصاره عنه في هذا الحديث المكذوب ما شاء لهم ان يدافعوا.

هذه نماذج مما فاضت به قريحة الدوسي ولسنا بصدد فضح مسنده وكل ما اتى به بل نكتفي بهذا القدر فانه وحده يكفي لكشف هويته انه من الكذَبَة الذين افتروا على رسول الله ولم يكن له دور او سوق في عهد الخلفاء ولكن بعد ان طمع فيما بأيدي معاوية من الدنيا اسرع بكل ما اوتي من قوة لدعم سلطان الطاغية وشد ازره بما اختلقه من الاحاديث الكاذبة عن لسان رسول الله ومن اراد الوقوف على حقيقة هذا الرجل جملة وتفصيلاً فما عليه الا ان يرجع الى العلمين المحققين آية الله السيد عبد الحسين شرف الدين الموسوي في كتابه (ابو هريرة) والى كتاب (شيخ المضيرة) للعالم المحقق والبارع المدقق الشيخ محمود ابوريه من اخواننا السنة فقد استوفيا البحث بحذافيره وأتيا على ابي هريرة فجعلاه كالهشيم تذروه الرياح فجزاهما الله خيراً واعقبهما اجراً اذ ابانا الحق في هذا الرجل.،

ثم ان ابا هريرة كذَّبه الصحابة العدول،.

فهذا امير المؤمنين علي بن ابي طالب قال فيه كما في شرح النهج الا ان اكذب الناس ـ او قال اكذب الاحياء على رسول الله (ص) لابي هريرة الدوسي وقال مرة: لا احد اكذب من هذا الدوسي على رسول الله.

وهذا عمر قد غضب عليه باكثاره على رسول الله (ص) فضربه بالدره ردعاً له وهو يوبخه بقوله: اكثرت يا ابا هريرة واحر بك ان تكون كاذباً على رسول الله. ومرة أخرى زجره وقال له: لتتركن الحديث عن رسول الله (ص) او لألحقنك بارض دوس او بأرض القردة.

وهذه ام المؤمنين عائشة قد كذبته في حديث رواه وهو حديث من اصبح جنباً

فلا صيام له، فرجع واعتذر عن قوله عندما عاتبته بأنه لم يسمع ذلك من رسول الله وانما سمعه من الفضل بن العباس وكان الفضل يومئذٍ ميتاً ـ فقد رمى السند برقبة من مات خوفاً من ملاحقته في كذبه فينفضح.

وعلى كل حال ان صحبة شيخ المضيرة مع معاوية اثمرت ثمراتها المرة على الامة الاسلامية وجنت امة محمد (ص) افظع المآسي والمظالم من خلال تلك الصحبة المشؤمة اذ خلق لمعاوية غطاء شرعياً ضلل به كثيراً من الناس وستر بذلك جنايات معاوية وظلمه وقتله الابرياء بما اختلقه من احاديث الزور وبما افتراه من الاقوال والاعمال.

لقد برّر ابو هريرة كل مظالم الملوك والامراء بما اختلقه من الاحاديث وخدّر الناس عن مقاومتهم والتصدي لهم بما اخرجه من وعائه الخاص ونسبه الى رسول الله ورسول الله منه بريء يذكر ابن ابي الحديد في شرح النهج قال: قال ابو جعفر الاسكافي رحمه الله: ان معاوية وضع قوماً من الصحابة وقوما من التابعين على رواية اخبار قبيحة في علي (ع) تقتضي الطعن فيه والبراءة منه وجعل لهم على ذلك جعلاً يرغب في مثله فاختلقوا ما ارضاه منهم ابو هريرة وعمرو بن العاص والمغيرة بن شعبة مرحباً بصحبة توظف في ديوان معاوية من اجل وضع الكذب وخلق الباطل من القول، مرحباً بالتجارة الرابحة التي تباع فيها الضمائر بجعل لا بأس به يجعله سيدهم معاوية، مرحباً بمن لا يرعون بالمؤمنين الاّ ولا ذمة ولا يحفظون لهم عهداً ولا وداداً.

أهكذا صحابة يقال انهم عدول وهل يطمئن انسان يطلق ذلك عليهم ولا يخاف الاثم والوزر، لا احسب انساناً عنده مسكة من دين يقول ذلك.

الوليد بن عقبة بن ابي معيط

وهذا هو الوليد بن عقبة اخو الخليفة عثمان ممن عاش في عصر النبوة وصح على مسلك القوم انه من الصحابة هل تريد ان تعرف عنه شيئاً؟ هل تريد ان تطلع على بعض صفات هذا الرجل الذي نزل فيه من لدن الباري قرآناً يرتله المسلمون فيتذكرون تلك الحادثة التي كانت السبب في نزول القرآن فيها، انها حادثة احتاج الامر فيها ان تتدخل آيات الله لجلائها وبيان حقائقها يذكر المفسرون عندما يتعرضون لقوله تعالى: **﴿يا ايها الذين آمنوا ان جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا ان تصيبوا قوماً بجهالة فتصبحوا على ما فعلتم نادمين﴾** يذكرون اسباب نزولها والدواعي التي دعت لذلك كما هو عند عامة المفسرين وكما استفيض بين السنة والشيعة ورواه المحدثون الثقاة فعن الحارث بن ضرار الخزاعي قال: قدمت على رسول الله (ص) فدعاني الى الاسلام[1] فدخلت فيه واقررت به ودعاني الى الزكاة فأقررت بها، قلت يا رسول الله ارجع الى قومي فادعوهم الى الاسلام وأداء الزكاة ممن استجاب لي وترسل اليَّ يا رسول الله رسولاً ابّان كذا وكذا ما جمعت من الزكاة فلما جمع الحارث الزكاة ممن استجاب له وبلغ الابان الذي اراد رسول الله ان يبعث اليه احتبس الرسول فلم يأت فظن الحارث انه قد حدث فيه سخطة من الله ورسوله فدعا بسروات قومه فقال لهم: ان رسول الله (ص) كان وقّت لي وقتاً يرسل اليَّ رسوله وليقبض ما كان عندي من الزكاة وليس من رسول الله الخلف ولا ارى حبس رسوله الا من سخطة فانطلقوا فنأتي رسول الله (ص).

وبعث رسول الله (ص) الوليد بن عقبة الى الحارث ليقبض ما كان عنده مما جمع من الزكاة فلما ان سار الوليد حتى بلغ بعض الطرق (فرق)[2] فرجع فأتى رسول الله (ص) فقال: ان الحارث منعني الزكاة واراد قتلي فضرب رسول الله البعث الى الحارث، فأقبل الحارث بأصحابه حتى اذا استقبل البعث وفصل عن المدينة لقيهم الحارث فقالوا: ان هذا الحارث فلما غشيهم قال لهم:

---

١ ـ عن الغدير.

٢ ـ فرق بمعنى فزع وخاف.

الى من بعثتم؟

قالوا: اليك.

قال: ولم؟

قالوا: ان رسول الله (ص) بعث اليك الوليد بن عقبة فزعم انك منعته الزكاة واردت قتله.

قال: لا والذي بعث محمداً بالحق ما رأيته ولا اتاني فلما دخل الحارث على رسول الله (ص)

قال: منعت الزكاة واردت قتل رسولي.

قال: لا والذي بعثك بالحق ما رأيته ولا رآني وماأقبلت الاحين احتبس عليّ رسول رسول الله (ص) فخشيت ان يكون كانت سخطة من الله ورسوله فنزل قوله تعالى ﴿**يا أيها الذين آمنوا ان جاءكم فاسق بنبأ فتبيّنوا...**﴾

وقد قال ابن عبد البر في الاستيعاب: ولا خلاف[1] بين اهل العلم بتأويل القرآن فيما علمت ان قوله عز وجل ﴿**ان جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا...**﴾ نزلت في الوليد بن عقبة.

إن هذه الآية تكشف الوليد على حقيقته وتهتك الستر عنه فتبرزه كما هو، انه الفاسق ـ وان عاش ايام النبوة ـ الذي لا يرتدع عن قول الزور والبهتان فيفتعل حادثاً وهمياً لقتل اناس ابرياء آمنوا بالله ورسوله وصدقوا بما جاء به النبي،.

نعم لم يحسب الوليد ان الله ينزل فيه قرآناً يسميه فيه (الفاسق) هذا اللقب الذي يضم بين كل حرف من حروفه خيانة وغدراً ولؤماً وجبانة، هكذا اراد الوليد الوقيعة بالمسلمين والكيد للاسلام فارتد سهمه الى نحره ووصمه الله وصمة عار ستبقى الى يوم الدين،.

وهناك آية اخرى نزلت في الوليد وهي قوله تعالى: ﴿**افمن كان مؤمناً كمن كان فاسقاًلا يستوون**﴾ حيث ورد ان الوليد افتخر على الامام عليّ فأنزل الله فيه هذه الآية وسمته فاسقاً وهو وسام من الخزي الذي يلاحق الوليد ويتابعه حتى، كأن الفسق

---

١ ـ نقلاً عن تفسير الآية من كتاب الميزان.

مختص به وما ذلك الا ليبين للمجتمع المسلم عدم اهليته لتولي اي عمل من اعمال المسلمين لكونه فاسقاً غير ثقة ولا مؤتمن.

ولكن عثمان بعد ان تولى الخلافة ولاه الكوفة ثغر الاسلام النابض وقلبه الحي وكأنه لم يسمع بهذه الآيات ولم يعرف بمن نزلت، لقد اراد عز اخيه ورفعته ولو بهوان امة محمد واذلالها.

ودخل الوليد الكوفة وكان عليها سعد بن ابي وقاص اميراً وابن مسعود خازناً لبيت المال فما ان وقعت عينا سعد على الوليد حتى قال له: اكست بعدنا ام حمقنا بعدك؟ فقال الوليد: لا تجزعن يا ابا اسحاق كل ذلك لم يكن وانما هو الملك يتغذاه قوم ويتعشاه آخرون.

فقال له سعد: اراكم جعلتموها ملكاً.

ونحن اذا اردنا ان نحلل السؤال والجواب من هذين الاميرين لامكننا استنتاج عدة امور اهمها: ان المسلمين يعرفون من هو الوليد انه ذلك الفاسق الفاجر المائن الذي سود تاريخه بالخيانة والرذيلة فلذا كان استنكار سعد عليه بقوله: اكست بعدنا ام حمقنا بعدك ومنها ان الامر في نظر الوليد انما هو الملك بكل ما يحمله من سطوة وظلم وجبروت واسفاف واحتقار، انه التعالي الاموي الذي نفخ فيه وجدّد ضرامة عثمان بتولية هذا الفاجر المائن ومنها ما يستفاد من كلمة سعد (اراكم جعلتموها ملكاً) انها الكلمة التي تعبر عما يختلج في نفوس المسلمين ويدور في اوساطهم.

إن الوليد وهو امير الكوفة قد ارتكب اموراً يخجل القلم عن تدوينها لأن بها العار الدائم والسمعة الرديئة التي تمس شرف وكرامة الولاة ان الوالي هو الحافظ للشرع والدين والمدافع عن شريعة سيد المرسلين يقيم الحدود المعطلة ويردع الضالين ويهدي التائهين فكيف اذا انعكس الامر فارتكب الوالي من الموبقات ما يوجب الحد، فهل يعود للدين حرمة في نفوس اتباعه وقد استباح حرامه الكبير فيهم، وولي الأمر من بينهم، إن هذا الوليد قد شرب الخمر وهو والٍ من قبل ابن امه خليفة المسلمين عثمان.

حكى أبو الفرج الأصفهاني في كتاب الأغاني ان الوليد بن عقبة كان زانياً

شريب خمر فشرب الخمر بالكوفة وقام ليصلي بهم الصبح في المسجد الجامع فصلى بهم اربع ركعات ثم التفت اليهم وقال لهم أزيدكم؟ وتقيأ في المحراب وقرأ بهم في الصلاة وهو رافع صوته.

علق القلب الربابا بعد ما شابت وشابا

وهذا ما دفع الحطيئة الى ان يقول:

شهد الحطيئة يوم يلقى ربه ان الوليد احق بالعذر
نادى وقد نفذت صلاتهم أأزيدكم ثملاً وما يدري
ليزيدهم خيراً ولو قبلوا منه لزادهم على عشر
فأبوا ابا وهب ولو فعلوا لقرنت بين الشفع والوتر
حبسوا عنانك اذ جريت ولو خلوا سبيلك لم تزل تجري

وعندما صدر منه ذلك خرج في امره الى عثمان اربعة نفر وعندما وصلوا اليه اوعدهم وتهددهم وقال الواقدي ان عثمان ضرب بعض الشهود اسواطاً فأتوا علياً فشكوا ذلك اليه فأتى عثمان فقال له: عطلت الحدود وضربت قوماً شهدوا على اخيك فقلبت الحكم وقد قال عمر، لا تحمل بني امية وآل ابي معيط خاصة على رقاب الناس. وبعد الحاح شديد وطلب اكيد من الامام استدعى عثمان الوليد فلما شُهد عليه في وجهه واراد عثمان ان يحده لم يجرأ احد ان يحده خوفاً من غضب عثمان حتى قام الامام بنفسه واخذ السوط وفي لفظ الأغاني قال له الوليد نشدتك بالله وبالقرابة فقال له علي: اسكت ابا وهب فانما هلكت بنو اسرائيل بتعطيلهم الحدود فضربه وقال: لتدعوني قريش بعد هذا جلّادها.

هذه صورة تمر امام الملأ الاسلامي ويشاهدها كل مسلم بأُم عينه فهل يحق لنا بعد هذا ان نقول ان الصحبة بمجردها دون ان ترافقها التقوى والصلاح بنفسها مجردة تُكسب المرء حصانة ذاتية تمنع اي انسان ان يتفوه بكلمة اتجاه من يتشرف بالنسبة اليها، هذا خلاف ما جاء به الاسلام وحكم به العقل فان الستر على امثال هؤلاء من الصحابة المستهترين يجعل ابناءنا يشككون بكل الصحابة حيث يسري الشك منهم الى غيرهم ولا يمكن ان نقول للشاب المثقف اقفل ابواب تفكيرك ولا تشغّل عقلك وآمن بأن الصحابة كلهم ثقاة عدول، لا يمكن ذلك لأنه ان سلم حياء وخجلاً

ولبعض الدواعي الاخرى في الظاهر فإنه يضحك علينا في السر ويفشي هذا السر القلبي عندما يطمئن بعدم الرقيب ممن يتبنى هذه الآراء السخيفة، اذ هو يجد بكل وضوح تسافل بعض الصحابة واستهتارهم وقلة مبالاتهم في الدين، بل الأجدر بنا حفاظاً على ديننا وسمعة الصحابة الطيبين وامساكاً منا لشبابنا الغيور المثقف ان نقول بصراحة ان بعض الصحابة تخضع الرقاب لهم وتنحني الجباه اجلالاً لهم بما قدموا وبذلوا وجاهدوا وضحوا هؤلاء هم اعلام الإسلام بهمْ قامت عمد الاسلام وعلى سواعدهم ارتفعت راياته هؤلاء هم صحابة محمد الأخيار الذين لم يبدلوا ولم يغيروا أحبوا الاسلام وآثروه على انفسهم فكانوا في الذروة من المجد عند الله وفي مقابل هؤلاء يوجد بعض الصحابة الذين لم يستوعبوا الاسلام ولم يدخل نور الايمان في قلوبهم فعصوا وانحرفوا واتخذوا غير دين الله ديناً وغير تشريعه مسلكاً وطريقاً. ان قلنا بذلك نكون قد نطقنا بالحقيقة وانصفنا عقولنا وربحنا شبابنا والا فنحن الذين نساوم على ديننا وان كنا نريد خلاف ذلك.

عيّنات من اوفياء الصحابة

وهذه سيرة عملاقين من طليعة الصحابة ايسر ما نقول فيهما انهما اوفياء للمبدأ امناء على شريعة الله، رعوا حق الصحبة المحمدية، فقدموا انفسهم في سبيل الحق شهداء صدق ورجال ايمان..

عمّار بن ياسر

هذا عمار من طليعة المجاهدين الذين قام الاسلام على عواتقهم، انه البطل الذي صنعه الاسلام فكان نموذجاً حياً لارادة السماء، جاء صامداً صمود الرواسي التي لا يأتي عليها الزمن الا لتزداد صلابة وقوة وترتفع شموخاً وجلالاً، انه عبقة من شذى الاريحية وعطر من انفاس الخلود، مرّ في مطلع الرسالة مرة ليؤرخ على جبين الدهر احرف النصر ويكسب اكليل الغار الذي يتلى عند كل ثغر بالدعاء للابطال والمجاهدين والعظماء الرساليين انه رمز لمضمون الرسالة وعنوان وفاء ونضال لكل الشرفاء في دنيانا حينما تعقم عن انجاب الاوفياء والمناضلين، سمح به الزمن صياغة فريدة جاءت لتحمل رسالة الانبياء ووصية الاوصياء فكان ابن الرسالة البر المجاهد ورفيق الامامة في مسيرها النضالي الشريف ضد الكفرة والملحدين او الباغين والمنحرفين.

لقد عهدنا البطولة والتضحية والوفاء والجهاد والخصال الحميدة في فرد واحد يجود به الزمن ليُتّخذ رمزاً ومثلاً يأخذه الثوار المناضلون في مسيرة الجهاد المقدس في دروب الحياة المملوءة بالاحداث المزدحمة بالآلام والظلم، .

لقد عهدنا ان يفوز بالجهاد والتضحية والفداء والشهادة من كل امة فرد يمثل مطمحاً لكل آمال الامة وتطلعاتها، لقد عهدنا ذلك كله ولكن لم نعهد ان يطل علينا في وقت واحد ومن بيت واحد ثالوث يعبر عنه والدان وولد، .

انه الاسلام الذي دخل النفوس فأنعشها والجوارح فحركها والافكار فأخذ بها تصعيداً نحو الرقي والكمال، انه الاسلام الذي صنع عماراً ووالديه قرابين من اجل الحق والعدالة ورفضاً للظلم والجور.

انه عمار بن ياسر ووالداه.

جهاد وكفاح مجد ونضال تضحية وفداء حب واخاء وختامها الشهادة حلقات تواصلت بين العائلة الواحدة فخلقت الاب العظيم والام الشهيدة ـ بل او شهيدة في الاسلام ـ والابن المجاهد في سبيل عزة الاسلام ورفعة شأنه.

انها اسرة واحدة خطت في درب الجهاد فلم ترجع الا بالشهادة شهادة الام تحت سياط الجلادين وحراب الطواغيت المجرمين، شهادة فريدة سجلتها في قائمة الخالدين الرساليين، انها سمية التي تقاطرت دماؤ ها لتزرع محل كل قطرة سقطت شهيداً يرفع علم الاسلام خفاقاً.

انها المرأة التي قالت ربي الله فأبى الكافرون ذلك النداء فسلطوا حرابهم وسياطهم لاخماد ذلك الصوت وقتله، فانبعث لحناً متعدد النغمات متموج الحركات متنقلاً عبر الحياة الى آخر الحياة.

انها المرأة التي اعطت اعظم دروس التضحية في سبيل عقيدتها وايمانها ولم تساوم عليهما، انه درس لكل امرأة مسلمة عاصرت سمية ومن بعدها الى زماننا هذا بل الى آخر الدهر، ليس للمرأة ان تقول نعم لكل شيء جديد وافق الاسلام ام خالفه ناقضه او عاكسه بل لها ان تقول نعم للإسلام عقيدة وتشريعاً واحكاماً وفي جميع المجالات ولها ان تقول لا . . لا لشيء من مبادىء الأرض خالف تعاليم السماء، لا ليس لغير الاسلام وان كلفها ذلك كل غالٍ ونفيس هذه هي ام عمار.

أما الأب ياسر الذي لاقى الكثير من عذاب قريش كان اقوى من كل قوى الشر والبغي فتحدى جبروت الطغاة وظلمهم بعزة الاسلام وعنفوانه واعلن امام الملأ من قريش انه لن يعطيهم من دينه شيئاً، لن يعطيهم ولو بلسانه ما يرضيهم، انه الشموخ والعزة بالمبدأ الذي ملك عليه كل شعوره فكأن كل سوط يلسع جسده يد حالمة تمر عليه برفق ولين لتعطيه الدفء وتغدق عليه الايمان وتبعث في جسده الحياة من جديد براحة نفس واطمئنان ضمير.

ما أروع العذاب واطيب طعم السياط، ما اجمل الدماء المترقرقة والاجساد المضرجة والاشلاء الممزقة إذا كانت في سبيل الله، انها امنية كل الاحرار المبدئين الذين ينادون بالاسلام شعاراً وبمضمونه عملاً، ان دمعة العذاب في سبيل الله ستخلق بحوراً تغرق الطغاة والظلمة وكل قطرة تسقط على الأرض من الشهداء ستُسقِط طاغوتاً من طواغيت الأرض تحكّم في رقاب الناس ودمائهم بغير حق.

ما اروع الشهادة في سبيل الله انها النهاية السعيدة واكرم بها من نهاية، انها امنية تراود كل المؤمنين في شرق الأرض وغربها لأن بها العزة لكلمة الله والرفعة والسمو لكل شرايع السماء وتعاليمها،.

انه مجد ناله الأب ياسر على ايدي جلاديه، لقد عذب بسياطهم ونالوا منه ما يشفي حقدهم وغرورهم حتى اتوا على نفسه فمات شهيداً طليعياً من طلائع الفتح الاسلامي وركناً من اركان تثبيت قواعد الحق والايمان.

هكذا كان والدا عمار بهذه الروح التضحوية والنفس العالية استطاعا الصمود تحت السياط حتى النفس الاخير فماتا شهيدين في سبيل الاسلام وكانت دماؤهم هي التي روت شجرة الاسلام حتى غدت قوية صلبة تتمتع بالقوة القاهرة والعزم الثابت المتين.

نعم من هذين الابوين ولد بطلنا عمار ومعهما تعذب وناله ما نالهما من الآلام والاضطهاد، وعلى درب ابويه سار في طريقه الجهادي المبارك،

إن عمار بن ياسر طليعي من طلائع المسلمين المجاهدين قد عذبته قريش وتفننت في تعذيبه وناله مع ابويه ما نال المستضعفين من العتاة الطواغيت كانوا يخرجون عماراً واباه وامه الى الابطح اذا حميت الرمضاء يعذبونهم بحرها فيمر بهم النبي (ص) : ويقول: صبراً يا آل ياسر فإن موعدكم الجنة فمات ياسر من العذاب وكذلك امرأته سمية فكانت اول شهيدة في الاسلام، واما عمار[1] فشددوا العذاب عليه بالحر تارة وبوضع الصخر على صدره اخرى وبالتغريق ثالثة. . وهكذا. انهم اهل بيت قد عذبوا في سبيل الله فكانت كلمات النبي بلسماً لكل جراحاتهم وتعويضاً كبيراً عن كل ما لاقوه ونالهم من العذاب، انها كلمات القائد العظيم التي تعطي الزخم والقوة والراحة والطمأنينة وتهون الخطب مهما كان فادحاً والعذاب مهما كان شديداً، ويشاء الله أن ينجو الابن عمار ليكمل شوط الجهاد المقدس فكان رفيق النبوة في كل غزواتها لقد شهدها كلها لم يتخلف عن واحدة منها حباً لله وجهاداً في سبيله،.

---

١ ـ ابن الأثير في تاريخه ص ٦٧ .

إيمان عمار

إن قريش بعد ان اولعت بتعذيب المستضعفين وتفننت في ايذائهم وكذلك الطغاة في كل عصر يفعلون ـ اعطاهم عمار بلسانه ما ارادوا تقية من اجل الحفاظ على نفسه كي يكمل شوطه المرسوم له في الجهاد والنضال وتدعيم اركان الاسلام وتثبيت جذوره وهنا تحركت الألسن بأن عماراً كفر واخذت البطل رعدة من اجل ذلك انه الرجل المطمئن الى قلبه المفعم بالإيمان ولكن يريد ان يعرض قضيته على النبي فبيده الحل والعقد وله الرأي أولاً واخيراً وهنا تدخلت ارادة الله لتحسم الموضوع وتجلي الامر وتظهر ايمان عمار الثابت المستقر فيلتحم قول الله مع قول رسوله ليشكلا اقوى الدعائم في تثبيت عمار وبيان ايمانه انه عمار الذي نزل فيه قوله تعالى **﴿من كفر بالله من بعد ايمانه الا من اكره وقلبه مطمئن بالايمان ولكن من شرح بالكفر صدراً فعليهم غضب من الله ولهم عذاب عظيم﴾**[1] .

انها الرخصة لهذا البطل كي يعطيهم بلسانه ما ارادوا شريطة ان يبقى الايمان مستقراً في جنانه وقد ذكر اهل التفسير انها نزلت في عمار .

قال ابن عباس كما في الواحدي نزلت في عمار بن ياسر وذلك ان المشركين اخذوه واباه ياسراً وامه سمية وصهيباً وبلالاً وخباباً وسالماً فأما سمية فانها رُبطت بين بعيرين و. . . وقتل زوجها ياسر وهما اول قتيلين قتلا في الاسلام واما عمار فانه اعطاهم ما ارادوا بلسانه مكرهاً فأُخبر بأن عماراً كفر. فقال: كلا ان عماراً مليء ايماناً من قرنه الى قدمه واخلط الايمان بلحمه ودمه، فأتى عمار رسول الله (ص) وهو يبكي فجعل رسول الله (ص) يمسح عينيه وقال: ان عادوا لك فعد لهم بما قلت فانزل الله تعالى هذه الآية. .

نعم انه عمار بن ياسر الذي قال فيه النبي:

١ ـ ان عماراً ملئى ايمانه من قرنه الى قدمه واختلط الايمان بلحمه ودمه. وفي لفظ آخر: عمارُ مليء ايماناً الى مشاشه.

٢ ـ اخرج ابن هشام: ما لهم ولعمار؟ يدعوهم الى الجنة ويدعونه الى النار، ان عماراً

---

١ ـ النحل/١٠٦ .

جلدة ما بين عيني وانفي . .

٣ ـ من يحقر عماراً يحقره الله ومن يسب عماراً يسبه الله ومن ينتقص عماراً ينتقصه الله ومن يعاد عماراً يعاده الله .

وهناك الكثير من الاحاديث التي تبيّن فضل عمار وعلو منزلته .

إن بطلنا المجاهد والصحابي الكبير لم يتوان طيلة حياة النبوة عن خوض المعارك الاسلامية معارك الجهاد والشرف والبطولة والكفاح بل رافق النبي في جهاده من غزوته الاولى الى آخر الغزوات وقد ابلى البلاء الحسن وعرف بمواقفه الصلبة ودفاعه عن النبي ولما انتقل النبي الى ربه كان احد الأركان الذين لاذوا بآل رسول الله واعتصموا بحبلهم فلم يفارق امير المؤمنين علي بل لزمه معترفاً ان الخلافة له وانه صاحبها الشرعي الموصى له بها وبقي وفياً له ملازماً لطريقه، . . .

عمار وعثمان:

إن عمار بن ياسر الذي ابلى البلاء الحسن وجاهد ذلك الجهاد الميمون المبارك، ان عماراً الذي تشبع بروح الاسلام وتربى على ايدي النبوة بقي الانسان المسلم الذي لا يبالي بقول الحق وان جنى عليه اقسى الجنايات وامرّ الامور، وكيف يستطيع ان يغمض جفنه وهو يرى الباطل ينتفخ والحق ينزوي، لم يكن ذلك ديدنه ولم تكن تلك تربيته وعاداته، انه تربى على قول الحق والنطق بالصدق فلا مساومة على حكم من احكام الاسلام ولا مداهنة في شعيرة من شعائر الله فعلى عمار ان يجهر بالحق وعليه ان يعلو صوته صوناً لاحكام الله وحفظاً على تعاليمه فلذا كان له مع الخليفة الاموي عثمان بن عفان موقفاً صريحاً واضحاً جهر فيه بالحق واعلن في وجه الخليفة استنكاره للممارسات التي تجري على ايديه وايدي بني ابيه من العصابة الاموية .

عمار وبيان الاستنكار

إن صحابة النبي بعد ان وقفوا على تجاوزات الخليفة عثمان واحصوا عليه متفرقات خطيئاته اجمعوا على ان يرفعوا اليه كتاباً يبيّنون فيه تلك التجاوزات وقد كُتب بيان الاستنكار وتعداد تلك الخطايا ثم حمل ذلك عمار بن ياسر ومضى الى دار عثمان فاستأذن عليه فأذن له وكان الى جوار الخليفة العصابة الاموية مروان بن الحكم واهله من بني امية فدفع اليه الكتاب فقرأه ثم نظر الى عمار قائلاً: لِمَ اجترأت علي من

بينهم؟ وهنا تدخل لعين رسول الله مروان بن الحكم قائلاً : يا أمير المؤمنين إن هذا العبد الأسود (يعني عماراً) قد جرأ عليك الناس وانك ان قتلته نكلت به من وراءه عندها قال عثمان لغلمانه اضربوه. فضربوه وضربه عثمان معهم حتى فتقوا بطنه فغشي عليه فجروه حتى طرحوه على باب الدار فأمرت به ام سلمة زوج النبي (ص) فادخل منزلها وقال عمار: ما هذا بأول ما اوذيت في الله، وعندها اطلعت عائشة شعراً من رسول الله (ص) ونعله وثياباً من ثيابه ثم قالت ما اسرع ما تركتم سنة نبيكم. وقال عمرو بن العاص هذا منبر نبيكم وهذه ثيابه وهذا شعره لم يبل فيكم وقد بدلتم وغيرتم فغضب عثمان حتى لم يدر ما يقول.

هكذا كان موقف المسلم الناصح مع الخليفة الخاطىء، كان من الأجدر بعثمان ان يشرح صدره للناصح المؤمن كان عليه ان يصغي بكل جوارحه من اجل ان يقف على الحقيقة فيصلح ما افسدته العصابة الاموية ويعود بعد الانحراف الى سبيل الله وسنة الرسول الكريم، كان عليه ان يدقق في لائحة التجاوزات ويقلع عما ارتكبه ويرتدع عما جنته يداه، كان عليه ان يخضع للحق ويذعن لاتفاق الصحابة الذين اكرموه ورفعوا من شأنه ببيانهم الذي فصّلوا فيه تلك الخطايا كي يرجع الخليفة الى الحق ويرعوى عن ممارساته غير اللائقة به كمسلم فكيف به وهو خليفة، .

هكذا نال عمار جزاء نصحه فبالأمس كانت طواغيت الجاهلية تنال منه واليوم بأيدي المنحرفين من المسلمين ينال قسطه، .

ما اقسى يد القدر حينما يبني الانسان بسواعده وقوته صرحاً شامخاً وعزاً متطاولاً ويكابد من اجل ذلك اشق انواع العذاب والقهر ثم تغلبه الجهّال على قيادته فيناله منهم ما كان يناله على ايدي اعدائه من قبل.

وتمضي الأيام ويحكم الاسلام على الخليفة حكمه العادل فيقضى قتيلاً بأيدي الصحابة وتعود الخلافة الشرعية الى صاحبها الامام عليّ فتفرح القلوب المؤمنة وتنشرح الصدور الطاهرة التي آذاها هذا الفراق الطويل ويكون عمار في اول الركب يبارك لعلي بعودة حقه اليه، يبارك له في رجوع الحق الى نصابه وينضوي تحت لوائه معلناً ان الجهاد بين يديه كالجهاد بين يدي رسول الله ، .

ما أروع موقف الرجال عندما يقفون بمبادئهم وعقائدهم وقفة الاشبال في سوح القتال تحت امرة القيادة الحكيمة الملتزمة بمنهجهم المؤمنة بطريقهم وهذا نفسه

ما حصل لعمار، انه يؤمن بقيادة الامام ايمانه بقيادة رسول الله فلذاالتزم في صف المجاهدين بين يديه وبرز لقتال الناكثين والقاسطين والمارقين، .

الشهادة امنية المجاهدين

انه شيخ كبير قد تجاوز التسعين من العمر يشد حاجبيه بعصابة ويبرز في معركة صفين تلك المعركة التي دارت رحاها بين الحق والباطل بين الخليفة الشرعي والبغاة العتاة، بين امير المؤمنين عليّ وبين الطاغية معاوية، يبرز عمار وهو شيخ كبير الى المعركة وهو مؤمن بسلامة طريقه على يقين من معركته يتمتع برؤية واضحة جلية، انه على الحق، فلذا يضرب بسيفه دون هوادة ويردد بعد ان يشعر ان عدوه يميل عليه قائلاً: اللهم انك تعلم أني لو اعلم ان رضاك في ان اقذف بنفسي في هذا البحر لفعلته. اللهم إنك تعلم أني لو اعلم ان رضاك في ان اضع ظبة سيفي في بطني ثم انحني عليها حتى تخرج من ظهري لفعلته وإني لا اعلم اليوم عملاً هو ارضى لك من جهاد هؤلاء الفاسقين ولو اعلم عملاً هو ارضى لك منه لفعلته. . وايم الله لو ضربونا حتى يبلغوا بنا سعفات هجر لعلمت إنا على الحق وانهم على الباطل.

ما اجمل هذه المقطوعة الرائعة التي تلتهب حماساً وقوة وتفيض عبقرية وحقاً، انها نفثات الانسان الرسالي المؤمن بحقه المطمئن الى مصيره، انه اشرف عمل وارضى لله من كل عمل انه الجهاد ضد الزمر الفاسدة التي لم تذعن للحق فخرجت على امام الحق فوجب جهادها وقتالها. بقي عمار على عزمه وتصميمه ودارت المعركة وارتفع القتام وكان كل من طرق سمعه حديث النبي يتصور عماراً ويتمثله علماً للحق ومناراً للهدى حيث ان المسلمين جميعاً يرون ـ بما فيهم اعداء عمار ـ عمار تقتله الفئة الباغية ـ وهل يمكن لأحد ان يبرز لعمار بعد ذلك؟ وهل يمكن لمسلم يؤمن بنبوة محمد ان ينزل الى ساحة المعركة ضد عمار؟ . .

ان عماراً هو الميزان فمن كان الى جانبه فهو على الحق وغيره على الباطل، ان عماراً في صف عليّ وتحت رايته فأعلام الحق هنا في صف ابن ابي طالب انه امام المتقين وقائد الغر المحجلين فهل يجد المسلمون امام حق غير علي يقاتلون معه؟ كلا. . ثم كلا. . إن عماراً يعرف النهاية يعرف انها الشهادة فلذا يتوقعها بفارغ الصبر ما احسن اللقاء في سوح الجهاد اذا كانت خاتمته الشهادة، لقد انبأه بها رسول الله من قبل وبشره بالفوز والفلاح فلذا تراه يدور حول علاماتها التي ابانها له انه يريد

البراز فيطلب شربة فيقدم له ضياح من لبن وعندها تنطلق من حنجرته زغردة المؤمن الواثق: الله اكبر، ما هذا التكبير وما شأنه؟ نعم انه العهد والعلامة التي يتوقعها عمار من النبي حيث قال له: آخر رزقك من الدنيا ضياح من لبن. قد تحقق الآن وهو يأمل ان تكون النهاية يأمل ان يرزق الشهادة بين يدي عليّ في سبيل الله والمبادىء الاسلامية السامية، .

نزل عمار الى المعركة ولكن كما قلنا من يجسر ان يقابل عماراً بسيفه بعد بلاغ النبي وقوله: عمار تقتله الفئة الباغية ـ نعم ان من يحارب علياً ـ وهو افضل من عمار ـ يملك رجالاً قساة جفاة لا يطيعون الله الا بما يسمح لهم به معاوية، ان هناك قوماً قلوبهم اقسى من الحديد لا تخاف الله ولا ترجوا الحساب ولهم الجرأة الكافية لقتل عباد الله جميعاً مرضاة لسيدهم معاوية نعم ان هناك زبانية اموية رباها معاوية على عبادته فهي تملك قساوة الوحوش وضراوة الاسود لا ترعى لمؤمن عهداً ولا تحفظ وداداً فليبرز الى عمار جماعة وتناله سيوفهم وهكذا صار واستشهد البطل العظيم دفاعاً عن القيم والمبادىء وصوناً لحق الله واحكامه. ويرتفع مع النفس الأخير من حياته صوت رقيق ضعيف قائلاً: اليوم القى الاحبة[1] محمداً وحزبه انه صوت عمار بترنيمته العذبة الندية انه لحن الوداع لهذه الدنيا انه شعار المؤمنين في خاتمة حياتهم ووصيتهم لاخوانهم الذين يتلمسون خطاهم ويعيشون اهدافهم وآمالهم. هكذا اصحاب محمد يكونون؟ هكذا عرفناهم في سيرتهم وسلوكهم؟ هكذا اعطونا دروساً عالية وتفانياً رائعاً في سبيل الله، . أنهم صحابة صدقوا ما عاهدوا الله عليه، ووفوا بما قالوا فآثروا الحق واندفعوا في سبيله وبذلوا الغالي والنفيس من اجله، **﴿فأتاهم الله ثواب الدنيا وحسن ثواب الآخرة﴾**[2] واين هذا النمط العالي من الصحابة البغاة المنحرفين والتجار الانتهازيين كمعاوية وعمرو واضرابهما. . .

---

١ ـ ابن الأثير ج ٣ ص ٣١٠ .

٢ ـ آل عمران / ١٤٨ .

أبو ذر الغفاري:

هذا صحابي مثّل اشرف دور في حياة الصحابة، انه رمز النضال والبطولة وعنوان الفضائل والقيم انه الرجل العظيم الذي وقف في وجه الظلم الاموي وصرخ صرخة الاسلام المدوية فهزّ نفوس الطغمة الحاكمة واوقفها على جميع انحرافاتها وزلاتها.

ان هتافات الغفاري اصبحت شعاراً يطرحها كل ثائر في سبيل الحق المهتضم والانسانية المعذبة، انها صرخة الضمير ويقظة الوجدان امام جبروت الظلم وقساوة الجور،

ان ابا ذر الغفاري شعلة اوقدها الاسلام في حنادس الظلام فلا تطفأ مهما امتدت الليالي وتكاثفت الحجب انه الشعلة التي تستمد وقودها من الحق فهي خالدة بخلوده دائمة مستمرة بدوامه واستمراره، .

إن البطل الغفاري عندما وقف في وجه عثمان الاموي كان ينطق بضمير الامة الاسلامية وحرية رأيها، كان يطرح الشعار الذي يلتف حوله كل ابناء الاسلام وبُناته الامناء، وإذا اردنا ان نقف على الحقيقة بعينها وينجلي لنا وجه الحق فيما نقول فما علينا الا ان نقف وقفة سريعة ونلم المامة قصيرة بسيرة هذا العظيم الذي شكل اول داعية للثورة علناً على كل ظالم وجائر وردد الاستنكار بعنف وحزم حتى كانت النهاية شهيداً سعيداً في دار قفر وغربة بعد ان نال منه النفي والوحدة اقسى وافظع الوان الضغط والحرمان فالى رحاب تلك الشخصية الصحابية العظيمة:

أبو ذر في عهد النبي

استفاقت الجزيرة العربية بل العالم كله على انشودة الخلاص التي يحملها اروع الناس واكملهم، انه صوت رسول الله الذي استيقظ على هداه العالم وانتبهت الانسانية المعذبة من غفوتها وصحت بعد ليل دامس بهيم. وعلا الصوت فتحركت جموع المستضعفين والمنصفين للانضواء تحت ذلك اللواء المبارك لأن به خلاصها من الذل والاستعباد والضعف والهوان وطرق سمع الغفاري ذلك الصوت الحنون وطالما

انه ترقبه طويلاً وتشوق الى تلك الساعة التي يسعد بلقياه فكان ربع الاسلام على قول وخمسه على آخر وايهما ثبت فالمقطوع به انه من السابقين الأولين الذين صدقوا الرسل وآمنوا بنبوة محمد بن عبد الله . . لقد آمن الغفاري فنطق بشهادة لا إله الا الله محمد رسول الله ودخل في مجموعة الايمان التي حلت منه محل الأهل والعشيرة والوطن والقبيلة لقد انصهر في ذلك المجتمع الجديد واراد ان يتحدى قريش ويعلن في وجهها اسلامه فلذا انطلق الى مكان اجتماعها واطلقها صيحة ازعجتهم فقاموا اليه جميعاً فأذاقوه الأذى والألم وكادوا يقضون عليه لولا ان تدخل العباس فالفت انظارهم الى ان تجارتهم على طريق غفار فتركوه . .

إنها صورة الانسان الذي يشتاق الى العذاب في سبيل الله من يومه الأول، وسيبقى ذلك امنيته واقصى غايته، إنه سيجد الخاتمة الماً محبباً في سبيل كلمة الحق التي جهر بها وآل على نفسه ان لا يتركها مهما تعاظمت قوى الشر وانتفخت لقد آل على نفسه ان ينشد لحن المعذبين اينما حل وفي اي بقعة كان آل على نفسه ان لا يهادن ظالماً مهما كانت منزلته ومقامه، لقد اخذ على نفسه بعد ان التزم بالاسلام ان يعلن كلمته ويؤثرها على كل عزيز لديه، . انه الرجل الذي لزم رسول الله فسأله عن كل شيء حتى اجاب الامام علي عندما سئل عنه فقال: (ذلك رجل وعى علماً عجز عنه الناس[١] ثم اوكأ فيه فلم يخرج شيئاً منه) ثم انه فوق ذلك اعطاه النبي علامة فارقة بها يمتاز عن جميع الصحابة، انها اللهجة الصادقة، التي لا يداخلها شك ولا يعتور سبيلها نقض، ما اجمل ان يكون الانسان صادقاً ولكن اجمل منه ان لا يكون اصدق منه تحت اديم السماء وهكذا كان صاحبنا الغفاري، وكشف عن ذلك النبي بقوله صلوات الله عليه:

ما اظلت الخضراء ولا اقلّت الغبراء من ذي لهجة اصدق ولا اوفى من ابي ذر شبيه عيسى بن مريم[٢] . .

إن أبا ذر قد جاهد بين يدي النبي وشهد مشاهده وفاز بثواب الجهاد وحمل السلاح، لم يتوان في نصرة الاسلام لحظة ولم يهن عن طلب الحق في وقت. . .

---

١ ـ الاستيعاب ج ٢ ص ٦٦٤ .

٢ ـ الترمذي .

ان ابا ذر امة برأسها لها معالمها الخاصة وسماتها المميزة فقد حباه رسول الله اجل الصفات واعلاها واخبره عن بعضها في غزوة تبوك حيث تأخر جمله ولم يعد يمشي معه فتركه مكانه وحمل رحله على ظهره وتابع مسيره حتى ادرك النبي فقال له: يرحم الله ابا ذر يمشي وحده ويموت وحده ويبعث وحده ويشهده عصابة من المؤمنين[1] ان أبا ذر ليس ممن تقعد بهم نفوسهم ان تخلفت جمالهم عن المسير وليس ممن يتحينون الفرص ويخلقون المعاذير من اجل الراحة والدعة بل ان هم المخلصين امثال ابي ذر، الجهاد والجهاد دائماً غايتهم وخصوصاً اذا كان تحت ظل القيادة المعصومة المسددة،.

لقد جاهد ابو ذر بسنانه ولسانه...

١ - ابن الأثير ج ٢ ص ٢٨٠ .

ابو ذر والخليفة الاموي

تولى شيخ الامويين عثمان كرسي الخلافة الاسلامية وكان عليه وهو الذي عاش زمن النبوة. ان يسير بما سار به المؤمنون الأخيار، كان عليه ان يسير بالعدل والحق دون ان تأخذه في الله لومة لائم ولكن الخليفة جمحت به نفسه وقاده هواه الى نبذ احكام الاسلام وسدل الستار عليها واحل محلها رأيه وهواه. لقد صدرت من الخليفة امور لو انفرد بواحدة منها لاستحق ما ناله من الجزاء عند ما حاسبه عليها المجتمع الاسلامي بمجتمعه.

- لقد اساء استخدام السلطة لصالحه وصالح اهل بيته

- لقد استأثر بأموال المسلمين يقسمها في عشيرته حباً واثرة دون استحقاق او كفاءة.

- لقد غيّر سنة رسول الله واتى عليها بما لا عهد للمسلمين به.
- لقد ولّى اقرباءه على رقاب المسلمين ومنهم الفاسق والطليق وشارب الخمر والزنديق.

الى آخر القائمة التي احصاها المسلمون عليه.

لقد رأى ابو ذر كل افعال عثمان المخالفة للحق فاستنكر عليه وجهر في إستنكاره واخذ يردد: بشر الكانزين بعذاب اليم ويتلو قول الله عز وجل **﴿والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله فبشرهم بعذاب اليم﴾**(1)

وسمع مروان الوزغ ذلك فرفعه الى عثمان فأرسل الى ابي ذر نائلاً مولاه ان انته عما يبلغني عنك

فقال: اينهاني عثمان عن قراءة كتاب الله وعيب من ترك امر الله فوالله لأن ارضى الله بسخط عثمان احب اليّ وخير لي من ان اسخط الله برضاه فأغضب عثمان ذلك واحفظه فتصابر وكف

انه ابو ذر يرمي من كلامه معنى اسلامياً يريده الحق منه، انه صوت الاسلام

---

١ ـ التوبة / ٣٤.

يجب ان يتحدى جبروت الحكم ورهبة الحاكم الذي ينحرف عن طاعة الله، انها ثورة المسلم على الوضع الفاسد حتى لو كان وحده في مقابل جيوش الخليفة وجبروته، .

ان ابا ذر يريد توعية المجتمع الذي اتت على روحه العصابة الاموية فأماتت فيه الحس الثوري المتيقظ، ان هذا المجتمع بحاجة الى من يدق له ابواق النفير كي يسترجع انفاسه التي اجهز عليها الامويون فاخمدوها بفعلهم المنحرف وجريمتهم النكراء.

لقد سار ابو ذر في عملية التوعية الاجتماعية في المجتمع المسلم وتكررت منه صيحة الاستنكار.

فهذا عثمان يطرح في مجلسه: أيجوز للامام ان يأخذ من المال - بيت مال المسلمين - فاذا ايسر قضى؟.

فيجيبه كعب الأحبار اليهودي الخبيث: لا بأس بذلك

ولكن المسلم الغفاري يرى الجور في الجواب محاباة للحاكم وتزلفاً اليه فصاح ابو ذر في وجه كعب قائلاً: يا ابن اليهوديين اتعلمنا ديننا.

- ومرة أخرى يحضر مجلس عثمان فيطرح عثمان: أرأيتم من زكى ماله هل فيه حق لغيره؟ فقال كعب: لا يا امير المؤمنين فدفع ابو ذر في صدر كعب وقال له: كذبت يا ابن اليهودي ثم تلا: **﴿ليس البر ان تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر وآتى المال على حبه ذوي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل والسائلين وفي الرقاب...﴾**

لقد ازعج صوت الثائر العظيم مضجع الخليفة الحاكم على فراش الدولة الاسلامية فامره ان يغيّب وجهه عنه الى الشام وكان هذا أول تسير لهذا المصلح الكبير، انها وجهة نحو قريب الخليفة فهل يجده احسن حالاً من الخليفة نفسه وهل يسكت صوت الغفاري الثائر عن الامر بالمعروف والنهي عن المنكر وقول الحق، هل يخطر في ذهن ابي ذر ان يكون هذا التهجير عاملاً من عوامل القعود به عن اظهار الحق وفضح الجور والظلم لا، لن يزيده هذا التهجير الا اصراراً على الحق وعناداً في المطالبة به، انه اخذ على نفسه ان يعمل بوصية رسول الله (قل الحق وان كان مراً) وعاهده على ذلك حتى يلقاه، .

لقد ترك الغفاري مدينة الرسول مكرهاً واستقبل بوجهه الشام فرأى ما هاله وزاده ثورة وايماناً برأيه، رأى كسرى العرب وطاغية الملوك، رأى الجاهلية بما تحمله من ظلم وجور وطغيان رأى الانحراف والضلال والابتعاد عن الاسلام.

إن أبا ذر رأى بام عينيه الظلم الاموي الفاحش فجهر بأعلى صوته وندد بالمنحرفين كما كان في المدينة الطيبة فاراد معاوية ان يستميله ويلويه عن رأيه فيسكته ببضع مئات من الدنانير ظناً منه انه يشتري سكوته ويقتل صوت الحرية والحق فيه فبعث له ثلاثماية دينار.

فقال ابو ذر: ان كانت هذه من عطائي الذي حرمتونيه عامي هذا قبلتها وان كانت صلة فلا حاجة لي فيها وردها عليه، . انه صوت الاحرار لا تجمده الاعطيات ولا تسكته الامنيات واخذ الثائر ينتقد معاوية فيوجه عليه الاضواء التي تفضحه ويعلو صوته امام الجماهير الساكنة ليقول لمعاوية وقد بنى القبة الخضراء: يا معاوية ان كانت هذه من مال الله فهي الخيانة وان كانت من مالك فهو الاسراف، ومعاوية يسمع صوت الثائر فتذوب نفسهويفتضح سحره ويحاول البطش به، انه يلعن الساعة التي ارسله اليه عثمان، ان ابا ذر بصوته يحرك النيام من اهل الشام انه بكلماته يحرك الضمير الاسلامي لدى الجماهير فيهتز معاوية خوفاً وفرقاً ولكن دون التخلص منه عقبات وعقوبات ولكن الصوت الشريف بقي يرتفع ويرتفع بقي يهتف في الجماهير يوعيها ويعطيها الاضواء الخضراء لكسر الطوق الذي كبلها به معاوية طيلة فترة ظلمه وجوره، فكان الصوت المنقذ يحرك الضمير المسلم عندما يقول لهم

والله لقد حدثت اعمال ما اعرفها والله ما هي في كتاب الله ولا سنة نبيه والله إني لأرى حقاً يُطفأ وباطلاً يحيا وصادقاً مكذباً واثرة بغير تقى وصالحاً مستأثراً عليه

إن هذه الكلمات كانت اشد من وقع الصواعق على معاوية، بها سيتحقق الانفجار الجماهيري الذي يطيح بملك الامويين وطاغيتهم معاوية، يجب على معاوية ان يتخلص من الغفاري يجب ان يفكر في الطريق الذي يحفظ على اهل الشام ركودهم وسكونهم فلذا قرر ان يكتب الى الخليفة: ان ابا ذر تجتمع اليه الجموع ولا آمن ان يفسدهم عليك فإن كان لك في القوم حاجة فاحمله اليك، فرد الخليفة احمل جندباً (اسم ابي ذر) اليَّ على اغلظ مركب واوعره فوجه به مع خمسة من الصقالبة يطيرون به الليل والنهار حتى اتوا به المدينة قد تسلخت بواطن افخاذه وكاد ان يتلف فلما قدم على

عثمان ودخل عليه قال له: لا انعم الله بك عيناً يا جُنيدب.

فقال أبو ذر: انا جُنيدب وسماني رسول الله (ص) عبد الله فاخترت اسم رسول الله الذي سماني به على اسمي.

فقال عثمان: انت الذي تزعم انّا نقول ان يد الله مغلولة، وان الله فقيرونحن اغنياء

فقال أبو ذر: لو كنتم لا تزعمون[1] لانفقتم مال الله على عباده ولكني اشهد لسمعت رسول الله (ص) يقول: إذا بلغ بنو ابي العاص ثلاثين رجلاً جعلوا مال الله دُولاً وعباد الله خولاً ودين الله دخلاً، . ثم اخذ عثمان يقول لأبي ذر انت الذي فعلت وفعلت!

فقال ابو ذر: نصحتك فاستغششتني ونصحت. صاحبك فاستغشني.

فقال عثمان: كذبت ولكنك تريد الفتنة وتحبها قد انغلت الشام علينا.

فقال له ابو ذر: اتبع سنة صاحبيك لا يكن لأحد عليك كلام

فقال عثمان: ما لك وذلك لا أم لك.

قال أبو ذر: والله ما وجدت لي عذراً الا الامر بالمعروف والنهي عن المنكر.

ثم ان عثمان حظر على الناس ان يقاعدوا ابا ذر ويكلموه فمكث كذلك اياماً ثم امر ان يؤتى به فأتي به فلما وقف بين يديه قال: ويحك يا عثمان، اما رأيت رسول الله (ص) ورأيت ابا بكر وعمر؟ هل رأيت هذا هديهم؟ انك لتبطش بي بطش الجبار

إن ابا ذر من طليعة المسلمين الذين عاشوا تحت قيادة النبي وابصروا كيف كانت رحمة النبوة وعطفها كيف كان حنانها وعطاؤها، ان ابا ذر من الرعيل الذي قام الاسلام على عاتقهم وانه ينظر الى سائر الصحابة انهم اخوة وانهم ممن تربوا على يد النبي ليكونوا رسله الى الناس وترجمان تعاليمه الى سائر البشر كيف يستسيغ عثمان الخليفة هذا التصرف وكيف يواجه اخاه الغفاري بمثل هذه الاجراءات الصارمة.

انها اجراءات قاسية، وقاسية جداً ان يُمنع الناس من مجالسة الغفاري او

---

١ - ابن ابي الحديد ج ٣ ص ٥٦ .

يكلموه، ومن يكون عثمان وما قيمة اوامره إذا خالفت الحق وانحرفت عن الصواب، .

إذا كان عثمان جائراً في تصرفه مع صاحب رسول الله فما على الغفاري الا ان يطلقها اشارة منبهة لعلّ الخليفة يعود الى الصواب ويرجع نحو الحق لعل ضميره يهزه فيعود عن قساوته فلذا يقول الغفاري

«انك لتبطش بي بطش الجبار» الجبار الذي لا يخاف يوم الوعيد، . .

الرؤية الأخيرة ودمعة الوداع.

بحكم الخليفة الخاطىء تقرر النفي للرجل الثائر، انها خطة يتبعها كل نظام جائر مع كل حر ابيّ يرفض المساومة على مبادئه او التنازل عنها، انها التصفية الجسدية ان امكن وان خاف على سلطانه وملكه فليكن اخماد الصوت بالسجن او النفي وكذلك تكون نتيجة الاحرار في عالمنا المعاصر بل القديم، .

النفي عن دار الهجرة، انه النفي عن حرم رسول الله (ص)
وتعجب الغفاري من ذلك! اويكون ذلك؟! ايفعلها الاموي، فلذا كرر الاستفهام.
اتخرجني من حرم رسول الله (ص)؟!
واجاب الخليفة الخاطىء.

نعم وانفك راغم. . وتوقع الثائر ان يكون نصيبه احدى المدن الاسلامية او احدى المجتمعات التي بها يستطيع ان يكمل شوطه الرسالي في الحياة. توقع ان تكون مكة او البصرة او الكوفة مسرحاً لعمله المقبل ولكن الخليفة رفض، رفض كل ذلك، ان هذه مدناً اسلامية كبرى قد يثيرها الغفاري ويحرك الرمال الساكنة ظاهراً تحت كرسي الخلافة المتزلزل واقعاً، انه النفي الى بلاد قفر وغربة الى بلاد ليس بها كلأ ولا ماء لا انيس ولا حسيس انه النفي الى الربذة. . .

انه النفي. . . فما احسنه اذا كان في سبيل الله.

وأراد الثائر الخروج وهنا اصدر الخليفة الخاطىء امراً ان لا يودعه احد، انه الجور قد ضرب سرادقه واستحكمت حلقاته في بني امية الذي يمثلهم الخليفة بنزعته اللااسلامية وامتثل الرعاع خوف السوط وغضب السلطان ولكن هناك من المؤمنين

من آثروا الحق واعلنوا العصيان فلم يطيعوا امر الخليفة المنحرف فلذا خرجوا لوداع الغفاري انهم اهل البيت وقطب رحى الحق. خرج الامام علي وابناه الحسن والحسين وعمار بن ياسر وعقيل ابن ابي طالب ولكن السلطة الجائرة راقبت انطلاقة البطل ورأت بام عينها من خرج لوداعه فدنى جلاوزتها من المشيعين وعلى رأسهم الوزغ بن الوزغ مروان بن الحكم قائلاً للسبط المجتبي - ايها .. يا حسن! .. الا تعلم ان عثمان قد نهى عن كلام هذا الرجل فان كنت لا تعلم فاعلم ذلك وعندما سمع الامام علي ذلك نهره وحمل على راحلته قائلاً له تنحّ نحاك الله الى النار ثم كان مشهد الأحبة الأخير، بما يحمل من كلمات العزاء والتجمل، انه مشهد يذيب القساة الجفاة كانت كلمات المودعين مؤثرة ذات ايقاع على وتر واحد من الحب والعطف والحنان..

ودعه الامام بقوله: يا أبا ذر انك غضبت لله فارجُ من غضبت له. إن القوم خافوك على دنياهم وخفتهم على دينك فاترك في ايديهم ما خافوك عليه واهرب منهم بما خفتهم عليه فما احوجهم الى ما منعتهم وما اغناك عما منعوك.

وستعلم من الرابح غداً والأكثر حسداً ولو ان السماوات والارضين كانتا على عبد رتقاً ثم اتقى الله لجعل الله له منهما مخرجاً.

لا يؤنسنك الا الحق ولا يوحشنك الا الباطل فلو قبلت دنياهم لأحبوك ولو قرضت منها لأمّنوك.

ثم تكلم من بقي من المشيعين وهم قلة قليلة فأجادوا وما ان انتهوا حتى ذرف الشيخ دموعه وقال:

رحمكم الله يا اهل بيت الرحمة.. اذا رأيتكم ذكرت بكم رسول الله ما لي بالمدينة سكن ولا شجن غيركم اني ثقلت على عثمان بالحجاز كما ثقلت على معاوية بالشام وكره ان اجاور اخاه وابن خاله بالمصرين: البصرة ومصر... فأفسد الناس عليهما فسيرني الى بلد ليس به ناصر ولا دافع الا الله والله ما اريد الا الله صاحباً وما اخشى مع الله وحشة.

ثم افترق الثائر الى حيث استقر به المنفى في الربذة وكابد في تلك البلاد اقسى الظروف واشقها حتى مات وحيداً لم يكن عنده الا ابنته التي احتارت في تجهيزه فهيىء الله لها من المؤمنين جماعة اعانوها على دفنه. فرحم الله ابا ذر عاش مجاهداً ومات

شهيداً دون ان يتنازل عن ذرة واحدة من ايمانه ومبادئه التي آمن بها وسعى في سبيلها .

هذا هو الصحابي الذي يتبناه الاسلام ويدفع الناس الى الاقتداء به هذا هو النموذج الرائع الذي يقدمه الاسلام لكل الاجيال البشرية الثائرة على الظلم والجور والطغيان، انه من خلص اصحاب النبي واعوانه الذين ثبتوا على الايمان وساروا على هدى النبي وآله الكرام . .

الشيعة تتبع أئمتها

إن الشيعة تستقي احكام الاسلام عن طريق اهل بيت النبي اذ هم ودائع العلم وورثته وينابيع الحكمة ومصدر الفضائل وكان تلميذ النبوة العظيم الامام علي هو اول تلك السلسلة المباركة ومبدأ اشتقاقها وهذا الانسان الكبير قد تخرج على ايدي الرسول العظيم امين الوحي والتنزيل فعلمه النبي كل ما تعلمه من ربه ووقف عليّ على جميع علوم النبي وقد اعترف له جميع الصحابة بذلك بدون استثناء وكيف ينكر ذلك من قرعت اسماعهم كلمات النبي واحاديثه التي ملأت الخافقين واذعن بها وحدّث حتى اعداء الامام واخصامه والامام عليّ بدوره قام بصبها في قلوب ابنائه فقد لقنهم كل ما اخذه من النبي وتفهمه منه، فالشيعة تأخذ عن الأئمة اسلامهم وعن الصحابة المخلصين الصادقين مانقلوه اليهم من اقوال النبي وافعاله، وليس من ديدن الشيعة ولادأبهم ان يأخذوا احكامهم من غير مصدرها وهو النبي وآله وصحابته الذين ثبَتوا على الايمان والاسلام، ونحن لو نظرنا الى ما ورد عن الأئمة من ثناء على الصحابة ومدح لهم ودعاء لكان في ذلك رداً مفحماً لمن اتهم الشيعة ونبذهم بما هم براء منه من دعوى (انهم يكرهون الصحابة ويسبونهم) إن هذه الاتهامات لم يقصد بها الا تضليل الناس وتشويه سمعة الشيعة الذين سمعوا قول الله ورسوله.

إن الشيعة تقتفي آثار اهل البيت ـ واهل البيت ادرى بالذي فيه ـ تقتفي آثارهم بكل ما يقولون وما يفعلون ولم يشذوا في حكم من احكامهم عن ذلك، انهم يأخذون عقائدهم واحكامهم واعمالهم بكل ما صدر عن آل الرسول لم يستثنوا حكماً ولم يخرجوا عن هذه القاعدة، انها قاعدة كلية اخذت بأعناق الشيعة ويجب ان تأخذ بأعناق جميع الناس لو انصفوا انفسهم وانصفوا الاسلام، لأن اهل البيت هم ثقل الرسول وعدل القرآن والمفسرون لمضمون كتابه الكريم وقد ثبتت حجية اقوالهم بما هو مذكور في محله وهذا هو الامام زين العابدين رابع أئمة اهل البيت الذي اتخذ الدعاء وسيلة له في تبليغ ما يريد اسمعه في صحيفته السجادية الكريمة كيف اثنى على صحابة الرسل عامة وعلى صحابة جده خاصة اسمعه واحكم فإن الشيعة تقتفي آثار هذا الامام العظيم اسمعه واحكم انت ولا تنتظر قول مشايخ السوء وتضليلهم ولا تسمع لهرائهم وعدائهم يقول عليه السلام:

اللهم واتباع الرسل ومصدقوهم ـ من اهل الأرض ـ بالغيب عند معارضة المعاندين لهم بالتكذيب. . . والاشتياق الى المرسلين بحقائق الايمان في كل دهر وزمان ارسلت فيه رسولاً واقمت لأهله دليلاً من لدن آدم الى محمدٍ صلى الله عليه وآله من أئمة الهدى وقادة اهل التقى على جميعهم السلام فاذكرهم منك بمغفرة ورضوان.

هذا دعاؤه عليه السلام لاتباع الرسل جميعاً:

واستمع لما خص به اصحاب جده كيف ان كل عبارة تكشف عن جليل المعاني وعميق الدلالة انه وصفهم بما لا يصفهم به غيره، انهم هم المخلصون الذين فارقوا الازواج والاولاد بل قاتلوهم من اجل نبوة رسول الله ومحبته فانتصروا للإسلام يرجون تجارة لن تبور انهم هجروا عشائرهم وتركوا قراباتهم حباً بقرب رسول الله ان زين العابدين وهو يعلم اصحاب جده ويعلم جهادهم فلا يمكن ان يبخل عليهم بالدعاء وطلب المغفرة والرضوان يقول عليه السلام: اللهم واصحاب محمد خاصة الذين احسنوا الصحابة والذين ابلوا البلاء الحسن في نصره وكانفوه واسرعوا الى وفادته وسابقوا الى دعوته واستجابوا له حيث اسمعهم حجة رسالاته وفارقوا الازواج والاولاد في اظهار كلمته وقاتلوا الآباء والابناء في تثبيت نبوته وانتصروا به ومن كانوا منطوين على محبته يرجون تجارة لن تبور في مودته والذين هجرتهم العشائر اذ تعلقوا بعروته وانتفت منهم القرابات اذ سكنوا في ظل قرابته فلا تنس لهم اللهم ما تركوا لك وفيك وارضهم من رضوانك وبما حاشوا الخلق عليك وكانوا مع رسولك دعاة لك اليك واشكرهم على هجرهم فيك ديار قومهم وخروجهم من سعة المعاش الى ضيقه ومن كثّرت في اعزاز دينك من مظلومهم.

فهذا الدعاء بهذه الكلمات المباركات التي خرجت من القادة العظام أئمة اهل البيت به وحده تستطيع ان تكشف للناس ان الشيعة تتوالى صحابة النبي المخلصين وتظهر ولاءها لهم وتعتقد انهم هم الذين حفظوا حقوق رسول الله ومشوا في ركابه واطاعوا امره، ان صحابة النبي المخلصين هؤلاء هم فقط الذين دعى لهم الامام زين العابدين وهم الذين ثبتوا على الايمان واتبعوا سنة رسول الله وهديه فآتاهم الله خير الدنيا وحسن ثواب الآخرة وهؤلاء هم الذين وصفهم الامام في نهج بلاغته لاصحابه مقارناً بينهم وبين اصحابه يقول عليه السلام:

لقد رأيت اصحاب محمد صلى الله عليه وآله فما ارى احداً يشبههم منكم،

لقد كانوا يصبحون شعثاً غبراً وقد باتوا سجداً وقياماً يراوحون بين جباههم وخدودهم ويقفون على مثل الجمر من ذكر معادهم كأن بين اعينهم رُكبَ المعزى من طول سجودهم اذا ذُكر اللهُ هملت اعينهم حتى تبلَّ جيوبهم ومادوا كما يميد الشجر يوم الريح العاصف خوفاً من العقاب ورجاء للثواب.

إن هؤلاء الأصحاب هم الذين تتولاهم الشيعة تبعاً لأئمتهم وسيراً وراء اقوالهم التي هي الميزان الذي لا يجور، هؤلاء الأصحاب الذين ذكرهم علي في هذه الكلمات هم وحدهم الذين لم يبدلوا ولم يغيروا، هؤلاء فقط هم الذين يستحقون ان نقدمهم كطليعة فذة ونشمخ بهم ونفاخر الامم بمحاسنهم، وليس اولئك الذين ارتدوا او نافقوا او انحرفوا او غرتهم الدنيا فباعوا الآخرة بشيء زهيد من حطامها، ان الشيعة تحارب من حارب علياً وتبغض من لم يناصره في مواقفه كلها لأنه على الحق ومن وقف عن نصرة الحق فهو جائر منحرف فكيف بمن حاربه وقاتله كمعاوية وعمرو بن العاص ومروان وغيرهم، .

إن الامام اعرف الناس بأصحاب النبي وتقييمه لأحدهم تقييم عن حس وخبرة فقد عاش معهم وخبرهم ودرس احوالهم عن قرب دراسة واعية عميقة عرف بها المخلص منهم من المنافق والمؤمن من الكافر والطاهر من العاهر والمحق من المبطل. إن علياً الذي وصف اصحاب رسول الله بذلك الوصف الرائع الجميل انما وصف اولئك الذين مثّلوا جذوة الاسلام وروحه المتحركة وصف اولئك الذين أحبوا الاسلام على انفسهم واهليهم واموالهم وما تحت ايديهم لأن هذا الاسلام قد ملك عليهم كل شيء وغدا بالنسبة لهم كل شيء فآثروه وقدموه وكانوا كما وصفهم الامام. وليس هؤلاء هم كل اصحاب محمد فإن من اصحابه صلوات الله عليه من لا يستحق اسم الصحبة ولا يستحق ان يتشرف برؤية النبي، ان منهم من لم يكن له دين ولا ايمان كمعاوية وعمرو بن العاص وبسر بن ارطأة وغيرهم فهذا هو علي يخاطب اصحابه عندما رفعت المصاحف بصفين قائلاً لهم:

عباد الله إني احق من اجاب الى كتاب الله ولكن معاوية وعمرو بن العاص وابن ابي معيط وحبيب بن مسلمة وابن ابي سرح ليسوا بأصحاب دين ولا قرآن إني اعرف بهم منكم.

إن هذا الكلام من الامام يكشف بوضوح ان من بين الصحابة من كان صفر اليدين من الايمان وانما كان يحمل الاسلام اسماً فيقاتل من اجل مغانمه الشخصية والا

فلا يهمه الاسلام من قريب او بعيد وهذا ما كشفته الايام التي عاشها معاوية واتباعه بعد ان خلى لهم الجو وتربع الطاغوت على كرسي الخلافة الاسلامية، وان الشيعة تقتدي بعليّ في تفضيلها بين الصحابةفتحفظللمؤمن المخلص الثابت على الايمان والاسلام اعماله فتقدره وتدعو له كما دعا له زين العابدين وتقول بما قاله الله وعلمه لعباده **﴿ربّنا اغفر لنا ولأخواننا الذين سبقونا بالأيمان﴾** واما من انحرف فالله حسيبه لعدم وفائه بحق الصحبة ولما شوهه من سمعة اصحاب النبي .

الباعث الصوري للقول بعدالة جميع الصحابة:

اتضح بما تقدم ان من الصحابة من لا يستحق هذا الشرف العظيم والانتساب الكريم اذ انه اطاع هواه وعصى مولاه وخالف سنة رسول الله (ص) وهناك منهم من ارتقى في الكمال الى اوجه والشرف منتهاه والعظمة سموها فحق له التقدير والتعظيم واستحق الفضل والتبجيل، وهنا نريد ان نتلمس الاسباب الداعية للقول بعدالة جميع الصحابة بعد ان عجزنا عن اثباتها للجميع من الكتاب والسنة والاعتبار.

واذا تصفحنا بعض الكتب كالاصابة لابن حجر فانه يطالعنا في هذا المقام بما نقله عن ابي زرعة الرازي بقوله: إذا رأيت الرجل ينتقص احداً من اصحاب رسول الله (ص) فاعلم انه زنديق وذلك ان [1] الرسول حق والقرآن حق وما جاء به حق وانما ادى الينا ذلك كله الصحابة، وهؤلاء يريدون ان يجرحوا شهودنا ليبطلوا الكتاب والسنة والجرح بهم اولى وهم زنادقة.

بدعوى المحافظة على الكتاب والسنة وخوفاً من اسقاطهما فلنحافظ على الصحابة ونقول بعد التهم جميعاً ونطوي البحث عن احوالهم جرحاً وتعديلاً فانهم فوق ذلك وارفع.

ونقول: ان الكتاب والسنة هما الاساس لكل تشريع اسلامي وهما بمثابة العمود الفقري له فاذا سقط احدهما انهار اهم ما لدينا من اسس وتداعى ما بقى عندنا من بنيان تشريعي ولا اظن ان مسلماً يقوده اجتهاده الى تعطيل كتاب الله او الغاء سنة رسول الله (ص) ويبقى على اسلامه لأن العمل بهذين الركنين من ضروريات الدين وبديهياته وانكارهما او تعطيلهما كفر والحاد وخروج عن الاسلام وان جميع الفرق الاسلامية توجب العمل بهما والانصياع لأوامرهما كل حسب ما توصل اليه فهمه او صح سند الرواية ومتنها عنده، وهذا القدر متسالم عليه بين جميع المسلمين لم يشذ منهم احد.

وهنا نريد ان نقف على الحقيقة ونصل الى نقطة الفصل والصواب فنضع

---

١ ـ الاصابة في معرفة الصحابة ج ١ ص ١٠

النقاط على الحروف في هذه الدعوى لأنها دعوى خطيرة تُخرج أناساً كثيرين عن دائرة الاسلام من جهة وتحمل صراحة ابطال الكتاب والسنة اذا جُرح بعض الصحابة لأنهم هم نقلتهما وعلى ايديهما تم ثبوتهما ووصولهما الى الأجيال المسلمة.

ونقول:

أولاً: ان جرح بعض الصحابة لا يؤدي الى ما توصل اليه ابو زرعة الرازي من ابطال الكتاب والسنة فانهما يحفظان عند الصحابة العدول الثقاة ونتلقى آيات الله وسنة رسوله ممن ثبتت وثاقتهم ورسخت عدالتهم وبهم الكفاية لاثبات ذلك وهؤلاء يمثلون الصفوة الطاهرة والحواريين الصادقين لرسول الله وهم قد حرصوا كل الحرص على تلقي احكام الاسلام من النبي فكانوا لا يفارقونه في حله وترحاله في حضره وسفره في مقامه وقيامه هؤلاء الجماعة الصادقة الطاهرة هم الذين يثق الانسان بنقلهم ويطمئن الى قولهم ويأخذ اقوال رسول الله الصادقة منهم، هؤلاء فقط دون اولئك الرعاع او الكذبة والمنحرفين او الفسقة والمرتدين وانّا نكتفي بالاخذ بما نقله الثقاة من الصحابة دون المنحرفين منهم فإن المذاهب التي اعتمدت على الثقاة لم ينقصها حكماً اسلامياً لم تهتد اليه بل وصلت كل الاحكام الاسلامية بطريقهم واطمأن الآخذ بنقلهم الى انه قول رسول الله وسنته الكريمة.

وثانياً: ان العامل بقول كل صحابي ليس له حجة شرعية مقبولة لأن المسلم يجب ان يعمل بقول رسول الله وقول الرسول لا يثبت الا عن طريق الثقة فإن خبر الفاسق لا يجوز التعويل عليه والاعتماد على مضمونه بنص الكتاب والسنة وعمل العقلاء، .

مضافاً الى ان نسبة امر من الامور لشخص من الاشخاص لا تجوز الا بعد ان تثبت بشكل قطعي ـ بالعلم او بالطريق العلمي ـ فكيف ننسب الى رسول الله (ص) ما لم يثبت انه قوله او عمله، وطريق الاثبات انما يكون بنقل الثقة الذي هو حجة شرعية وعقلائية دون الفاسق الذي لا يعتمد عليه العقلاء حتى في الامور البسيطة غير ذات الشأن فكيف يُعتمد عليه فيما ينقل عن رسول الله من الاحكام التي هي في الاهمية بمنزلة عالية لا يضارعها اي حكم آخر. وعليه نقول: ان اثبات قول النبي والوصول اليه هو الغاية واليه المنتهى فلو ادى ذلك الى جرح بعض الأشخاص بحسب موازين الجرح والتعديل فهذا يكون من اعظم الدفاع عن قول رسول الله

ومن اعظم الطرق التي تحفظ سنته الصحيحة فان جرح الف فاسق ورد قوله ايسر بكثير من التعبد بما نسبه الى الرسول والرسول منه بريء، بل ان ابطال السنة انما يكون بقبول خبر غير الثقة لأنه خبر لم يأذن به الله ومضمونه قد يكون فاسداً لا ترضاه العقول ويخالف المنقول فيسري التشكيك فيه الى سائر اخبار النبي وعندها تكون المشكلة عويصة وخطيرة، وما نسمعه من التشكيك في السنة بين الآونة والاخرى يرجع مرده كله الى مثل هذه الاخبار التي لم تثبت صحتها ووثاقة ناقليها. ويكفي هذا للحط من منزلة السنة، وما قيمة اعرابي لم يفقه من دينه الا رؤ ية النبي او كاذب اتخذ الصحبة درعاً يتقي بها الطعن فيه او فاسق سمع حديثاً، ما قيمة ذلك كله مقابل كلام رسول الله (ص) وسنته والحفاظ على قدسيتها ونقاوتها، فإن جرح الف بدوي لا يعادل سنة صحيحة تثبت بطريق الثقاة العدول من الصحابة الكرام ومن هنا نعرف ان من يجرح بعض الصحابة بالموازين الصحيحة انما يقصد بذلك وجه الله والمحافظة على نقاء السنة وطهرها فمن اجل السنة جرح ومن اجلها عدّل ووجه الله طلب لا يبغي من وراء ذلك هدمها بل العكس اراد ومن كان همه اثبات السنة والمحافظة على نقاوتها تكون له اليد البيضاء والفضل الكبير ويكون جزاؤ ه على الله واجره عليه.

الباعث الحقيقي للقول بعدالة جميع الصحابة:

الحقيقة التي لا مرية فيها ان الباعث للقول بتعديل الصحابة جميعاً ليس الغيرة على سنة رسول الله وكتابه.

فإن الكتاب العزيز قد تكفل بحفظه خالق السماوات والارضين ولا يمكن ان يطرأ عليه زيادة او يعرض عليه نقصان لقوله تعالى ﴿**انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون**﴾[1] وعداً قطعه الله على نفسه والله لا يخلف الميعاد.

واما السنة فقد وصلت علينا عن طريق الصحابة العدول الثقاة الذين ادوها الينا خير اداء وبلّغوها الى من بعدهم خير بلاغ فأدوا الامانة واجتنبوا الخيانة وكان لهم اجر المحسنين وفازوا بشرف الصحبة المحمدية، فلا خوف على السنة ولا خطر في وضع كل صحابي موضعه الذي اختاره هو لنفسه، فإن كان ثقة عدلاً رعى الصحبة وحفظ حقوقها فهو من رفقاء محمد (ص) يشمله كل ما ورد من ثناء ومدح عن صاحب الرسالة وان كان غير ذلك فنحن لسنا اكرم من الله الذي انزله منزله الذي اختاره هو بنفسه حيث هوى في الضلال ولم يرع للصحبة حقوقها ولم يحافظ على ناموسها فكان من الأخسرين اعمالاً الذين لم تنفعهم صحبة ساعة ولا رؤية وجه النبي الكريم لحظة او سماع كلمة منه صلوات الله عليه.

وإذا كان لا ضير على الكتاب والسنة من تجريح بعض الصحابة وتبين لنا عدم الصواب فيما ذهب اليه ابو زرعة الرازي سابقاً فهنا يجب ان نعرف ان وراء القول بتعديل الصحابة اهدافاً معينة واموراً مهمة رامى القوم من اجلها تعديلهم جميعاً ـ غير مرمى المحافظة على الكتاب والسنة ـ فيجب ان نبحث عن بعض تلك الدواعي الحقيقية التي دفعت القوم الى تعديل الجميع.

ونحن لم نقف على تلك الدوافع البعيدة على وجه اليقين اذ لم يجرأ أربابها على ذكرها والبوح بها وانما ندّت منهم في بعض الاحيان اشارات تدل على ذلك وان الانسان عندما يقف امام فشل كل المبررات التي اختلقوها وذكروها لتعديل جميع

---

١ ـ الحجر/ ٩ .

الصحابة يستشف بعض الاسباب الخفية التي كانت وراء القول بتعديلهم واهم امر دفعهم لذلك هو: ان القول بعدالة جميع الصحابة يستر كثيراً من الانحرافات والشذوذ التي صدرت من بعضهم، فالعدالة تغطّي كل تلك الانحرافات ولا يجوز معها ان يُنتقد احد الصحابة او يضع عليه علامة استفهام بل يجب ان تحمل كل تصرفاتهم على مقتضى الشرع والدين واستمع لما ذكره ابو زهرة في كتابه فلسفة العقوبة قال:

والسبب في تساهل ابي حنيفة في موضوع بعض المسكرات هو انه ثبت بالرواية عنده ان بعض الصحابة تناول بعض هذه الأشربة فامتنع عن تحريمها حتى لا يتهم الصحابة بالمعصية وقال في ذلك: لو غرقوني في الفرات لأقول انها حرام ما فعلت حتى لا افسق بعض الصحابة ولو غرقوني في الفرات على ان اتناول قطرة منها ما فعلت فالأمر بالنسبة لأبي حنيفة احتياط لكرامة الصحابة واحتياط لدينه: . . انتهى . . .

ما هذا الاحتياط الذي خلقه ابو زهرة؟ من اين جاء به؟ والحرام حرام على جميع المسلمين صحابة كانوا ام تابعين ام غيرهم من عامة المسلمين إن شرب الصحابي للمسكر اما ان يكون معصية فيجب ان يجهر بأن بعض الصحابة عصاة ويُبيّن حكم الله في المسألة وان ادى ذلك الى الطعن في بعض الصحابة فإن بيان حكم الله والحفاظ عليه احق بالمراعاة من صحابي جمح به هواه فخالف من اجل ذلك مولاه. .

واما انه حلال فيجب القول بحليته على جميع المسلمين اما الالتزام بانه لا يشرب منه قطرة واحدة ـ لأنه يعتقد حرمته لوُجود الدليل قطعاً ـ ومع ذلك لا يفتي بالحرمة حفظاً لكرامة صحابي قد شربه فهذا شيء غريب مستهجن لا يصدر من عوام الناس فضلاً عن فضلائهم فكيف يصدر عن فقهاء في مرتبة ابي حنيفة الذي يعد من أئمة اهل السنة وفقهائهم الاجلاء.

انظر كيف اراد ان يصحّح خطأ بعض الصحابة بهذا الاسلوب الشاذ انه لا يستطيع ان يصحّح فعل هذا الصحابي الا بأن يمتنع عن ابداء الحكم الصريح واضحى الصحابي عنده اعظم قيمة من احكام الله وارفع شأناً وهذا امر يرفضه الاسلام ويأباه فإنه جاء ليسير الناس وفقاً لاحكامه وتشريعاته لا ان يسير الناس وراء

الصحابي الذي مهما ارتكب وفعل وجب تصحيح افعاله واقواله وان خالف السماء وعصى الاله.

إن تصحيح افعال بعض الصحابة الشاذة كانت احدى الركائز التي دفعت بالقوم الى القول بعدالة الجميع بل لعلها اهم الاسس التي انطلقت من اجلها فكرة القول بعدالتهم، فانهم اصطدموا بامور تتنافى والدين قد ارتكبها بعض الصحابة وكبُر عليهم ان يضعوا النقاط على الحروف لأنها تؤدي الى سقوط عدد من الصحابة فصوناً لهم عن ذلك اختلقوا لهم العدالة تارة والاجتهاد اخرى ولكن بان الصبح لذي عينين وفضحت طلعته فحمة الدجى واتضح الحق وحصحص بنوره وتفتحت العقول وانشرحت الصدور وبات الاحتجاج بـ (قال شيخي كذا وحكم شيخي بكذا.. لم يعدله وزن او قيمة الا اذا وافق الحق والصواب)،.

والمنصف لا يحتج بهفوات العلماء وسقطاتهم اذا علم انهم اخطاؤا في حكم او لم يحالفهم الصواب في مورد اجتهدوا فيه فلعل لهم عذر في ذلك يرضاه الله. ولكن ما عذر من تأخر عنهم ان بان لهم خطأهم.

إن منطق الانصاف يقتضي منا ان نعترف ان بعض الصحابة قد وقع في المعصية والانحراف صوناً لأحكام الله التي خاف ابو حنيفة من ابدائها ـ صوناً لكرامة صحابي قد شرب المسكر وبذلك نحقق ارادة الله ونضع الامور في نصابها..

إن فكرة القول بعدالة الجميع تصحح كل افعال عثمان المخالفة للاسلام وتصحّح افعال كل الصحابة الذين وقفوا في وجهه وناهضوه بل قتلوه. انهم كلهم رضي الله عنهم ورضوا عنه، القاتل والمقتول في الجنة، علي ومعاوية، عمار وعمرو، ابو ذر وعثمان، الظالم والمظلوم، كلهم عدول ثقاة اعجب وتعجب واضحك من عقول قد تعطلت عن التفكير ووصل بها الاسفاف والعقم الى هذا المستوى.

ان فكرة القول بعدالة جميع الصحابة هي التي يتماسك بها اهم صروح المذهب السني فحق لأربابها ان يشدوا عليها بالنواجذ وان ادى ذلك الى تعطيل الفكر وشله فانهم بعد ان زحزحوا الخلافة عن رواسيها وازالوها عن اربابها ولم يتمسكوا بعترة النبي وآله الذين عصمهم الله من الزلل وأمنهم من الفتن بعد ان كان ذلك الانحراف وجدوا الاختلاف والخلاف بين الصحابة وكان ذلك يخرج الكثير منهم عن جادة الهدى ولا يبقى لهم من ينقل اليهم احكام الاسلام وتشريعاته عمدوا الى القول

بتعديل الجميع وقبول كل ما يرويه الصحابي وان كان الطاغية معاوية والماكر عمرو بن العاص والمجرم بسر بن ارطأة واضرابهم.

الآثار السيئة للقول بعدالة جميع الصحابة:

إن القول بعدالة جميع الصحابة قد تركت آثاراً سيئة ومداليل لا يمكن رفعها فقد فتحت على الدين ابواباً اساءت من خلالها لنبي الاسلام وللاسلام وللصحابة وقد تكثّرت الحملات وتكثفت ممن في قلوبهم مرض للنيل من هذا الدين ويمكن ان اذكر بعض تلك الخلفيات السيئة التي تركها القول بعدالة جميع الصحابة.

١ ـ باعتبار ان السنة هي المصدر الثاني الذي يرجع اليه المسلم عندما يريد ان يعرف حكماً شرعياً على حقيقته ولا يجوز ان ينفرد باستنتاج الحكم من الكتاب فحسب اذ لعل بيان الرسول كان مقيداً لما في الكتاب او مخصصاً او ناسخاً او غير ذلك وهذه السنة قد نقلها الى الاجيال المسلمة اصحاب النبي الذين تشرفوا بخدمته وسعدوا بلقائه وباعتبار انهم ليسوا كلهم عدول ثقاة بل فيهم كما عرفنا من لا يزن ايمانه جناح بعوضة فأخذ في اختلاق الأحاديث عن رسول الله كما حدث ذلك لأبي هريرة حيث واتته الفرصة وانفتحت الدنيا امام عينيه بعد افول واتسعت رقعتها بعد ان ضاقت عليه من الجوع فعندما جاء القوم فعدلوا جميع الصحابة كان لا بد من الأخذ بجميع مروياتهم وقد قلنا ان فيها ما هبّ ودبّ فيها الصادر عن النبي (ص) الذي نقله الصحابي الثقة العدل وهو صحيح سليم مكانه القبول لأنه ضمن العقول، ومن جهة اخرى فيها الدخيل الذي اختلقه من لا دين له ولا ضمير فعندما عدلنا الجميع وقفنا على احاديث تخالف العلم الصحيح والعقل السليم فرمانا الناس بالرجعية ولديننا بالخرافة وكانت نتائج القول بالتعديل جريمة في حق الاسلام اساءت لرسول الله وسنته وما قيمة صحابي جلف بوال على عقبيه امام كرامة رسول الله واي كرامة لأحد اذا اهدرت كرامة رسول الله وقال عنه بعض الناس ما لا يليق بمقام النبوة وسمو منزلتها، فلنقف على الحقيقة فنعدل من الصحابة الثقة الورع ونفسق ونطعن من خان ومان وحاد عن طريق العدل والايمان كي نحفظ بذلك كرامة نبينا وجدة اسلامنا وصحة ديننا.

ففي هذا التعديل:

١ ـ جناية على رسول الله وخير خلقه بنسبة ما لا يليق به اليه وهو بريء منه من

الاحاديث المزيفة الباطلة.

ب - جناية على الصحابة جميعاً حيث سرى الشك من الطالح الى الصالح واخذ الناس يتهمون سائر الصحابة بنقلهم عن نبيهم خلاف ما قاله.

ج - اتهام الدين بأنه دين الخرافات يؤمن بما خالف العلم والعقل واذكر شاهداً على ذلك ما نقله البخاري في صحيحه عن ابي هريرة ان النبي قال: إذا وقع الذباب في اناء احدكم فليغمسه كله فإن في احد جناحيه داء والآخر شفاء.

انظر بنفسك الى مدى السخافة والسقوط الذي وصل اليه الراوي واحكم هل يوافق العلم على هذا؟

وهل تُقبل النفس على طعام سقطت فيه جناح ذبابة قهراً فكيف اذا غمسها الانسان بنفسه كلها، وهل يصدق ان ذلك قد نطق به رسول الله او تحدث به.. كلا.. ثم كلا..

هل من الخدمة للاسلام ان نسكت عن ذلك ونطعن الاسلام في الصميم بهذه المرويات الباطلة ام من الأجدر بنا ان نقف في وجه ابي هريرة ونسقطه عن الاعتبار فنحفظ بذلك طُهر الاسلام ونزاهة احكامه وكرامة الرسول واجلاله.

رواية الصحابي ومقدار قبولها لدى الشيعة

إن الأدلة على الحكم الشرعي لدى الشيعة اربعة الكتاب والسنة والاجماع والعقل، .

فالكتاب قطعي السند متواتر لفظاً، محفوظ عن الزيادة والنقصان ـ انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون ـ وما ينسب الى السنة او الشيعة من الزيادة او النقيصة فهي اقوال نادرة واراء شخصية لاصحابها لا يعتمد عليها ولا يعتد بها. وما ورد من الروايات في ذلك فمؤول وله محامل تذكر في محلها واما السنة فهي قول المعصوم وفعله وتقريره وهي حجة على الناس وعدل للقرآن في اثبات الاحكام الشرعية فالنبي وظيفته ان يشرح مدلول الآيات القرآنية بعد ان يتلقاها من ربه ويشرّع للناس بأمر الله ما يريده الله تعالى وقد جعل الله لرسوله من الحجة ما جعله لكتابه فقال تعالى: **﴿وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا﴾**[1]، وبذلك وجب على جميع الناس ان يتخذوا قول الرسول وفعله وتقريره حجة شرعية تعذيراً وتنجيزاً.

المراد من هذه المصطلحات

قول الرسول: هو الكلام الذي تكلم به النبي من امر ونهي على نحو الوجوب او الاستحباب وغيرها كأكثر الاحكام التي وردت عنه صلوات الله عليه في الطهارات والصلاة والزكاة والخمس والحج الى آخر فروض الشريعة القولية مثل ان يقول النبي (ص) كما في المرفوعة (جعلت لي الأرض مسجداً وطهوراً) في مقام بيان جواز السجود على الأرض والتيمم بها.

فعل الرسول: وفعل الرسول حجة كما لو رأيناه يصلي بعد صلاة العصر شيئاً من النوافل فأنا نعلم ان هذا شيئاً راجحاً بناء على ان الرسول لا يفعل المكروه ولا المباح ويكون فعله حجة بيد من اراد اداء النوافل في ذلك الوقت.

واما التقرير: كأن يرى النبي بعض الناس على فعل فيتركه دون ان ينهاه عنه

---

١ ـ الحشر/٧ .

مع توجهه اليه وعلمه بفعله وامكان ردعه لو كان مخطئاً وهذا التقرير منه صلوات الله عليه حجة يدل على جواز فعله.

بأحد هذه الامور الثلاثة تتحقق سنة المعصوم وقد تكفل الصحابة بنقل هذه السنة الينا فوتّدوا اركان هذه الشريعة وأمنتْ من الضياع والاندراس ولولاهم لما وصل الينا من احكام الشريعة ما يفي بمتطلبات الحياة ولم يكن لنا هذا الفقه المحيط الذي تعرض له الرسول وبينه بأمر الله وحكمه، .

ولكن الصحابة بما انهم ليس كلهم عدولاً وثقاة بل كما تقدم ومرَّ معنا ان منهم المنافق ومنهم الذي ارتد، منهم الكذاب الفاسق ومنهم الثقة المأمون على الدين والدنيا ومنهم غير ذلك، فإن الشيعة هنا تقف موقف كل العقلاء، موقف الانسان الواعي المتبصر الذي لا يأخذ معالم دينه من اي انسان كان، لأن الانسان لو اخذ بكل خبر ورواية سواء كان راويها ثقة او غير ثقة ما يؤمنه ان يكون الراوي وضاعاً مختلقاً كما ثبت ذلك في حق ابي هريرة وغيره فيكون المتعبد بهذا الخبر ليس متعبداً بقول رسول الله بل متعبداً بقول هذا الانسان غير الثقة وهذا لا مبرر له ولم يأذن الله به اذ لم يُجعل قول احد من الناس حجة على الآخرين الا قول رسول الله المستمد نفوذه من اذن الله له وجعله حجة. وهذه الطريقة من الأخذ بخبر الثقة فقط، خبر من ثبت وثاقته هو ما عليه السيرة العقلائية فانا رأينا العقلاء لا يأخذون بقول كل مخبر ثقة وغير ثقة بل نجدهم يبحثون عن احوال الانسان فإن كان ثقة صادقاً اميناً اخذوا بقوله والا فانهم يتثبتوا في الاخذ بما اخبر عنه حتى يتضح حاله وعلى هذه الطريقة سار الشيعة في قبولهم ورفضهم لكل ما نقله اصحاب النبي (ص) فان كان ثقة اميناً اخذوا بقوله حتى لو كان من المخالفين لهم في المذهب، واكبر شاهد على ذلك ما عليه عملهم من الاخذ بخبر غير الشيعي اذا كان ثقة.

إن الشيعة تريد ان تتدين بدين الله الذي جاء به محمد بن عبد الله رسول الله وخاتم النبيين لأنه هو الحجة والدين وهذا لا يثبت الا اذا نقله الرواة الثقاة عنه الذين ثبتت وثاقتهم وعُلمت امانتهم، ومن هنا يختلف الامر وتتعدد وجهات النظر ويكون لكل انسان عذره امام الله فإن قبول الشيعة لما يرويه فلان فلأنهم يثقون بقوله وهو عندهم ثقة ويرفضون قول فلان ولا يقبلونه لانه غير ثقة او لأن

وثاقته لم تثبت عندهم، وهذا ليس شذوذاً او انحرافاً عن الطرق الانسانية والمسالك العقلائية بل هي من صميم السلوك البشري المستقيم، ولذا نقول لأخواننا السنة ونطرح عليهم هذا السؤال: ماذا تقولون في رواية من لم تثبت وثاقته عندكم؟ بل ماذا تقولون في رواية من ثبت فسقه؟ لا اشكال ولا ريب ان الجواب سيكون اننا لا نعمل بمثل هذا الخبر الذي يرويه الفاسق أو من لم تثبت وثاقته ويكون لهم الحجة في الرفض وعدم العمل بقوله، واذا كان ذلك هو جوابهم وعذرهم فيكون نفسه هو جوابنا وعذرنا عندما لم نعمل باخبار من لم تثبت وثاقتهم عندنا.

والنتيجة المستخلصة من هذا البيان: ان الشيعة تعمل باخبار الثقاة من الرواة، صحابة كانوا ام تابعين ام غيرهم اذا نقلوا ذلك عن رسول الله وترفض اخبار من علم انه غير ثقة، وتتثبت في اخبار من لم يعلم حاله حتى ينجلي امره وهذا الرأي هو اعدل الآراء واصوبها واقربها للحقيقة واحوطها على الدين، خصوصاً وان النبي خطب وقال: ستكثر عليّ الكذابة فمن كذب علي فليتبوأ مقعده من النار، وبالاخص وقوع اعداد كبيرة بين ايدينا ممن ثبت انحرافهم وعدم امانتهم،هذاهو رأي الشيعة، العمل بخبر من تثبت وثاقته عندهم .وافقهم على مذهبهم ام خالفهم فان المناط في القبول والرفض للرواية هو هذا فحسب. ولو جئنا للمخالفين من اهل العامة ـ نستنطقهم في قبول رواية الشيعي لأخذتنا الدهشة عندما يكون التشيع سبباً لرفض الرواية وان كان الراوي من الثقاة الاجلاء والأعيان الكبار وتلك كتب الجرح والتعديل عندهم قد رفضت قبول الكثير من الروايات وجرحت كثيراً من الرواة لأنهم شيعة او لأن ناقليها ممن تشيع او روى فضائل الامام علي واهل البيت الكرام، انهم ليس بهم علة الا تشيعهم فكان التشيع جريمة تُسقط الانسان عن الاعتبار وان كان من اوثق الناس واعدلهم واحوطهم على الاسلام والدين.

وهذا نموذج ممن جرح لتشيعه فحسب.

١ ـ فهذا ثوير بن ابي فاختة سعيد بن علاقة مولى ام هاني وقيل مولى زوجها جعدة جاء في تهذيب التهذيب ما حاصله: كذبه قوم وضعفه آخرون ووهنه

وتركه غيرهم وقال يونس عن ابي اسحاق[1] كان رافضياً وقال البزار حدث عنه شعبة واسرائيل وغيرهما واحتملوا حديثه كان يرمى بالرفض، وقال العجلي هو وابوه لا بأس بهما وفي موضع آخر : ثوير يكتب حديثه وهو ضعيف، وقال الحاكم في المستدرك ـ وهو من السنة ـ لم ينقم عليه الا التشيع ـ فانظر كيف اسقط الرجل عن الاعتبار واسقطت روايته عن القبول لتشيعه فحسب دون ان يكون به علة اخرى. .

٢ ـ الأصبغ بن نباتة كان على شرطة الامام علي قال ابن حبان فتن بحب علي فأتى بالطامات فاستحق الترك وقال ابن عدي : عامة ما يرويه عن علي لا يتابعه احد عليه وهو بين الضعف وقال ابن سعد : كان شيعياً وكان الضّعف في روايته.

فانظر الى هذا العظيم كيف اسقط نقله لأنه من خواص علي وناقل فضائله، ما اعظم الجرم واكبر التهمة انه احب علياً، وقدمه على الصحابة، انها سيئة لا يغفرها النصاب واعداء علي، ان هناك الكثير من الثقاة قد سقطوا عن الاعتبار لأنهم احبوا علياً او اتُهموا بحبهم والتشيع له، واما من ابغض علياً ونصب له العداوة بل حاربه وقاتِله فهو من الثقاة في نظر القوم المعمول برواياتهم المعتمد عليهم ولو اردنا استيعاب ذلك لضاق المجال.

١ ـ عمر بن سعد بن ابي وقاص قال في تهذيب التهذيب بعد ذكره له ولروايته ولمن روى عنه ما لفظه : روى عنه الناس وهو تابعي ثقة وهو الذي قتل الحسين.

هكذا تكون الثقاة ومن هؤلاء يؤخذ الدين، قاتل الحسين ابن بنت رسول الله وسبطه يوثقه المنحرف ويعمل بخبره لأنه قتل الحسين وسبى عياله، فهل هناك مصيبة اعظم وخطب افدح من دين يؤخذ من امثال عمر بن سعد قاتل الحسين، لهم دينهم ولنا ديننا نحن نأخذ ديننا عن علي بن ابي طالب صنو رسول الله وباب مدينة علمه وهم يأخذون دينهم من قتلة ابناء الأنبياء.

٢ ـ مروان بن الحكم الوزغ ابن الوزغ قد عدله القوم وعملوا برواياته وهو الذي كان سبب قتل الخليفة عثمان وهو الذي رمى طلحة يوم الجمل فقتله وهو صاحب المنكرات والموبقات، .

---

١ ـ العتب الجميل ص ٧٩ .

وهناك الكثير من النّصاب والضّلال قد قبل القوم رواياتهم لسنا بصدد احصائهم او التعرض لتعدادهم وما ذكرناه انما كان لاجل التنبيه على التعصب المذهبي الأعمى الذي قاد الجماعة الى توهين رواية الراوي لأنه شيعي فحسب دون ان يوهنوا رواية اي انسان آخر ينتمي الى اي مذهب كان ولو كان ناصبياً او خارجياً ملحداً

سنة الصحابي وحجية قوله:

بعد ان تبيّن ان السنة التي يجب التعبد بها عبارة عن قول المعصوم وفعله وتقريره لأنها هي الحاكية لارادة الله وحكمه يظهر لنا زيف الاحتجاج بقول الصحابي الذي لا يعكس ذلك بل يظهر لنا عدم الاحتجاج بقول احد من الصحابة اذا كان قوله رأياً شخصياً له دون ان يسنده لرسول الله وسنته لأن الصحابي اذا افتى بفُتية او حكم يحكم دون ان يكون له مستند من كتاب او سنة فهو قول بشر يعرض عليه الخطأ ولا يؤمن من الزلل.

وقد خالف في ذلك اهل السنة فقالوا: ان سنة الصحابي حجة فإذا افتى الصحابي بحكم وجب متابعته ولا يجوز الخروج عن قوله خصوصاً اذا لم يكن له مخالف من الصحابة.

قال الاستاذ محمد عجاج الخطيب في كتابه[1] اصول الحديث:

السنة وعمل الصحابة: فقد يطلق العلماء لفظ السنة احياناً على ما عمل به اصحاب رسول الله (ص) سواء أكان ذلك في القرآن الكريم ام في المأثور عن النبي (ص) ام لا لكونه اتباعاً لسنة ثبتت عندهم او اجتهاداً مجمعاً عليه منهم.

ومن ابرز ما ثبت في السنة بهذا المعنى حد الخمر وتضمين الصناع وجمع المصاحف في عهد ابي بكر برأي عمر رضى الله عنهما وحمل الناس على القراءة بحرف واحد من الحروف السبعة وتدوين الدواوين وما اشبه ذلك مما اقتضاه النظر المصلحي الذي اقره الصحابة رضوان الله عليهم اجمعين وقد استدل على حجية قولهم بقوله:

ومما يدل على اطلاق السنة بهذا المعنى قوله (ص) : عليكم بسنتي وسنة الخلفاء المهديين الراشدين تمسكوا بها وعضوا عليها بالنواجذ.

وقوله (ص) تفترق امتي على ثلاث وسبعين فرقة كلها في النار الا واحدة.

قالوا: ومن هم يا رسول الله؟:

قال: ما انا عليه واصحابي:

---

١ ـ اصول الحديث ص ٢١ .

ونقول: ان هذه الاحاديث غير صحيحة لا يمكن تصديقها والاعتماد عليها لعدة امور.

الأول: ان تصديقها يؤدي الى عصمة الصحابة وهذا شيء مرفوض لم يوافق عليه المسلمون بل لم يدّعه احد منهم اذ معنى جعل قول احد الاشخاص او تصرفه ـ بشكل دائم ومستمر ـ حجة على الآخرين يرادف عصمته.

الثاني: ان الحديث الاول يختص بالخلفاء المهديين الراشدين فالدليل اخص من المدعى لأن الكلام في سنة الصحابة اجمعين ـ حتى من رأى النبي مرة او سمع منه حديثاً واحداً ـ وان كل عمل من احدهم يكون سنة.

الثالث: إن سنة الصحابة مختلفة فقد يذهب احدهم الى وجوب شيء والآخر الى عدم وجوبه بل قد يتعدد الحكم ويختلف من الشخص الواحد في مسألة واحدة، فتارة يحكم بشيء واخرى ينقضه ويفتي بضده، .

وهذه نماذج لتلك الاحكام المتناقضة المختلفة المتباينة التي ذهب فيها احد الصحابة الى شيء والآخر الى خلافه مع ان المسألة لا يمكن ان تقع محلاً لحكمين متباينين.

١ ـ سيرة الخلفاء ومدى تباينها وتناقضها.

أ ـ هذا خالد بن الوليد ـ وهو من الصحابة ـ قتل مالك بن نويرة ـ وهو صحابي ـ المسلم التقى ثم نزا على امرأته في ليلته وعندما عاد خالد الى المدينة ودخل المسجد وكان عليه قباء معتجراً بعمامة له قد غرز فيها اسهماً تقدم منه عمر بن الخطاب فانتزع الاسهم وحطّمها.

ثم قال له: ارئاء؟ قتلت امرءاً مسلماً ثم نزوت على امرأته، والله لأرجمنك باحجارك وخالد لا يكلمه...

وقد قال عمر لأبي بكر: ان خالداً قد زنى فارجمه.

قال: ما كنت لأرجمه، انه تأول فأخطأ.

قال: انه قتل مسلماً فاقتله.

قال: ما كنت لأقتله به انه تأول فأخطأ، فلما اكثر عليه.

قال: ما كنت لأشيم سيفاً سله الله تعالى، وودى مالكاً من بيت المال وفك الاسرى والسبايا من آله.

فانظر رحمك الله الى هاتين السيرتين المتناكرتين المختلفتين فبأيهما نأخذ: هل نأخذ بسيرة عمر؟! ام بسيرة ابي بكر؟! امَ نرجع ادراجنا الى كتاب الله وسنة رسوله دون السير وراء السراب الذي لا يصل بنا على احسن التقادير الا الى الخراب والبوار والضلال ـ ولكل قوم مذهب وامام ـ

ما معنى انه سيف سله الله؟ هل سله لقتل عباده المؤمنين من اجل ترات قديمة واحقاد ماضية او من اجل شهوة اراد قضاءها؟ الله اكبر ما اعظمه من ذنب، وما اخفه من عقاب هكذا منطق الصحابة يكون، . وهذه حجية اقوالهم. .

فهل من المعقول ان يعبدّنا الله بسيرة الرجلين مع ما فيهما من اختلال وعدم استقرار. . . . قد تجيزها العقول التي تقبل المستحيلات وتخلق المعجزات للصحابة، اما عقول البشر وقواعدهم فلا تقبل ذلك ولا تذعن به او تؤمن بمدلوله.

ب ـ ان ابا بكر قد ساوى في العطاء بين المسلمين فلم يميِّز بين العربي والاعجمي بين القرشي وغيره بين المهاجري والانصاري ولكن عمراً عندما تولى الخلافة فاوت فيها بين الناس، فقد اعطى العباس بن عبد المطلب ثلاثة آلاف وكذلك كل من شهد بدراً من قريش واما من شهد بدراً من الانصار فقد جعل له اربعة آلاف وهكذا. . ولأهل مكة من كبار قريش مثل ابي سفيان بن حرب ومعاوية بن ابي سفيان في خمسة آلاف ثم قريش على منازلهم ممن لم يشهد بدراً، ولامهات المؤمنين ستة آلاف ولعائشة وام حبيبة وحفصة اثني عشر ألفاً ولصفية وجويرية خمسة آلاف وهكذا رتّب الناس حتى وصل الامر الى ربيعة فجعل لكل فرد مائتين.

وقال: لا اجعل من قاتل رسول الله كمن قاتل معه.

فنحن ازاء هاتين السيرتين وامامنها كيف نعمل؟ هل نساوى بين الناس؟ فنقتدي بمن ساوى ام نفاوت بينهم ونقتفي اثر عمر؟ انهما سنتان لا يمكن الجمع بينهما ولا يمكن ان يكون الحق فيهما معاً، فأيهما نسقط وبأيهما نأخذ.

ج ـ اخرج الشيخان عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: صلى بنا رسول الله (ص) بمنى ركعتين وابو بكر بعده وعمر بعد ابي بكر وعثمان صدراً من خلافته رضي الله عنه، ثم ان عثمان صلى بعد اربعاً فكان ابن عمر اذا صلى مع الامام صلى اربعاً واذا صلى وحده صلى ركعتين فهذه سنة عثمان والقوم يقولون

بحجيتها فهل نعمل بمضمونها ام نعمل بمضمون عمل السابقين عليه وفيهم النبي (ص).

لا بد وان يقول القوم ان سيرة من تقدمه هي الحجة ولا قيمة لسيرة عثمان وطريقته، فانها بدعة محرمة مخالفة لعمل الرسول المشرع ومخالفته لا تجوز في اي حال من الاحوال.

هذه نتف من مخالفة الصحابة بعضهم لبعض، والمخالفات كثيرة وكثيرة جداً لا يمكن الاتيان عليها في هذه العجالة، وليس احصاؤ ها مراداً لنا او مقصوداً وانما اردنا ان ندلل على مدى الاختلاف بين افعال الصحابة المؤ دي الى عدم اتخاذ فعلهم حجة بحق من يأتي بعدهم.

يضاف الى ذلك ان بعض الصحابة قد فعل اموراً وتمنى ان لا يكون قد فعلها مما يكشف عن عدم جزمه بصحتها شرعاً، فكيف يأتي مَنْ بعدَه فيتخذها سنة يبني عليها عمله ويصحح شرعيتها كما وقع ذلك لأبي بكر في مرضه عندما دخل عليه عبد الرحمن بن عوف فوجده مهتماً فطيب خاطره بكلمات.

فقال ابو بكر: اجل اني لا آسي على شيء من الدنيا الا على ثلاث فعلتهن وددت اني تركتهن وثلاث وددت إني فعلتهن وثلاث وددت إني سألت عنهن رسول الله (ص):

فأما الثلاث اللاتي وددت اني تركتهن: فوددت اني لم اكشف بيت فاطمة عن شيء وان كانوا قد غلقوه على الحرب ووددت إني لم اكن حرقت الفجاءة السلمي واني كنت قتلته سريحاً او خليته نجيحاً، ووددت إني يوم سقيفة بني ساعدة كنت قد قذفت الامر في عنق احد الرجلين يريد ـ عمراً وابا عبيدة ـ فكان احدهما اميراً وكنت وزيراً.

واما اللاتي تركتهن فوددت إني يوم اتيت بالاشعث بن قيس اسيراً كنت ضربت عنقه فإنه تخيّل اليَّ انه لا يرى شراً الا اعان عليه ووددت إني حين سيّرت خالد بن الوليد الى اهل الردة كنت اقمت بذي القصّة فإن ظفر المسلمون ظفروا وان هُزموا كنت بصدد لقاء او مدد، ووددت إني اذا وجهت خالد بن الوليد الى الشام كَنت وجهت عمر بن الخطاب الى العراق فكنت قد بسطت كلتيهما في سبيل الله ومدّ يديه.

وودت إني كنت سألت رسول الله (ص) لمن هذا الامر؟ فلا ينازعه احد

ووددت إني كنت سألته هل للانصار في هذا الامر نصيب؟ ووددت إني كنت، سألته عن ميراث ابنة الاخ والعمة فإن في نفسي منهما شيئاً.

فاننا نجد ان ثلاثة من هذه الامور التسعة قد عمل بها الخليفة دون ان يفقهها فلذا تمنى تركها، انه عملها وهو في شك من صحتها فكيف يجوز لغيره ان يتخذ عمله سنة يحتج به امام الله، .

إن من يعمل عملاً وهو على شك من صوابه كيف يستطيع غيره ان يتخذه اماماً في ذلك العمل وكيف تطاوعه نفسه ان يسير وراء شيء مشكوك لم يؤمن صاحبه بصحته وصوابه.

ورابعاً: وختاماً نقول ان علياً عليه السلام رفض الخلافة الاسلامية ورئاستها العامة عندما اقترنت بشرط الالتزام بسيرة الشيخين ابي بكر وعمر حيث قال له عبد الرحمن بن عوف: ابايعك على كتاب الله وسنة رسول الله وسيرة الشيخين ابي بكر وعمر.

فقال: بل على كتاب الله[1] وسنة رسوله واجتهاد رأيي فعدل عنه الى عثمان فعرض عليه ذلك فقال: نعم.

فعلي وهو افضل الصحابة واعلمهم، اعظمهم واتقاهم اشدهم التزاماً بالاسلام وحيطة عليه لو كان يرى حجية سيرة الصحابة لقبل سيرة الشيخين وهما من طلائع الصحابة ووجوههم لو كان يرى حجيتها لقبل الخلافة بهذا الشرط ولاذعن بالرضا ولكنه علي الذي لا يرى قول احد من البشر ولا سيرته حجة عليه يرفض الخلافة لانها اقترنت بما يخالف الدين والشريعة وهذا وحده يكفي لدفع ما احتج به القوم على حجية سيرة الصحابة إن السيرة التي تكون حجة هي سيرة المعصوم الذي لا يخطىء ولا ينحرف انها فقط السيرة التي يجب التعبد بها دون غيرها من السير التي يتعرض اصحابها للخطأ والزلل. . .

---

١ ـ ابن ابي الحديد ج ١ ص ١٨٨ .

الاجتهاد

باعتبار ان الكثير من صحابة النبي قد أُعتِذر لهم عما ارتكبوه من افعال سيئة او اقوال شائنة او انحراف عن الطريق بانهم مجتهدون، والمجتهد ان اصاب فله اجران وان اخطأ فاجر واحد فيجب ان نتعرض للاجتهاد ونقف على عدة امور لها مساس به وهي:

ما معنى الاجتهاد؟

وما هي مقومات الاجتهاد وشروطه؟

ثم بعد العرض السريع لهذه التساؤلات يحسن بنا ان نقدم بعض النماذج للاجتهاد السليم الذي اباحه الشرع وبعض النماذج الاخرى للاجتهاد المنحرف الذي لم يأذن به الله ولا رسوله الكريم.

معنى الاجتهاد

عرِّف الاجتهاد بتعاريف كثيرة لم يسلم واحد منها من الاشكال عليه واحسن ما عرف به واسده تعريف السيد الاستاذ آية الله الخوئي دام ظله فقد عرفه

«باستفراغ الوسع في تحصيل الحجة على الاحكام الشرعية او تعين الوظيفة عند عدم الوصول اليها»

فإن هذا التعريف اكمل من تعريف الحاجبي الذي عرفه

«بأنه بذل الوسع واستفراغه لتحصيل الظن بالحكم الشرعي»

لأنه يرد عليه:

أولاً: ان الظن ليس بحجة فلا يعتد بما يظنه الانسان ان لم تقم حجة قطعية على حجية هذا الظن.

وثانياً: ان العامة والخاصة تعمل بما يكون حجة من الادلة وان لم يفد الظن وهناك نقوض اخرى تمنع من قبوله.

ما هي مقومات الاجتهاد:

كي يصبح الانسان مجتهداً يجب ان يدرس ويتعلم ويتفقه حتى يصل الى مرتبة

تؤهله لاقتناص الحكم من الادلة الشرعية. وعملية الاجتهاد تتوقف على عدة علوم يجب على الفرد تحصيلها وهي:

علم الكلام: والمعتبر منه ما يعرف به الانسان ربه وصفات الله الجلالية والكمالية وعدله وحكمته والنبوة ودليل عصمتها كي يحصل الوثوق بقول النبي (ص)

علم الاصول: والمعتبر منه ما يعرف به ادلة الاحكام من الامر والنهي والعام والخاص والمطلق والمقيد وغير ذلك مما هو مطروح في امهات الكتب الاصولية التي حققها علماؤنا واجتهدوا فيها فبلغوا قصبة السبق.

علم النحو والتصريف: والمعتبر منه معرفة ما يختلف المعنى باختلافه ليحصل بسببه معرفة المراد من الخطاب ولا يعتبر الاستقصاء على الوجه التام بل على نظر الشهيد الثاني يكفي منه الوسط فما دون.

علم اللغة: والمعتبر منه ما يفهم به كلام الله المنزل وكلام الرسول، اما بحفظه او بالاحتفاظ بما يرجع اليه عند الحاجة. وهذا المطلب يحتاجه حتى العربي من الناس لأنه لا يحيط بجميع مواد اللغة.

الاصول الاربعة: الكتاب والسنة والاجماع والعقل.

اما الكتاب: فيجب ان يعرف الانسان منه آيات الاحكام وما يمكن ان يستفاد منها، .

واما السنة: فيجب ان يعرف منها كل ما اشتمل على الاحكام ويعرف سند الرواية وهل هو متصل او منقطع او مرفوع ويدرس حال الرواة ليعرف المجروح منهم من المعدل والفاسق من الثقة ويعرف بخبر من يأخذ ومن يدع.

واما الاجماع: فيعرف منه انه اذا افتى بحكم لا يكون مخالفاً لما انعقد عليه الاجماع ويعرف عدمه بوجود مخالف من الاولين وغير ذلك مما له مساس بانعقاد الاجماع وعدمه.

واما دليل العقل: فهو كل قضية عقلية يتوصل بها الى العلم القطعي بالحكم الشرعي كحكم العقل في مسأله الاجزاء ومقدمة الواجب وكاستحالة التكليف بلا بيان وتقديم الاهم في مورد التزاحم وغيرها من الموارد الاخرى.

وان فوق ذلك كله يشترط في الانسان كما يقول الشهيد الثاني ان يكون له قوة يتمكن بها من رد الفروع الى الاصول واستنباطها منها وهي العمدة . إن هذه المقدمات ليست سهلة المنال ولا يستطيع الوصول اليها كل من تمناها بل فيها من الجهاد والتعب والكدوالنصب ما لا يعرف طاقته الا من مشى في هذا السبيل واختط لنفسه هذا الطريق الذي لاقى اربابه وطلبته في سبيله ما يعجز القلم عن وصفه واللسان عن ذكره ويحدثنا القدماء من ساداتنا ومشايخنا بأمور هي اشبه بالكرامات بل مثل المعجزات من جراء ما لاقوه من السعي لتحصيل هذه العلوم الدينية. فقضوا شطراً من اعمارهم هو زهرة وجودهم في هذه الدار، قضوه في طلب هذه الرتبة ـ رتبة الاجتهاد ـ ولم تحصل للجميع بل حصل عليها بعضهم وفات الكثيرين منهم ادراكها، .

قال الشهيد الثاني عن هذه القوة بأنها بيد الله تعالى يؤتيها من يشاء من عباده على وفق حكمته ومراده وقال شيخنا الحجة المظفر في (عقائد الامامية) ما فحواه، ان رتبة الاجتهاد رتبة عالية لا ينالها الا ذو حظ عظيم وهي رتبة تحتاج الى كثير من المعارف والعلوم التي لا تتهيأ الا لمن جد واجتهد وفرّغ نفسه وبذل وسعه لتحصيلها.

حتى الرعاع يدعون الاجتهاد:

قد عرفنا ان طلب العلم مطلب رفيع وعظيم ولا يمكن ان يتحقق ذلك لمن اغلق بابه عليه واخذ نفسه برياضة روحية ونفسية او سياحة فكرية وصوفية او بحث عنه في قصص الغرام والاجرام او في الشوارع والطرقات بل ان لهذا العلم ابواباً من قرعها ولجّ ولج، ان لهذا العلم حملة واصحاب اختصاص، انهم العلماء العارفون بالله الذين وقفوا طويلاً امام مدارك الاحكام ومصادر الشريعة، انهم الامناء الذين وقفوا على ابواب اهل بيت العصمة فارتشفوا من معينهم وارتووا من علمهم، انهم الذين سهرت عيونهم طويلاً وامتدت جلسات مباحثاتهم حتى صياح الديكة واصوات المؤذنين صباحاً في استقصاء مسألة او البحث عن دليل حكم من الاحكام، انهم الذين تتبعوا الادلة المنصوبة لهم واستقصوها عن آخرها حتى استنتجوا هذا الحكم ووصلوا الى وجه الحق في مسألة ما.

ومع كل تلك الجهود ومع ما بذلوه في سبيل الحصول على الحكم الشرعي في تلك المسألة وقفوا على خوف يفتون في الحكم لانهم يخافون الله من التقصير في بلوغ

البحث مداه والاستقصاء ذراه بل كان منهم من يمتنع عن الافتاء احتياطاً لنفسه وخوفاً من عاقبة الحساب فقد كان يفرح عندما يتحمّل غيره عنه مسؤلية الافتاء لأن الافتاء في مسألةوبيانالحكم فيها ليس رأياً شخصياً يبديه صاحبه حتى يكون الاختيار له والامر بيده يتكلم كيف شاء بل هو يتكلم عن لسان الله ومراده بحسب ما وضعه بين يديه من الادلة فاذا قصّر في المقدمات التي يجب البحث فيها خاف عقاب الله وحسابه واما في هذا الزمن النكد والايام السيئة قد تغيرت الموازين وتنكرت الدنيا وانعكس الامر فانا اصبحنا نبصر الغرائب والعجائب وما يذهل العقول والالباب حيث اخذ المتطفلون على العلم بمجرد ان يحصل لأحدهم رأياً من قبل نفسه تراه يبادر ليفتي بمضمونه ناسباً ذلك لدين الله بل اذا استحسن امراً افتى به دون العودة الى كتاب الله وسنة رسوله بل تعدى الامر ذلك حتى وصل الى العوام والجهال والرعاع بل وربات الحجال فانك تجد كيف يتبرع الدجالون بفتواهم عند اول فرصة تسنح لهم وكأن الوحي قد نزل عليهم او اتاهم النبي فبلغهم ما ارادوا وطلبوا، تبت ايديهم وساء ما يفترون.

إن المتكلم باسم الاسلام والمفتي بحكم الله هو العالم بأحكام الله من ادلتها التي نصبها النبي له، فكل رأي لا يعتمد على ذلك ولا يستند اليه فهو رأي شخصي لصاحبه لا يجب التعبد به ولا العمل بمضمونه، وليرتدع كل المنافقين واصحاب الاهواء عن نسبة حكم الى الله دون ان يعتمد على الاصول المقررة له وليتقي الله كل من اراد ان يطوّع الدين للمصالح الوقتية والاراء المستحدثة التي لا تمت اليه بصلة وان الحكام قد استغلوا الاسلام لتثبيت حكمهم الجائر وآرائهم الفاسدة التي لا تمت الى الاسلام بصلة وقد انبرى بعض المستأجرين من رجال الدين الذين وظّفتهم الدولة وتبناهم الطاغوت عنده، قام هؤلاء الرجال بتسديد وتصويب ما اراد الحاكم الفاسق الذي يستحق الاعدام بحكم الاسلام وليس ببعيد عنا فُتيا تبني الاشتراكية وانها من الاسلام والاسلام منها بريء، انها «اشتراشيوعية» عدوة الاسلام والدخيلة على ارضنا وهذه فتيا مشايخنا اليوم في مصر بتبريك رحلة العار الى القدس المحتلة التي شُرد منها اهلها وسلبت ارضهم وطردوا عن ديارهم واوطانهم دون ذنب فعلوه او جرم اقترفوه.

إن الخائن برحلته وجد غطاءه الشرعي ممن وظّفهم لحسابه ومآربه ومثل هؤلاء غير مستحقين لأمانة الله وحمل الاسلام، مثل هؤلاء القوم قد نالتهم لعنة الله ولعنة

رسوله قبل اكثر من الف سنة ونبذهم الاسلام ولم يأتمنهم.

وهذا بخلاف علماء الاسلام الآخرين المستقلين في جميع شؤنهم الاقتصادية والمالية والسياسية والفكرية والدينية الذين لا يخضعون لحاكم ولا يلوون رؤسهم الا لجبار السماوات والارض، انهم وحدهم الامناء على رسالة الاسلام وهم وحدهم الذين يبدون رأيهم الحر رأي الاسلام الاصيل الذي لا يؤثر عليه غضب حاكم او سوط جلاد وما نراه من الضغوط على هذه القلة من خيار العلماء الا شاهد صدق على صدقهم وقولهم الحق فلذا نرى وقوفهم في صف المستضعفين والفقراء والمساكين ضد الحكام الطواغيت الذين لم يرعوا الا مصالحهم الذاتية وشهواتهم المادية وكم قدمت دماء وكم مزقت اشلاء وكم سلبت اموال وكم هدمت دور لهؤلاء الاخيار لأنهم وقفوا ضد الظلم والجور والعدوان الذي يمثله الحاكم الفاسد، والحق يقال ان قافلة الشهداء ودماؤها الزكية التي اهدرت في سبيل الاسلام وطريق الحق اجمل واكبر بكثير من مهادنة السلطة الظالمة الفاسدة او السير في ركابها لأننا بهذه الدماء نحفظ الاسلام من التلوث ونصون فكره من العبث به او اللعب بأحكامه..

إن الفتيا التي يرضاها الله هي التي تنطلق من اهلها الامناء. التي تنطلق من الفقيه الذي يطيع مولاه ويعصي هواه الذي يرعى الحق ويرضاه.

الاطار الذي يتحرك ضمنه الاجتهاد:

إن هذا الاجتهاد الذي تقدم معنا تعريفه وشروطه لا يمكن ان يجري في كل شيء بل هناك موارد يُحظر فيها الاجتهاد وتمنع ممارسته في ذلك النطاق كما في مورد، النص، فإن الإجتهاد في مورد النص محظور، ممنوع مثلاً لو ورد عن النبي نص في حرمة موضوع معين كما ورد النص الصريح في حرمة شرب الخمر والنبيذ والبيرة في طرف الحرمة او ورد النص الصريح في وجوب شيء كما ورد في وجوب الصلاة والصوم والزكاة والخمس فان الاجتهاد في ابطال الحرمة الثابتة او ابطال الوجوب غير جائز لأنه بمثابة رفض لقول النبي بل هو رفض حقيقة لما جاء به النبي وردٌ له وبذلك تنتفي فائدة البعثة التي من اجلها ارسل الله نبيه اذ ارسله لتبليغ احكامه وسننه فاذا جاز لأحد نقض ما هو صريح فيها لا يبقى اي حكم في موضعه الطبيعي مضافاً الى ان هذا المجتهد انما يريد ان يثبت حكم الله من خلال اجتهاده فإذا كان حكم الله في خلاف اجتهاده ـ في النص ـ فلا يلتفت الى مثل هذا الاجتهاد بل يكون من الاجتهاد

المحرم الذي يجتهد فيه المرء لاطفاء نور الله وشرعه وهذا باتفاق المسلمين محظور محرّم سواء كان النبي حياً ام ميتاً لأن ما ورد عن النبي من حلية شيء وحرمته يبقى كذلك الى قيام الساعة طبقاً لقوله (ص) حلال محمد حلال الى يوم القيامة وحرامه حرام الى يوم القيامة.

نموذج للاجتهاد الشريف:

وان عملية الاجتهاد يجب ان تكون مع النص حيادية بمعنى ان النصوص عندما تكون بين ايدي المجتهد يجب ان يكون موقفه اتجاهها كلها على مستوى واحد لا يجوز ان تشده رواسبه الى مطلب معين ولا هواه الى الاثبات او النفي مسبقاً بل يجب ان يتحلل من كل الميول والرغبات والتمنيات والاهواء والمصالح الشخصية ويبحث الادلة بحثاً وافياً كاملاً مستوعباً جميع جوانب المسألة المبحوث عنها وبعد اعمال القواعد الصناعية التي توصل الى صحتها، بعد ذلك اذا خرج بنتيجة معينة يكون ممن ادى الاجتهاد فأحسن ويكون معذوراً فيما توصل اليه من الاحكام والتشريعات، له اجر يثاب عليه ان اخطأ واجران ان اصاب.

وقد وقع لعلمائنا هذا النموذج من النزاهة والطهر ومثّلوا اروع عنوان للحياد في الاجتهاد، تصور ان احدهم اراد ان يبحث موضوع انفعال ماء البئر وهل ينجس بملاقاة النجاسة او لا، وكان في بيته بئراً فأمر بطمها وبعد ان فرغ من ذلك عمد الى بحث المسألة.

لماذا قام هذا العالم الفقيه بردم البئر؟.

لقد قام بردمها من اجل هدف عظيم، من اجل ان يحقق المسألة ويبحثها بشكل موضوعي من اجل ان لا تشده المصلحة الشخصية لطهارة بئره لاجلها ردمها وبحث المسألة.

ما اروع الاجتهاد الذي يستكمل شروطه وما اروع ما يتوصل اليه المجتهد من الاحكام اذ بها يطمئن الى خلاص نفسه وبراءة ذمته من تكاليف الله أو امراً ونواهٍ وهناك امثلة كثيرة لنزاهة علمائنا الاخيار قديماً وحديثاً اذ هم رمز الطهر والعفاف والعدالة والانصاف،.

نموذج للاجتهاد المنحرف الضال:

ذكر الزمخشري في تفسيره عند مروره بقوله تعالى في سورة الاحزاب ﴿**ان الله وملائكته يصلون على النبي يا ايها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليماً**﴾[1].

فإن قلت: فما تقول في الصلاة على غيره ـ على غير النبي.

قلت: القياس جواز الصلاة على كل مؤمن لقوله تعالى: ﴿**هو الذي يصلي عليكم**﴾ وقوله تعالى: ﴿**وصل عليهم ان صلاتك سكن لهم**﴾ وقوله (ص) (**اللهم صل على آل ابي اوفى**) ولكن للعلماء تفصيلاً في ذلك وهوانها ان كانت على سبيل التبع كقولك صلى الله على النبي وآله فلا كلام فيها واما اذا افرد غيره من اهل البيت بالصلاة كما يفرد هو فمكروه لأن ذلك صار شعاراً لذكر رسول الله (ص) ولأنه يؤدي الى الاتهام بالرفض وقال رسول الله (ص): من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يقفن مواقف التهم.

انظر بربك الى هذا الاجتهاد المقلوب، هذا الاجتهاد القياسي الذي لم يسبقه اليه ابليس، انه اجتهاد في مقابل النص الصريح ومن هم الروافض حتى لا يجوز موافقتهم فيما ثبت عن النبي مشروعيته وهل يجيز الزمخشري مخالفة الشيعة مطلقاً ويسرّي الحكم لكل ما ثبت عندهم وما اشتهروا به.

ـ لقد اشتهر الروافض بحبهم لعلي فهل للزمخشري ان تفيض قريحته ويقول ببغضه لعلي لعله قالها حيث اورد في تفسيره عند قوله تعالى في سورة ﴿**الم نشرح**﴾ ﴿**فاذا فرغت فانصب**﴾

قال: ومن البدع ما روى عن بعض الرافضة انه قرأ فانصب بكسر الصاد: اي فانصب علياً للامامة، ولو صح هذا للرافضي لصح للناصبي ان يقرأ هكذا، ويجعله امراً بالنصب الذي هو بغض علي وعداوته.

ما اجرأه على الله ورسوله وانتهاك حرمة الدين والشرع كبرة كلمة تخرج من افواههم الم يعلم الزمخشري بما صح عندهم من قول النبي كما في مستدرك الصحيحين لعلي: (ياعلي من فارقني فقد فارق الله ومن فارقك يا علي فقد فارقني)[2]

---

١ ـ الاحزاب / ٦٥.

٢ ـ مستدرك الصحيحين ج ٣ ص ١٢٣

فكيف بمن ابغض علياً لأن الروافض يحبونه ويأتمون به في دينهم، .

ولقد اشتهر الشيعة بحبهم لله ورسوله واطاعة اوامرهم ونواهيهم فهل للزمخشري ان يعاند الله ورسوله كي يخالف الشيعة، .

من السخف ان يعاند الانسان الحق ويرفضه لأن غيره قد تدين به وهل وجدت أضل ممن يترك سنة رسول الله لأجل ان اناساً يعملون بها، تبت يداك فبدلاً من ان تروّج لما جاء به الاسلام وما ثبت عن رسول الله كي تعم شريعة الله احكاماً واداباً المجتمع كله اذ بك تنقبض عن العمل بها وترفضها لأجل ان غيرك يعمل بها، . انه التعصب الاعمى والاجتهاد الشيطاني الذي يدعو حزبه ليكونوا من اصحاب السعير، . .

وان الزمخشري ليس وحده الذي ينهج هذا النهج من الاجتهاد فهناك حفدة ابي لهب الذين يعرفون الحق ويعملون بخلافه، مخالفة لله ورسوله

ان الغزالي يذكر في احدى مؤلفاته ولعله احياء علوم الدين ما مضمونه ان استحباب التختم باليمين ورد عن رسول الله (ص) ولكن بما ان الرافضة قد اتخذته شعاراً لها فصار الاستحباب في خلاف ذلك.

بربك فكر في هذا الاجتهاد؟ هل يُرفض قول ثبت عن رسول الله لأجل احد من الناس تدين به.

هل يعقل ان يسفّ الغزالي ذلك المفكر الكبير الى هذا الحد؟

نعم انها شطحات الحب المذهبي، والتعصب الذي يعمي الانسان عن رؤية الحق ويحجب المرء عن ادراك نور الله الذي به يهتدي المؤمنون.

متى ابتدأ الاجتهاد في مقابل النص:

قد يبدو لبعضهم ان يقول ان الاجتهاد في مقابل النص لم يكن في زمن النبي وانما جاءت بعض الحوادث المتأخرة التي ارتكب فيها هذا العمل الشنيع المخالف لقول رسول الله تبريراً لمواقف بعض الافراد وما عملوا من احداث. ولكن اذا ضربنا بنظرنا الى اسبق من ذلك لوجدنا ان لهذا الاجتهاد الباطل جذوراً قد كان يواجه بها النبي ويخالف امره من جرائه وكان صلوات الله عليه يستنكر ذلك ويبيّن

للناس بعض المواقف الخاطئة التي يجب ان يرجعوا فيها عن ضلالهم ولست في صدد بيان كل تلك الاجتهادات التي وقعت في مقابل النص وانما أضرب نموذجاً لها..

اخرج جماعة من اعلام الامة ومنهم احمد بن حنبل في مسنده من حديث ابي سعيد الخدري قال: ان ابا بكر جاء الى رسول الله (ص) فقال: يا رسول الله إني مررت بوادي كذا وكذا فاذا رجل متخشع حسن الهيئة يصلي فقال له النبي (ص) اذهب اليه فاقتله قال: فذهب اليه ابو بكر فلما رآه على تلك الحال كره ان يقتله فرجع الى رسول الله (ص) قال: فقال النبي (ص) لعمر اذهب فاقتله فذهب عمر فرآه على تلك الحال التي رآه ابو بكر عليها قال: فكره ان يقتله قال فرجع فقال: يا رسول الله اني رأيته يصلي متخشعاً فكرهت ان اقتله قال: يا علي اذهب فاقتله قال: فذهب علي فلم يره فرجع علي فقال: يا رسول الله إني لم اره قال: فقال النبي (ص): ان هذا واصحابه يقرأون القرآن لا يجاوز تراقيهم يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية ثم لا يعودون فيه حتى يعود السهم من فوقه فاقتلوهم هم شر البرية: وكان هذا الرجل هو ذو الثّدية رأس الخوارج الذي قال النبي فيه ان في وجهه لسفعة من الشيطان وهو نفسه الذي اقبل حتى وقف على النبي ومن معه فقال له رسول الله (ص) انشدك الله هل قلت حين وقفت على المجلس: ما في القوم احد افضل مني او خير مني؟ قال: اللهم نعم..

فإن هذا الموقف من الخليفتين يعد من الاجتهاد في مقابل النص فإن النبي يأمر امراً صريحاً بقتله فيعتذر كل منهما بأنه رآه يصلي وكأن موقف المصلي اقوى من امر النبي واشد فلذا اعتذرا عن قتله بما رأياه عليه من الصلاة.

وإن اقوى الاجتهادات واجرأها على مخالفة النص الصريح ما ثبت من ولاية الامام علي بالنص الصريح الذي قاله النبي في غدير خم الذي بلغ الحديث من المكانة ان تواتر بين الامة في جميع طبقاتها منذ صدوره من النبي حتى الآن هذا الحديث الذي قال النبي فيه بعد ان خطب في غدير خم عند مفترق طرق الحجيج الستم تعلمون إني اولى بالمؤمنين من انفسهم؟ قالوا : بلى : فأخذ بيد علي فقال: من كنت مولاه فعلي مولاه، اللهم وال من والاه وعاد من عاداه فتقدم عمر قائلاً: هنيئاً لك يا ابن ابي طالب اصبحت وامسيت مولى كل مؤمن ومؤمنة.

ولكن هذا النص الجلي على امامة علي دُفع باجماع السقيفة وبويع ابو بكر

فسبقت بيعته حق علي ووصية النبي واخذوا في تصحيح الخلافة لابن ابي قحافة بالاعذار الواهية والدعاوى الفارغة، التي لا تقوم في وجه النص الصريح من النبي الكريم. فهذه نماذج لبعض الموارد التي اجتهد فيها القوم مقابل النص فكان اجتهاداً معسولاً باطلاً لا يمكن ان يوافق عليه مسلم يؤمن بأن محمد بن عبد الله رسول الله ونبيه اذ بطلانه واضح بالوجدان ظاهر للعيان، وهذا الاجتهاد هو الذي أُعتذِر به لكل هفوة صدرت او عثرة حصلت او معصية ارتكبت او دماء اهرقت او نفوس ازهقت او طغيان استفحل او حاكم تجبر وتكبر وعذّب وشرّد بهذا الاجتهاد استطاع الجمهور ان يدفعوا السوءات عن كل الخلفاء وأُلبس الشقي ثوب التقي والكافر المعادي ثوب القريب الناصر.

وان الذي دفع القوم لدعوى الاجتهاد ما ظهر من الخلفاء من الهفوات وما وجدوه منهم مخالفاً لكتاب الله وسنة رسوله حتى ادعوا الاجتهاد مع النص الصريح الذي لا يمكن فيه التأويل او التحريف فانظر الى معاوية وجرائمه التي ارتكبها انها جرائم لا يرتكبها اكبر مجرم حرب في التاريخ وعلى رأس هذه القائمة وفي طليعتها حربه لامام الهدى علي بن ابي طالب فقد نص النبي صريحاً على ان الحق مع علي وعلي مع الحق وانهما لن يفترقا حتى يردا الحوض.

وقال (ص) : انا حرب لمن حاربتم وسلم لمن سالمتم مشيراً لعلي والحسن والحسين وفاطمة الزهراء وقد تقدم شطر منها فيما تقدم وبالرغم من هذه النصوص الصريحة فقد وقف معاوية في الحرب ضد الامام عناداً لله ورسوله ورفضاً لما نص عليه النبي من احقية علي وكون المحارب له محارباً لله ورسوله واتى بعد ذلك قوم ممن اشرب في قلوبهم حب الامويين وبغض الهاشمين فراحوا يبحثون عن عذر لما افتعله الطاغية الاموي من وقوفه ضد علي الذي صدع بفضله وشأنه النبي الكريم فلم يجدوا عذراً له الا ان يلبسوه الاجتهاد اذ به وحده تتحقق امانيهم من رفع معاوية واتباعه عن كل ما يمسه بسوء ويبقى في كرسي الخلافة دون ان يتعرى بواقعه السيء القبيح، ولكن هذه الدعوى لا تفيد ولا ينفع العطار ما افسد الدهر فإن قبائح معاوية وجرائمه لا يمكن سترها بدعوى الاجتهاد فإن الاجتهاد له مجال في غير المنصوص عليه من النبي الكريم ولئن امكن ترقيع سيئة واحدة فكيف يرقّع مَنْ كلُه سيئات وكفر والحاد كمعاوية ويزيد وغيرهما...

وما احسن ما نقله الشيخ محمود ابو ريه عن العلامة المقبلي في خصوص من

ادعى لهؤلاء وامثالهم الاجتهاد يقول: فمنهم من يتستر بدعوى الاجتهاد دعوى تكذبها الضرورة في كثير من المواضع ومنهم من يطلق! ويا عجباه من قلة الحياء في ادعاء الاجتهاد لبسر بن ارطأة الذي انفرد بأنواع الشر لأنه مأمور المجتهد معاوية ناصح الاسلام في سب علي بن ابي طالب وحزبه وكذلك مروان والوليد الفاسق وكذلك الاجتهاد الجامع للشروط في البيعة ليزيد ومن اشار بها وسعى فيها او رضيها ومالا يحصى.. والله ما قال قائلهم ذلك نصحاً لله ولرسوله اللهم الا مغفل لا يدري ما يخرج من رأسه قد سلم مقدمات وغذا لحمه وعروقه التقليد وعوّد جسمه ما اعتاد فصار بذلك غذاؤه ثم اخذ يتجاسر في البناء على ذلك كنظائر لها فلما يخلو منها احد وان اختلفت مكانتها في الدين غايته ان الورع يتحرز من الرضا بتلك الطوام فمن غاب عن المعصية ثم رضيها كان كمن حضرها...

بدعة الاجتهاد:

إن دعوى الاجتهاد[1] نغمة ذات ايقاع فريد لم يهتد اليها الله ولا رسوله واهتدى اليها ابن حجر وابن تيمية وبعض النواصب ـ ليعذروا معاوية والطغاة في افعالهم ـ لانهم اعلم من الله واعظم من رسوله، لأن الله امر بقتل القاتل عمداً دون ان يعذره بالاجتهاد وكذلك رجم الزاني وحكم بفسق المنحرف وضلال من لم يأمر بمعروف وينهى عن منكر ولكن ابن حجر وابن تيمية والطبري واضرابهم وقفوا ليردوا على الله قوله وعلى رسوله حجته بدعوى ان المجتهد لا تثريب عليه وان اخطأ فله اجر يثاب على فعله.

ـ إن معاوية اجتهد فأخطأ فهو مثاب وان قاتل علياً خليفة المسلمين بعد ان تمت له البيعة.

ـ ان معاوية اجتهد فهو مثاب وان صحت الاحاديث وتواترت من النبي في حق اهل البيت وعلى رأسهم سيدهم الامام علي، (أنا حرب لمن حاربكم وسلم لمن سالمكم) (انا حرب لمن حاربتم وسلم لمن سالمتم)، حتى لو صحت تلك الاحاديث وحاربهم معاوية فهو مجتهد مغفور الذنوب.

ـ ان معاوية مجتهد مثاب وان خالف الحق عمداً ونصب العداوة لأهله حتى لو جهر النبي بأعلى صوته منشداً ومردداً علي مع الحق والحق مع علي.

ـ ان معاوية مجتهد مثاب وان سب النبي (ص) ولا يعبأ بالصحيح الوارد عن رسول الله (ص): من سب علياً فقد سبني، وحتى لو سنّ معاوية سب علي الذي يرجع الى سب النبي بمنطوق هذا الحديث فإن ذنوبه مغفورة يثاب بفعله لأنه مجتهد، .

ـ ان معاوية مغفور الذنوب مثاب بفعله حتى لو قتل عمار بن ياسر علم الحق

---

١ ـ يقول الغزالي في احيائه: « جرى بين معاوية وعلي رضي الله عنهما كان مبنياً على الاجتهاد ولا منازعة من معاوية في الامامة ـ انتهى .. انظر الى هذا الاسفاف في التفكير كيف أشرب في قلبه حب معاوية فحاول الاعتذار عنه ولو بمسخ عقله وكأنه نسي او تناسى خطبة معاوية عند دخوله الكوفة بعد صلحه مع الامام الحسن وقال لهم: « اني لم اقاتلكم لتصلوا ولا لتصوموا ولكن قاتلتكم لأتأمر عليكم» ونسي الغزالي كسروية معاوية وافعاله القبيحة ولكنه الحب يعمي ويصّم .

والتقى الذي نص النبي بأن قتله على يد الفئة الباغية ـ عمار تقتله الفئة الباغية ـ
ـ ان معاوية وان كان امام الضلال ورأس أئمة الكفر يجب على الله ان يثيبه لأنه مجتهد وكل مجتهد ان اصاب فله اجران وان اخطأ فله اجر واحد، .
ـ إن معاوية مثاب وان غير احكام الشريعة واستلحق زياداً بأبي سفيان لأنه اجتهد فأخطأ.

ان معاوية مثاب وان قتل الصالحين وأئمة المسلمين وشرد المؤمنين ودفنهم احياء لأنه مجتهد والمجتهد مثاب.

إن منطق ابن حجر وابن تيمية وسائر النواصب خلقوا المعاذير لاعداء اهل البيت وقاتليهم معاندة لله ورسوله وبغضاً لاهل بيت نبيه،

فإن قال النبي ان قاتل علي هو اشقى الاولين والاخرين وجد من يدافع عن المجرم وينصب نفسه محامياً عنه كما فعل الطبري وغيره في دفاعهم عن اللعين ابن ملجم المرادي قاتل الامام حيث قال: ولا خلاف بين احد من الامة ان ابن ملجم قتل علياً متأولاً مجتهداً مقدراً انه على صواب وفي ذلك يقول عمران بن حطان الخارجي

يا ضربة من تقي ما اراد بها ... الا ليبلغ من ذي العرش رضوانا
إني افكر فيه ثم احسبه ... او في البرية عند الله ميزانا[1]

وما الفرق بين ابن ملجم ومعاوية فانهما يشربان من وِرد واحد وهو بغض النبي وآله وحرب الله واوليائه ولو قدر معاوية على قتل علي لما توانى او تأخر بل كان ذلك امنيته وقرة عينه ولأُعتذِر له كما اعتذر لابن ملجم (مجتهد) بل اعتُذِر لمعاوية الطاغية بذلك.

---

١ ـ هكذا دافع الطغاة بعضهم عن بعض وهكذا التفتْ زمر الضلال وتجمعت لبغض علي واهل بيت المصطفى ولا اشكال ان هذه الابيات اشد وقعاً واظهر بغضاً لعل من سيف ابن ملجم . .

هل هناك مسلم يبقى على اسلامه وهو يسدد فعل ابن ملجم او يوافقه على جريمته، إنها ابيات النصب لمحمد وآله وما احسن ان يُردّ على مادح ابن ملجم بما ردَّ عليه علماء السنة وهو ابو الطيب:

إني لأبرأ مما انت قائله ... في ابن ملجم الملعون بهتانا
إني لاذكره يوماً فالعنه ... ديناً والعن عمران بن حطانا
عليك ثم عليه الدهر متصلاً ... لعائن الله اسراراً واعلانا
فأنتم من كلاب النار جاء لنا ... نص الشريعة برهانا وتبيانا

لقد قطعت كلمة (مجتهد) ظهر الحقيقة وجنت على الدين والعلم والانصاف والعدل اقسى وافظع واعظم فتكاً من سيف ابن ملجم فقد كفر معاوية وابن ملجم. ومن جعل لهما عذراً او غطاءاً شرعياً فهو اشد كفراً ونفاقاً.

إن من يُلبس افعال المجرمين والكفار ثوب الاسلام والايمان فهو اشد عداوة لله ورسوله من المجرم والكافر لأن الكافر والمجرم لو لم يجدا ذلك الغطاء لما اقدما على فعلهما وخشيا من نقمة الناس عليهما، ولكنهما أمِنا من ذلك بوجود من يمنحهم بركات الايمان وقدسية الاقدام على الاجرام.

- ان دعوى الاجتهاد اكسير لمعالجة كل ما يظهر انه هفوة من الزمرة الاموية الفاسدة.

انه بلسم يداوي كل شبهة يمكن ان تطرأ على عقل مفكر او رأي منصف في الامويين.

- انه شفاء لكل ريب يخالج الانسان في فعل من افعال الحكام الغاصبين.
- انه الدواء الذي يقضي على كل علامة استفهام يمكن ان توضع على احد من الصحابة حتى لو كان معاوية وعمرو بن النابغة وبسر بن ارطأة.
- انه العلاج الذي يقف عنده العقل ملجماً والبيان اخرساً والحقيقة كليلة والمنطق صامتاً.

- انه وصفة من صيدلية ابن حجر وابن تيمية وزمرة النواصب كلهم وهذه شلة لا يُردّ لها رأي ولا تناقش في دليل فإن ابليس قد نطق على لسانها ومن اراد تقليدها فليتبعها، ومن اراد ان يحرّك عقله ويتّبع كتاب الله وسنة رسوله فليفتش في غير هذه الصيدلية فانه سيجد الحق في خلافهم والباطل في مواقفهم وموافقتهم.

انك ولا بد قد وجدت مني بعض القساوة في الكلام على هؤلاء القوم ولكن ووجه الحق وعزة الله وجبروته لو اطلعت انت عليهم ووقفت على واقعهم الذي تنبيء عنه اقوالهم وتصريحاتهم لكنت اقسى مني بدرجات واشد عليهم مني بمرات وانا الفت نظرك واحيطك علماً بنموذج من تعصبهم وانحرافهم وقلة حيائهم وانصافهم.

انظر رعاك الله كيف يصف ابن تيمية من آجهز على عثمان بقوله: قوم خوارج

مفسدون في الارض لم يقتله الا طائفة قليلة باغية ظالمة واما الساعون في قتله فكلهم مخطئون بل ظالمون باغون معتدون ويصفهم ابن حزم المبرر لفعل ابن ملجم بقتله لعلي: فساق ملعونون محاربون سافكون دماً حراماً عمداً.

نحن نعلم رأي الصحابة في عثمان ابتداء بعمر بن الخطاب الى ام المؤمنين عائشة مروراً بطلحة والزبير وغيرهم فانه باجماع الصحابة تم قتل عثمان فلماذا يا ترى لم يجعل ابن حزم لقتلة عثمان الاجتهاد عذراً كما جعله لابن ملجم قاتل الامام علي، ياابن حزم (باؤك تجر وباء غير لا تجر) انت يحق لك ان تدعي الاجتهاد فتخلق المبررات لقاتلي علي بدعوى الاجتهاد وتنقضها في قاتلي عثمان، فإمّا ان تدعيها فيهما واما ان تسلبها عنهما والتفصيل تعصب وعناد وانحراف وضلال، ان قاتل الامام علي يختلق له ابن حزم (الاجتهاد) بينما يسلبه عن قتلة عثمان.

لماذا التفريق:

ألأن عثمان اموي؟! والاموي ارفع من النقد وفوق الاتهامات، انه من الشجرة الاموية وهل يقترب من ساحة ابي سفيان احد او يمسه بكلمة سوء.

ألأن عثمان خليفة؟! وهل لانسان مهما علا كعبه وارتفع شأوه وسطع نجمه وتفتق عقله وسمت عبقريته ان يدنو من حظيرة الخلافة فان فيها عثمان.

ألأن عثمان من الصحابة؟! وهل لانسان ان يتفوه بكلمة او ينطق ببنت شفه في حق الصحابة ـ كل الصحابة بما فيهم معاوية وبسرو عمرو بن النابغة.

وقد طوى بساطهم عن البحث وارتفعت مكانتهم عن النقد.

ألأن عثمان يسدده مروان بن الحكم والعصبة الاموية الطاغية؟! وهل لانسان ان يقترب من عصبة الخليفة وعشيرته وهي المسددة له.

ألأن قتلة عثمان باغون وان كانوا من الصحابة العدول.

ألأن قتلة عثمان هم قتلة عثمان وليسوا قتلة علي ولو كانوا قتلة علي لتغير الرأي وتبدل الموقف وخلق لهم الاجتهاد ليعذرهم ربما تكون هذه الفوارق هي التي خلقت عند ابن حزم المبررات لقاتل علي دون قتلة عثمان.

هل نظرت الى هذا النموذج من العلماء الذين يرون باحدى عينيهم فقط

ويغمضون الاخرى، هل رأيت تعصباً تحت اديم السماء كتعصب هذه الطائفة الضالة التي تخطِّيء نبيّها في سبيل ان تصحح فعل عثمان وبني امية ومن لفّ لفهم وترى لعثمان اجتهاداً ورأياً. .

يروي البخاري عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: صلى بنا رسول الله (ص) بمنى ركعتين وابو بكر بعده وعمر بعد ابي بكر وعثمان صدراً من خلافته رضي الله عنهم ثم ان عثمان صلى بعُد اربعاً فكان ابن عمر اذا صلى مع الامام ـ عثمان ـ صلى اربعاً واذا صلى وحده صلى ركعتين.

وعندما وصل المحب الطبري الى هذا الحديث في الرياض النضرة انطلق ليدفع عن الخليفة تهمة مخالفته للنبي والخلفاء بقوله: ان هذه المسألة اجتهادية.

وقوله يعني عثمان ـ لا يوجب تكفيراً او تفسيقاً.

انظر الى قوله ـ اجتهادية مقابل من؟ مقابل قول النبي، انه يبيح مخالفة النبي ليصحح فعل الخليفة.

ما هذا الاجتهاد؟!

ـ انه اجتهاد من نمط عالٍ تفتق عنه ذهن المحب للخليفة عثمان والامويين بعده.

ـ انه اجتهاد سيخرج فيه عثمان بنظر القوم من الابطال المجاهدين الذين يقولون قال رسول الله واقول.

ولا اظن ان عثمان بن عفان او احداً من المسلمين يستطيع ان تشده جرأته ويتفوه بذلك، بل ليس بمسلم من يقف في صف الرسول ليقول: قال النبي واقول: لان التشريع لله وللمعصوم فحسب فان الله قد ملك الناس ملكاً تكوينياً وحق الطاعة له بالاصالة وقد استمد الرسول من الله هذا الحق فقال تعالى ﴿**النبي اولى بالمؤمنين من انفسهم. . .**﴾ واعطاه حق التشريع، واما سائر الناس فلا يجب عليهم الطاعة لاحد بعد ذلك الا ما كان بامر الله او امر رسوله. .

إن هذا التعصب للاشخاص والمذاهب هو الذي افقد العلم قيمته والمعرفة هيبتها، ان الانسان اذا تعصب فقد علمه وشدته عصبيته دون ان ينشد الحق والعدل

وبذلك قد يخرج عن الاسلام والايمان وقد يُخرج غيره عنهما فانظر بربك الى شيخ من متعصبة المذاهب يدعى الكرخي حيث يقول كل آية في القرآن او رواية عن[1] رسول الله (ص) تخالف ما قرره مذهب ابي حنيفة فهي مؤولة او منسوخة . . انتهى . .

واذا علّقت على هذه الكلمة بشيء رماني القوم بالتعصب والحقد والشدة فلذا ادع التعليق للشيخ عبد العزيز عيسى وزير الازهر في كتاب (ما لا يجوز فيه الخلاف) حيث قال:

يا لله للمسلمين!! . . اليس معنى هذا ان قول علماء الاحناف هو المتحكم والمهيمن على كتاب الله وسنة نبيه فإن امكن تأويلهما وموافقتهما لمذهب ابي حنيفة فذاك والاحكم عليها بالاعدام. وهذا التعصب هو الذي قاد الشيخ ابن حاتم الحنبلي كي يقول: (من لم يكن حنبلياً فليس[2] بمسلم) وهذا منه تكفير لجميع المسلمين الذين لا يتدينون بالمذهب الحنبلي، ومن هنا جاءت ردة الفعل لتكفر كل الحنابلة على لسان الشيخ أبو بكر[3] المقري الواعظ في جوامع بغداد فقد كفرهم اجمع .

اذن فيجب علينا ان نبحث عن الحق حتى اذا ادركناه سرنا وراءه وقدّرنا رجاله ولا يجوز بحال ان نؤمن بالاشخاص ونقفل عقولنا عن التفكير في الوصول الى مر الحق والعدل والانصاف ومن هنا نقول ان الاجتهاد الذي اعطي لبعض الاشخاص يفقد مبرره اذا عارض كتاب الله وسنة رسوله وان بلغوا ما بلغوا من الفضل وعلو الرتبة .

---

١ ـ تفسير المنار الآية ١٦٧ من البقرة .

٢ ـ تذكرة الحفاظ ج ٣ ص ٣٧٥ .

٣ ـ شذرات الذهب ج ٣ ص ٢٥٣ .

عبد الكريم الخطيب يوافق الشيعة في شأن الصحابة:

إن رأي الشيعة في الصحابة هو الرأي المستقيم الذي ينبع من صميم الاسلام ويوافقه العقل والنقل ولذا كان محط قبول لدى جميع المنصفين والمثقفين الواعين الذين لا تأخذهم عصبية او تقليد بل يقودهم البحث الحر النزيه الى الحق الصريح مهما كثر اللغط حولهم والاشاعات المغرضة نحوهم ونحن نرى بين الفينة والاخرى كيف يتم اختيار رأي الشيعة فيما يذهبون اليه من قبل المحققين والعلماء الصالحين فقد رجع الى رأي الشيعة عدد كبير من البارزين علمياً وصدرت فتاوى العلماء وفق مذهب الشيعة في الطلاق الثلاثي دفعة واحدة وتبنى العلماء المتأخرين ما تذهب اليه الشيعة من عده طلقة واحدة لا اكثر وكذلك تنبه للحق في مسألة الصحابة عدد كبير من العلماء المتأخرين ووافقوا الشيعة فى ذلك صوناً لكرامة الحق وحفظاً للبحث العلمي النزيه الذي هو الغاية وبه الحجة وكان ممن اطلعت عليه مؤخراً واعجبني بحثه وجرأته ـ والجرأة صفة يفقدها الغالبية ـ الاستاذ عبد الكريم الخطيب في كتابه علي بن ابي طالب الذي سرد رأيه بصراحة ووافق فيه الشيعة واصاب كبد الحقيقة وانا انقل اليكم بعض فقراته كي تقفوا عليها كما هي مدوّنة في كتابه ذاك:

يحسن بنا ان نشير الى حقيقة ربما كان اغفالها في هذا المقام يُلبس الامر في مفهوم «الصحبة» ويفسد المعنى المقصود بالصحابي وفي هذا ما فيه من تشويش على صحابة رسول الله (ص) الذي عناهم الرسول الكريم بقوله «اصحابي كالنجوم، بأيهم اقتديتم اهتديتم»[1] وقوله «الله الله في اصحابي» وهؤلاء الصحابة الذين عناهم الرسول (ص) لم يذكرهم باسمائهم واحداً واحداً ولهذا اتسعت دائرة الصحبة حتى شملت كل من لقي رسول الله ولو مرة واحدة كما يقول بذلك البخاري وغيره.

ومن هنا دخل في مجتمع اصحاب رسول الله اقواماً لم يكونوا اهلاً لتلك الصحبة بل لم يكونوا اهلاً للانتساب الى الاسلام.

فهذا عبد الله بن سعد بن ابي سرح ـ الكلام لا يزال للخطيب ـ اسلم قبل الفتح وهاجر الى المدينة وكان من كتاب الوحي بين يدي رسول الله (ص) قد ارتد

---

١ ـ هذين الحديثين لا يصدقهما الواقع ولا يوافق عليهما العقل وقد بين فسادهما بشكل واضح .

مشركاً... وفيه نزل قوله: ومن اظلم ممن افترى على الله كذباً او قال اوحي اليّ ولم يوح اليه شيء... الآيات..

فلما كان يوم الفتح اهدر الرسول دمه ثم شفع فيه عثمان..

وضرب مثلاً ثانياً بثعلبة بن ابي حاطب الذي كان من المهاجرين الفقراء فأغناه الله ثم رفض دفع الزكاة.

وقال الخطيب: وكثير ممن كان في مجتمع الصحابة مع رسول الله كانوا يظهرون الايمان ويخفون ما في قلوبهم من كفر ونفاق...

وقد لحق الرسول بالرفيق الاعلى وانقطع الوحي الذي كان ينزل بما يفضح المنافقين ومن في قلوبهم مرض فبقي حال كثير من هؤلاء دون ان يكشف لهم ستر وحُسب كثير منهم في صحابة رسول الله يلقى الناس بهذا الشرف العظيم ويمسك به في قوة دون ان يعطي تلك الصحبة حقها من الايمان الوثيق بالله والاستقامة على طريق الحق والخير مثل هؤلاء هم الذين اردنا ان ننبه اليهم هنا وان نفرق بينهم وبين صحابة رسول الله الذين كانوا اهلاً للانتساب الى الرسول والانتفاع بصحبته والاستقامة على طريقته وبهذا نعرف قدر الصحبة ونضع الصحابي موضعه الصحيح الذي ينبغي ان يكون له في قلب كل مسلم فهناك صحابة ذكرهم الرسول ذكراً خاصاً وكشف عما لهم عند الله من رضىً ورضوان...

اما من لم يكن على تلك الصفة ولم يكن لرسول الله فيه قول قاطع بعدالته وسلامته فهو في معرض النظر والتمحيص وفي مجال التعديل او التجريح والحمد او الذم... شأنه في هذا شأن الناس جميعاً لا تشفع له الصحبة او تدفع عنه اللوم او الذم ان هو فعل ما يوجب لوماً او ذماً بل ان صحبته او لقاءه لرسول الله (ص) ليجعل صغائر اموره كبائر اذ لم يحسن الانتفاع بتلك الصحبة ولم يرع لها حقها فهو لهذا اولى الناس باللوم ان هو فعل ما يوجب اللوم واحقهم بالمؤاخذة ان قارف ما يؤاخذ عليه.

الى ان يقول الخطيب:

والذي نريده من هذا الحديث هو ان نعرف من هو صاحب رسول الله المستأهل لشرف هذه الصحبة الحفيظ على تمثل جلال النبوة وعظمتها الحريص على

اتباع هدى النبي واقتفاء اثره، . . فهذا هو الصحابي الذي نرعى له حق الصحبة وقد رعاها ونرفع قدره وقد رفع هو نفسه بها اما من صحب رسول الله او رآه او سمع منه ولم يكن له نصيب من نفحات النبوة وطيبها يجده الناس في قوله وفي عمله فليس بصاحب رسول الله ولو طالت صحبته وادخل نفسه او ادخله الناس في مجمع الصحابة. . انتهى كلام الاستاذ الخطيب. .

اقول: الله اكبر قد نطق الحق على لسان هذا الرجل المخالف وهل رأي الشيعة الا ما توصل اليه الاستاذ الخطيب انهم يرون ان الصحبة بنفسها لا تكسب الانسان عصمة وعدالة وانما الصحبة شرف وكرامة وعزة ونبل ان إقترنت بطاعة الله وطاعة رسوله واقتفاء تشريع الاسلام واحكامه،

والشيعة ترى التعبد بنص رسول الله فإن صدر منه حديث في حق أحد الصحابة بعينه يزكيه ويمدحه ويثني عليه ويعدله فهو عدل ثقة والا فوجب ان يُبحث عن كل صحابي حتى يتبين حاله وهو كغيره من الناس يخضع لقانون البحث عن احواله جرحاً وتعديلاً توثيقاً وتفسيقاً ولا يشذ عن هذه القاعدة احد. . . .

محمود ابو ريه وطه حسين واحمد امين يوافقون الشيعة

في كتاب اضواء على السنة المحمدية قدم الشيخ الأجلّ محمود ابو ريه ما فيه الكفاية على ما ذهب اليه الشيعة من القول بأن الصحابة كغيرهم من الناس يجري عليهم ما يجري على غيرهم فيهم البر التقي والمجرم الشقي وفي صدد ذلك نقل رأيين للاستاذ طه حسين والآخر لاحمد امين يسند بكلامهما ما توصل اليه من نتائج ولا اظن ان عالماً نفض غبار التقليد عن كاهله واعار العقل حليته وطلق الكسل عن ذهنه الا وسيتوصل الى ما توصل اليه هؤلاء الكبار ويوافق الشيعة في رأيهم المنصف وقولهم المعتدل وانا انقل تعبيريهما وناهيك بهما عن غيرهما . .

قال الدكتور طه حسين في كتابه ـ عثمان ـ واسباب الفتنة وبعض الامور التي **لها علاقة بذلك** قال: فنحن لا نحب الكسل ولا نطمئن الى الراحة ولا نغلو في تقديس الناس الى هذا الحد البعيدـ من ان كل الاحداث التي جرت لم تكن وانما اختلقها اعداء الاسلام ـ ولا نرى في اصحاب النبي ما لم يكونوا يرون في انفسهم فهم كانوا يرون انهم بشر فيتعرضون لما يتعرض له غيرهم من الخطايا والآثام وهم تقاذفوا التهم الخطيرة وكان منهم فريق تراموا بالكفر والفسوق قد روي ان عمار بن ياسر كان يكفر عثمان ويستحل دمه ويسميه نعثل وروي ان ابن مسعود كان يستحل دم عثمان ايام كان في الكوفة . . . وروي ان عبد الرحمن بن عوف قال لبعض اصحابه في المرض الذي مات فيه: عاجلوه ـ قبل ان يطغى ملكه . . .

ويقول الدكتور: واذا دفع اصحاب النبي انفسهم الى هذا الخلاف وتراموا بالكبائر وقاتل بعضهم بعضاً في سبيل الله فما ينبغي ان يكون رأينا فيهم احسن من رأيهم في انفسهم . .

وقال الدكتور احمد امين في كتابه ضحى الاسلام . . انا رأينا الصحابة انفسهم ينقد بعضهم بعضاً بل يلعن بعضهم بعضاً ـ ولو كانت الصحابة عند نفسها بالمنزلة التي لا يصح فيها نقد ولا لعن لعلمت ذلك من حال نفسها لانهم اعرف بمحلهم من عوام اهل دهرنا وهذا طلحة والزبير وعائشة ومن كان معهم وفي جانبهم لم يروا ان يمسكوا عن علي وهذا معاوية وعمرو بن العاص لم يقصرا دون ضربه وضرب

اصحابه بالسيف وكالذي روى عن عمر من انه طعن في رواية ابي هريرة وشتم خالد بن الوليد وحكم بفسقه وخوّن عمرو بن العاص ومعاوية ونسبهما الى سرقة مال الفيىء واقتطاعه وقلّ ان يكون من الصحابة من سلم من لسانه او يده الى كثير من امثال ذلك ما رواه التاريخ ـ وكان التابعون يسلكون بالصحابة هذا المسلك ويقولون في العصاة منهم هذا القول وانما اتخذهم العامة ارباباً بعد ذلك ـ والصحابة قوم من الناس لهم ما للناس وعليهم ما عليهم من اساء منهم ذممناه ومن احسن منهم حمدناه وليس لهم على غيرهم كبير فضل الا لمشاهدة الرسول ومعاصرته لا غير، بل ربما كانت ذنوبهم افحش من ذنوب غيرهم لانهم شاهدوا الاعلام والمعجزات فمعاصينا اخف لاننا اعذر.

فهذه شهادات كتبتها يد غير شيعية وكتبتها واعتقدت بها اقوام ليسوا بشيعة قادهم البحث الحر والاستقلال في التفكير الى هذه النتيجة وهي نفس ما تتبناه الشيعة وتقرّ به وانها بينها وبين الله ترى الدليل يأخذ بالاعناق لاعتناق الحقّ وهذا الرأي الصواب في الصحابة لم يخرج الشيعة عنه وقد توصلوا الى هذه النتيجة قبل ان يخلق الله[1] طه حسين واحمد امين وامثالهم فهل بعد هذا البيان من عذر لمن ينهم الشيعة بسب الصحابة او تكفيرهم ورأيهم فيهم صريح وقولهم فيهم فصل فهل بعد الحق الا الضلال المبين.

---

١ ـ لا نريد ان نستوعب تعداد الذين ذهبوا الى رأي الشيعة في الصحابة فانا متأكدون ان كل مسلم يذهب الى ذلك بمجرد ان يفك اغلال التقليد والتعصب ويحرر نفسه من ربقة الجمود والكسل.

علي افضل الصحابة :

إن الشيعة تعتقد ان اصحاب محمد (ص) يتفاوتون في الفضل بحسب ايمانهم وجهادهم في سبيل الله وان افضل الاصحاب على الاطلاق الامام علي فإنه عليه السلام وذريته الحسن والحسين افضل اصحاب النبي واعظمهم بدون استثناء وان للشيعة من الادلة ما ينهض بهذه الدعوى ويثبتها إن عندهم ما يصدق ذلك من كتاب الله وسنة رسوله وفيهما الكفاية عن كل دليل ويأتيان على كل حجة فقد نزلت في حق الامام كثير من الآيات وورد عن رسول الله الكثير من الاحاديث وكلها تهدف الى بيان فضائل علي وعظمته وعلو منزلته وسموه وقد تعرض لها المحدثون واهل السير واصحاب التفسير ويكفي جهاده الميمون المبارك مع النبي في جميع غزواته وما قدمه في سبيل الاسلام من تضحيات وبذل وعطاء.

اما من الكتاب فانظر الى هذه الآيات اقدمها بين يديك كنموذج ومثال لم اقصد بذكرها الاستيعاب والحصر بل شواهد على انه افضل الخلق بعد رسول الله

١) قوله تعالى: **﴿انما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم راكعون﴾** وقد اجمع اصحاب التفسير على نزولها في الامام علي وذكرها اصحاب الصحاح الستة.

وقوله تعالى: **﴿انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس اهل البيت ويطهركم تطهيرا﴾** اجمع المفسرون على نزولها في علي واهل بيته.

٣) قوله تعالى: **﴿قل لا أسألكم عليه اجراً الا المودة في القربى﴾**

فقد روى نزولها في علي الجمهور في الصحيحين واحمد بن حنبل في مسنده والثعلبي في تفسيره

٤) قوله تعالى: **﴿ومن الناس من يشري نفسه ابتغاء مرضاة الله﴾** انها نزلت في علي عند مبيته على فراش النبي يوم الهجرة الشريفة.

٥) قوله تعالى: **﴿قل تعالوا ندعوا ابناءنا وابناءكم ونساءنا ونساءكم وانفسنا وانفسكم ثم نبتهل﴾**

وهذه الآية ادل الآيات على علو منزلة الامام حيث حكم تعالى بمساواته برسوله الكريم ورسوله افضل الخلق فمن كان بمنزلته ـ وهو عليّ يكون افضل ـ ولكثرة ما نزل في علي من الآيات قال ابن عباس كما في مسند الامام احمد: ما في القرآن آية الا وعلي رأسها وقائدها وشريفها واميرها ولقد عاتب الله اصحاب محمد (ص) في القرآن وما ذكر علياً الا بخير. واما السنة فقد ورد فيها عن لسان رسول الله ما لو ورد بعضها في حق احد غيره لرفعه اتباعه الى مرتبة فوق ما تقول الشيعة في علي وهذه الاحاديث من الصحاح التي اتفق عليها المسلمون جميعاً واوردتها كتب المخالفين ـ والفضل ما شهدت به الاعداء ـ تدل بصورة واضحة على تقدم علي وافضليته على سائر الصحابة ونحن نذكر بعضها تيمناً وتبركاً.

١ ـ حديث الدار في ابتداء الدعوة حيث قال النبي لاهله وعشيرته قد جئتكم بخير الدنيا والآخرة وقد امرني الله ان ادعوكم اليه فأيكم يؤازرني على امري هذا فقال عليّ (ع): فقلت انا يا نبي الله اكون وزيرك عليه فأخذ برقبتي وقال: ان هذا أخي ووصيي وخليفتي فيكم فاسمعوا له واطيعوا فقام القوم يضحكون ويقولون لأبي طالب قد امرك ان تسمع وتطيع لعلي.

وهذا الحديث يدل على امامة علي وانه السبّاق لكل خير ومكرمة، .

٢ ـ عن البراء قال: قال رسول الله (ص)

الستم تعلمون إني اولى بالمؤمنين من انفسهم؟[1] قالوا: بلى. قال: الستم تعلمون اني اولى بكل مؤمن من نفسه؟ قالوا: بلى فأخذ بيد علي فقال: من كنت مولاه فعليّ مولاه، اللهم وال من والاه وعاد من عاداه قال: فلقيه عمر بعد ذلك فقال له: هنيئاً لك يا ابن ابي طالب اصبحت وامسيت مولى كل مؤمن ومؤمنة.

٣ ـ قال النبي يوم فتح خيبر لما عجز الخليفتان ابو بكر وعمر[2] ورجعا منهزمين. قال: لاعطين الراية غداً رجلاً يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله يفتح الله على يديه فاعطاها علياً عليه السلام.

٤ ـ في مسند الامام احمد من عدة طرق وفي صحيح البخاري وغيره لما خرج ـ

---

١ ـ مسند الامام احمد بن حنبل ج ٤ ص ٢٨١ .

٢ ـ تهذيب التهذيب لأبن حجر ج ٧ ص ٣٣٧ .

النبي ـ الى تبوك استخلف علياً على المدينة وقال له: انت مني بمنزلة هارون من موسى الا انه لا نبي بعدي..

وهذا الحديث مقطوع بصحته متسالم على صدوره من الناطق بالحق رسول الله فقد رواه البخاري الذي يغتصب نفسه عند خصائص علي وفضائل اهل البيت اغتصاباً على حد تعبير الامام شرف الدين ولو كان له فرجة اوفرصة يفر عن الاقرار به لفر وهذا الحديث يدل على منزلة علي العظيمة والنص عليه صريحاً حيث نفى عنه النبوة واثبت له كل شيء سواها مما اختص به هارون شقيق موسى ومن منازل هارون الامامة...

٥ ـ في مسند احمد بن حنبل من عدة طرق ان النبي (ص) آخى بين الناس وترك علياً حتى بقي آخرهم لا يرى له اخاً فقال: يا رسول الله آخيت بين اصحابك وتركتني فقال: انما تركتك لنفسي انت اخي وانا اخوك فان ذكرك احد فقل انا عبد الله واخو رسوله لا يدعيها بعدك الا كذاب والذي بعثني بالحق ما اخرتك الا لنفسي وانت مني بمنزلة هارون من موسى الا انه لا نبي بعدي وانت اخي ووارثي.

اما معاركه وحروبه وجهاده وشجاعته فيكفيك بعض تلك البطولات التي يقصرعن نيل بعضها اعظم الابطال والمجاهدين وهل بغير سيف علي انتصر الاسلام؟! وهل بغير سواعد ابن ابي طالب كشفت الكرب عن وجه رسول الله؟!

لئن سترت سقيفة بني ساعدة بعضاً من بطولاته فإن الشمس لا تستر بالراح ولئن سعت امية باخفاء فضائله فإنه قد شع من بين تلك السجف الكثيفة ما ملأ الخافقين وعم المشرقين، . ولئن تزلّف اصحاب الدنيا وباعة الضمير بالتقرب الى الحكام بوضع الاحاديث فإن وهج الحق المتمثل في علي احرق كل تلك الاباطيل، وعدْ يا اخي؛ عدْ الى مصادر الحق لترى نور علي يخترق الحجب وينفذ الى قلب كل مسلم ويعيش في روح كل من آمن بالله ورسوله، فإن حب علي جزء من تعاليم محمد وامامة علي وافضليته مقطوعة سحرية في نشيد الاسلام وقيثارته وهل يفلح قوم لم يكونوا علويين في رسالتهم وهدفهم.

اضرب بطرفك شطر غزوات الاسلام ونبيه الكريم لترى كيف تمت قائمة النصر على يد ابن ابي طالب ابتداء من اول معارك الاسلام الى آخرها.

فهذه معارك بدر واحد والاحزاب وخيبر وغيرها تنبيك عن صدق ما اقول

وهي البرهان على ما ادعيه.

فإنه عليه السلام اول من آمن بالله ورسوله وهي فضيلة تقاصرت عنها مشيخة قريش وزعامتها وكان اعلم اصحاب النبي حتى قال فيه رسول الله (انا مدينة العلم وعلي بابها) وكان اشجع الناس وازهدهم واحسنهم اخلاقاً وحلماً واعظمهم عبادة وخشوعا واقربهم من رسول الله واخصهم لديه وكان زوج ابنته وحبيبته الزهراء وابو ولديه وسبطيه الحسن والحسين وكل ذلك يجعله المقدم على سائر الخلق. والخلق بعده بأشواط وما اجمل ما ذكره الصاحب بن عباد في محاورته الرائعة حيث قال:

قالت: فمن صاحب الدين الحنيف اجب — فقلت: احمد خير السادة الرسل
قالت: فمن بعده تصفى الولاء له — قلت: الوصي الذي اربى على زحل
قالت: فمن بات من فوق الفراش فدى — فقلت: اثبت خلق الله في الوهل
قالت: فمن ذا الذي اخاه عن مقةٍ — فقلت: من حاز رد الشمس في الطفل
قالت: فمن زُوّج الزهراء فاطمة — فقلت: افضل من حاف ومنتعل
قالت: فمن والد السبطين اذ فرعا — فقلت: سابق اهل السبق في مهل
قالت: فمن فاز في بدر بمعجزها — فقلت: اضرب خلق الله في القلل
قالت: فمن اسد الاحزاب يفرسها — فقلت: قاتل عمرو الضيغم البطل
قالت: فيوم حنين من فرا وبرا — فقلت: حاصد اهل الشرك في عجل
قالت: فمن ذا دُعي للطير يأكله — فقلت: اقرب مرضي ومنتحل
قالت: فمن تلوه يوم الكساء اجب — فقلت: افضل مكسو ومشتمل
قالت: فمن ساد في يوم الغدير ابن — فقلت: من كان للاسلام خير ولي
قالت: ففي من اتى في هل اتى شرف — فقلت: ابذل اهل الارض للنفل
قالت: فمن راكع زكّى بخاتمه — فقلت: اطعنهم مذ كان بالاسل
قالت: فمن ذا قسيم النار يسهمها — فقلت: من رأيه اذكى من الشعل
قالت: فمن باهل الطهر النبي به — فقلت: تاليه في حل ومرتحل
قالت: فمن شبه هارون لنعرفه — فقلت: من لم يحل يوماً ولم يزل
قالت: فمن ذا غدا باب المدينة قل — فقلت: من سألوه وهو لم يسل
قالت: فمن قاتل الاقوام اذ نكثوا — فقلت: تفسيره في وقعة الجمل
قالت: فمن حارب الارجاس اذ قسطوا — فقلت: صفين تُبدي صفحة العمل
قالت: فمن قارع الانجاس اذ مرقوا — فقلت: معناه يوم النهروان جلي

قالت: فمن صاحب الحوض الشريف غداً فقلت: من بيتـه في اشرف الحلل
قالت: فمن ذا لواء الحمـد يحمله فقلت: من لم يكن في الروع بالوجل
قالت: اكل الذي قد قلت في رجل فقلت: كل الذي قد قلت في رجل
قالت: فمنْ هو هذا الفرد سمه لنا فقلت : ذاك امير المؤمنين علـي.

ان علياً بما اجتمع فيه من الصفات والكمالات اخذ باعناق المسلمين الى الاعتراف بأفضليته على سائر الصحابة، فسبحان من اعطى علياً ما لم يعطي غيره وفضّله على سائر الخلق، ولو اردنا استيعاب سائر مناقبه لوقع ذلك بمجلدات ولكن هذا ليس من شأننا في هذا المقام وانما هدفنا هنا ان نقول ان الشيعة بما لديها من النصوص وما ورد من طرق المخالفين في حق علي كل ذلك يجعله امام المسلمين وخليفة رسول الله وافضل اصحاب النبي الكريم وهذا التفضيل لعلي على سائر اصحاب محمد قديم من اول ايام الاسلام ولا يزال حتى اليوم وسيبقى هذا التفضيل عنوان الولاء لعلي واهل بيته واقول كما قال الصاحب بن عباد:

حب عـلي بن ابي طالب هو الذي يهـدي الى الجنة
ان كان تفضيلي لـه بدعـة فلعنـة الله عـلى السنـة

وقد بيّن صاحب تجريد الاعتقاد افضلية علي على سائر الصحابة وذكر الادلة الوافية الكافية التي لا يحتاج الانسان بعدها الى دليل وهذه عناوين تلك الادلة اذكرها كما هي:

قال قدس سره:

وعلي افضل لكثرة جهاده وعظم بلائه في وقائع النبي (ص) بأجمعها ولم يبلغ احد درجته في غزوة بدر وأُحد ويوم الاحزاب وخيبر وحنين وغيرها.

ولأنه اعلم لقوة حدسه وشدة ملازمته للرسول (ص) وكثرة استفادته عنه ورجعت الصحابة اليه في اكثر الوقايع بعد غلطهم وقال النبي (ص) اقضاكم علي واستند الفضلاء في جميع العلوم اليه واخبر هو (ع) بذلك ولقوله تعالى: **﴿وانفسنا﴾**.

ولكثرة سخائه على غيره وكان ازهد الناس بعد النبي واعبدهم واحلمهم واشرفهم خلقاً واقدمهم ايماناً وافصحهم لساناً واسدهم رأياً واكثرهم حرصاً على

اقامة حدود الله تعالى واحفظهم للكتاب العزيز.

ولاخباره بالغيب واستجابة دعائه وظهور المعجزات عنه واختصاصه بالقرابة والاخوة ووجوب المحبة والنصرة ومساواة الانبياء وخبر الطاير والمنزلة والغدير وغيرها.

ولانتفاء سبق كفره ولكثرة الانتفاع به.

وتميزه بالكمالات النفسانية والبدنية والخارجية انتهى. هذا ما قاله صاحب شرح التجريد وهي فهارس لمضامين يطول شرحها ويسترسل الانسان في سردها ولو اردنا ان نستوفي تفصيلاتها ونخوض في عبابها لما رجعنا بغير مجلد يعد بمئات الصفحات، وقد اتى على ذكر اكثرها مع البيان الوافي الحجة المظفر في كتابه دلائل الصدق..

والحمد لله رب العالمين

محتويات الكتاب

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة